عصام موسى قنيبي

نقاط على الحروف

اليهود القدماء والمعاصرون



نقاط على الحروف

موطن اليهود القدماء والمعاصرون

* نقاط على الحروف
موطن اليهود القدماء والمعاصرون
* الدكتور: عصام موسى قنيبي
* الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩

* دار العوّام للطباعة والنشر
سورية، دمشق، ص. ب: ٥٦٥٨
هاتف، فاكس: ٥٦١٥٦٩٦
Email: alawam1925 @ yahoo.com

* دار طارق بن زياد
سورية - دمشق
هاتف: ٢٢١١٠٤٨ ،
٠٩٣٣٣١٦٢١٦

نقاط على الحروف
موطن اليهود القدماء والمعاصرون

* نقاط على الحروف
موطن اليهود القدماء والمعاصرون
* الدكتور: عصام موسى قنيبي
* الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩

* دار العوّام للطباعة والنشر
سورية، دمشق، ص. ب: ٥٦٥٨
هاتف، فاكس: ٥٦١٥٦٩٦
Email: alawam1925 @ yahoo.com

* دار طارق بن زياد
سورية - دمشق
هاتف: ٢٢١١٠٤٨ ،
٠٩٣٣٣١٦٢١٦

الدكتور: عصام موسى قنيبي

نقاط على الحروف

موطن اليهود القدماء والمعاصرون

المقدمة

مما لا شك فيه انه قد ارتكب خطأ فادح وخطير جدا بحق الشعب العربي الفلسطيني في العصر الحديث، وهذا الخطأ الفادح متمثل في اعتبار الصهاينة اليهود والمسحيين معا وعلى حد سواء أرض هذا الشعب وأرض آبائه وأجداده القدماء هي أرض اليهود وموطنهم الأصلي، والأرض التي شهدت انتصاراتهم وأمجادهم الغابرة، وهذه الأسطورة التاريخية هي في الواقع من نتاج القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية لتاريخ الشرق الأدنى القديم ولنصوص التوراة أيضا، وقد أدخل الصهاينة هذه الأسطورة في عقول ووجدان العالم الغربي المسيحي، وعملوا كل ما في وسعهم من أجل ترسيخها هناك، وأخذها على محمل الجد وكأنها حقيقة مسلم بها ولا تقبل جدلا، ووفقا لهذه الأسطورة ساعد العالم الغربي المسيحي الصهاينة في اغتصاب أرض فلسطين العربية، وإقامة كيانهم الغاصب فيها في العام الميلادي ١٩٤٨، ثم ساندهم ودعمهم وأيدهم في المحافظة على استمرارية هذا الكيان بل وجعله أكبر قوة عسكرية في منطقة الشرق الأوسط، وضرب العالم الغربي المسيحي بعرض الحائط الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني في أرضه في عصر حقوق الإنسان التي يتغنى بها العالم المسيحي الغربي صباحا ومساء، ومن البديهي أن مساعدة العالم الغربي للصهاينة دون وجه حق أدت إلى نتائج مأساوية للشعب العربي الفلسطيني، إذ إن هذا الشعب المغلوب على أمره فقد أرضه وممتلكاته كلها وطرد من أرضه وأرض أبائه وأجداده وشرد عنها، وتحول إلى مجموعات من اللاجئين تعيش على هامش أوطان الشعوب الأخرى يبحث عن المأوى والحماية، وما يسد به الرمق.

وعلى العكس تماما مما يروج له الصهاينة في رواياتهم، فإن الحقيقة التي لا تقبل جدلا ولا نقاشا تبقى دائما أن فلسطين هي أرض عربية منذ أقدم العصور، وتعود

عروبتها لعصور ما قبل التاريخ، ففي تلك العصور كان أول من استوطنها هم العرب الكنعانيون الذين هاجروا إليها من شبه جزيرة العرب، وهم في الواقع أصحابها وأصحاب تاريخها الطويل وحضارتها الرائدة، ولا يوجد لليهود أي جذور أو تاريخ قديم فيها، وإذا ما أقامت أقلية يهودية على أرض فلسطين العربية في الزمن الغابر، فإنه وبدون أدنى شك كانت إقامتهم فيها إقامة عابرة وطارئة وقصيرة، لا تعطي لليهود حقوقا من أي نوع، ولا تخولهم المطالبة بها إطلاقا.

وعليه فإن فلسطين العربية ليست أرض اليهود ولا موطنهم الأصلي كما يروج الصهاينة، إضافة إلى أنها ليست الأرض الموعودة من قبل الرب لإبراهيم عليه السلام، ولأنبياء بني إسرائيل من بعده، وليست هي أرض الميعاد التي يجب أن يعود إليها اليهود مهما طال بهم الزمن تنفيذا للنبوءات التوراتية الزائفة، وبحسب القراءة الحالية لنصوص التوراة.

وبالمقابل:

- ما هو الموطن الأصلي لليهود القدماء؟
- ومن أين جاء اليهود المعاصرون؟
- وهل لليهود حقوق دينية أو تاريخية في فلسطين العربية؟

هذا ما سوف نتناوله في هذه الدراسة بطريقة موجزة، وسوف نستهلها بقراءة نقدية للتاريخ اليهودي القديم، ثم نتناول أصل اليهود القدماء وموطنهم الأصلي حسب الدراسات التاريخية الحديثة، ثم نستعرض أصل اليهود المعاصرين أو يهود اليوم.

وفي ختام هذه الدراسة، سوف نتناول الحجج والذرائع الواهية والضعيفة التي لجأ إليها الصهاينة لتبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية.

والله تعالى من وراء القصد.

١

مدخل

في الحقيقة أن التاريخ اليهودي المزعوم في فلسطين العربية كما يتصوره الصهاينة ومن يدور في فلكهم، ليس تاريخا حقيقيا حدثت أحداثه ووقائعه على أرض الواقع، وإنما هو تاريخ وهمي ومزور من نتاج قراءة خاطئة... مجرد قراءة لأحداث تاريخ الشرق الأدنى القديم. وتفسير متعسف ومغرض لنصوص التوراة، وكما يقول عالم الآثار «توماس تومبسون» (١) فإن هذا التاريخ هو من نتاج القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الكولولنيالية لنصوص كتاب العهد القديم (٢) ومن ضمنه «التوراة» التي يزعم اليهود أنها هي ذاتها التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام فوق الجبل المسمى باسمه «جبل موسى»

وقد أدت هذه القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وللنصوص التي وردت في التوراة، إلى جعل اليهود الصهاينة والعالم المسيحي الغربي ينظرون إلى فلسطين العربية نظرة خاصة، ويجعلون منها محور اهتمامهم وبؤرة تفكيرهم باعتبارها من وجهة نظرهم الخاطئة ما يلي:

١ ـ أرض اليهود!

٢ ـ وموطنهم الأصلي القابع في الذاكرة والوجدان!

٣ ـ وأرض آبائهم وأجدادهم الغابرين!

٤ ـ وهي الأرض التي شهدت انتصاراتهم الوهمية الهائلة على الشعب العربي الكنعاني في التاريخ القديم!

٥ ـ وأرض المملكة اليهودية الموحدة التي تأسست قبل ثلاثة آلاف عام!

٦ ـ وهي الأرض التي شهدت أمجادهم الغابرة زمن داود وسليمان!

٧ ـ وهي أرض المعبد أو الهيكل اليهودي المزعوم «هيكل سليمان» في مدينة القدس العربية الفلسطينية!

٨ ـ وهي أيضا أرض «الميعاد» التي يجب أن يعود إليها اليهود مهما طالت فترة تشردهم وشتاتهم، فهي من وجهة نظرهم الأرض الموعودة التي وعد بها إبراهيم عليه السلام، وأنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا من بعده!

هكذا...

وبجرة قلم من العديد من المؤرخين والباحثين الموتورين على مدى قرون طويلة، أصبحت فلسطين العربية زورا وبهتانا وبكل بساطة هي أرض اليهود وموطنهم الأصلي!!!

وقد أدت القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لأحداث الشرق الأدنى القديم لنتائج كارثية مروعة للشعب العربي الفلسطيني، فمن جراء هذه القراءة المغرضة، قام العالم المسيحي الغربي «الأوربي والأمريكي» بمساعدة الصهاينة في الهجرة إلى فلسطين العربية في العصر الحديث. وقدم لهم الدعم المالي والعسكري والتكنولوجي والإعلامي حتى يتمكنوا من إنشاء كيانهم الغاصب فيها في العام الميلادي ١٩٤٨، وبالتالي فقد الشعب العربي الفلسطيني معظم أراضيه التي تبلغ نحو ٧٦,٤٪ من المساحة الكلية لفلسطيني العربية، وفقد هذا الشعب أيضا تاريخه كله وماضيه وحاضره ومستقبلة، وأصبح مجموعات من اللاجئين في أرضه وفي الدول العربية المجاورة بل وفي شتى أرجاء العالم، وخلال الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة حرب الأيام الستة كما يسميها الصهاينة ـ والتي وقعت أحداثها في العام الميلادي ١٩٦٧، احتل الصهاينة كل ما تبقى من أرض فلسكين التاريخية.

ومن الغريب أن الصهاينة يزعمون أن التاريخ اليهودي القديم مستوحى بأكمله من نصوص التوراة وكتاب العهد القديم، إلا أن الحقيقة التي لا يرقى الشك إلى صحتها، هي أن التوراة المتداولة حاليا بين اليهود والنصارى معا، ليست هي التوراة الأصلية التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام، فمن المعروف جيدا أن النسخة الأصلية الوحيدة

من توراة موسى فقدت واختفت نهائيا وإلى الأبد في مرحلة مبكرة من عمر الدعوة الموسوية. والتوراة المتداولة حاليا لا تمت بصلة من قريب أو من بعيد لتوراة موسى الأصلية، فمادة التوراة الحالية ليست منزلة من السماء كما يعتقد اليهود والنصارى، وإنما هي جمعت من هنا وهناك، ومن مشارب ومصادر كثيرة ومتنوعة بل ومتناقضة في كثير من الأحيان، والحقيقة أن التفكير في تدوين توراة جديدة بدلا من توراة موسى الضائعة والمفقودة لم يبدأ ألا بعد انقضاء نحو سبعمائة عام على وفاة نبي الله موسى عليه السلام، وقد استمرت عمليات تحرير وتدوين وتنقيح التوراة الجديدة وإضافة المزيد من النصوص الجديدة إلى نصوصها أكثر من ١٥٠٠ عاما. وقد دونت التوراة البديلة على أيدي شتى أنواع وأصناف البشر، ورد في قاموس الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ما يلي:

«ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتبا، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب والملك والنبي والسياسي والقائد» (٣).

وبما أن توراة موسى الأصلية فقدت واختفت عن الوجود منذ أمد بعيد، فإن المحاولات الأولى لتدوين أصول التوراة الوضعية البديلة كانت في «بابل» وليس في فلسطين العربية، وقد دونت التوراة الجديدة استنادا إلى روايات سماعية يرقى الشك إلى صحتها، وتفتقر جميعها للسند اللازم للبرهنة على صحة التواتر، ويغلب على هذه الروايات الطابع الخيالي والخرافي والأسطوري، وفضلا على ذلك ضمَّن الكهنة اليهود توراتهم البديلة حشد كبير من أساطير شبه جزيرة العرب، وسطوا على التراث الفكري الهائل للكنعانيين والأشوريين والبابليين والفراعنة، واقتبسوا منه بلا حدود، إضافة إلى ديانات وفلسفات فارس والهند والصين، فالتوراة المتداولة حاليا لم تعد في الواقع كتابا دينيا مقدسا منزلا من السماء، كما وأنها ليست كتابا تاريخيا موثوقا به بالرغم من تناثر بعض الحقائق التاريخية عبر صفحاتها، وهي أيضا ليست كتابا ميثولوجيا مشوقا ومسليا ويبعث البهجة والسرور في النفوس، وقد قال الأستاذ «روبرت ألتر» عن التوراة الحالية ما يلي:

«إن التوراة المتداولة حاليا، يجب قراءتها بعيون الأدب، وليس بعيون التاريخ والدين» (٤).

وعلى أساس الاعتبارات سالفة الذكر فلا يمكن بأي حال من الأحوال أخذ المعلومات التاريخية المتعلقة بفلسطين العربية والواردة في التوراة على محمل الجد، ولا اعتبارها حقائق تاريخية مسلم بها أو أنها حدثت فعلا في التاريخ القديم.

وبالرغم من الشك الكبير الذي يدور حول نصوص التوراة، فإن نسبة كبيرة من المسيحيين واليهود لا تزال تتمسك بحرفية نصوص كتاب العهد القديم وتجلها وتقدسها، وتضعها في مرتبة أسمى وأرقى من أي نقد وتحليل باعتبارها نصوص مقدسة. إلا أن هناك الكثير من المؤرخين والمفكرين والباحثين اعتادوا منذ أكثر من قرن من عمر الزمن على المعالجة العلمية للنصوص التوراتية على أساس أنها إرث فكري إنساني وليس كتابا مقدسا ومنزلا من السماء، ولذلك فإن تلك النصوص قابله للبحث والدراسة والتحليل بل والنقد وإعادة النظر في عقلانيتها ومصداقيتها، وهؤلاء ليس جميعهم من الملحدين والعلمانيين الذين من الممكن الشك في درجة إيمانهم، وإنما يوجد من بينهم عدد كبير من رجال الدين وكبار الكهنة وعلماء الدراسات التوراتية واللاهوتية، فضلا عن علماء الآثار. وعلماء النفس والاجتماع، إضافة إلى الأطباء والأدباء والفلاسفة ويبدو الآن أن ما ورد في التوراة من نصوص تاريخية ليست مقدسة ومنزلة من الله تعالى وليس لها أدنى علاقة بتعاليم السماء وشرائعها ونواميسها.

وفي الواقع أن المحاولات القديمة والمستمرة حتى يومنا هذا من أجل البرهنة على صحة القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وللروايات التاريخية التوراتية واثبات أنه كان لليهود تاريخ قديم في فلسطين العربية، لجأ الصهاينة بشقيهم اليهودي والمسيحي إلى ما يلي:

أولا: خنق التاريخ العربي الفلسطيني بأكمله بل وقتله ودفنه إذا كان هذا ممكنا، ثم استبداله بتاريخ يهودي وهمي ومزور في فلسطين العربية وبالتالي تهويد التاريخ العربي الفلسطيني من أوله لآخره ولقد جهز العالم لاستعماري الغربي المسيحي مجموعات كبيرة من خيرة وأكفأ المؤرخين والمفكرين والباحثين ورجال الدين لتزوير التاريخ الفلسطيني القديم والتوصل في نهاية المطاف لتهويد ذلك التاريخ ولأمثلة على ذلك كثيرة ولا حصر لها ويأتي في مقدمتها ما يلي:

١ ـ تجاهل وجود الشعب العربي الفلسطيني على أرضه وأرض أبائه وأجداده

القدماء، وأسبقيته التاريخية في استيطان أرض فلسطين العربية ومنذ عصور موغلة في القدم، فمن المعروف جيدا أن العرب الكنعانيين أسلاف الشعب العربي الفلسطيني الحالي هاجروا إلى فلسطين من شبه جزيرة العرب ابتداء من الألف السادس قبل الميلاد. تلتهم القبائل العربية الفلسطينية التي هاجرت إلى فلسطين العربية أيضا من شبه جزيرة العرب والوجود العربي الكنعاني والفلسطيني، يسبق الظهور التاريخي لليهود على مسرح التاريخ بعدة آلاف من السنين.

٢ ـ والأدهى من ذلك فقد روج الصهاينة لفكرة أن الشعب الفلسطيني ينحدر من جذور أوربية، وأنه هاجر إلى فلسطين العربية انطلاقا من جزيرة (كريت) (٥) بحدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد، بالرغم من أنهم يعلمون علم اليقين أن الشعب العربي الفلسطيني شعب عرب أقحاح من الذين هاجرت قبائلهم من غرب شبه جزيرة العرب. ولا يخفى على أحد الهدف الكامن وراء هذا الزعم الصهيوني الكاذب. فالصهاينة ومن يدور في فلكهم يريدون إظهار الشعب العربي الفلسطيني ـ الصاحب الأصلي للأرض والتاريخ والحضارة ـ وكأنه هو الشعب الغريب عن أرض فلسطين العربية، وهو الشعب المستحدث في تاريخها، والشعب الطارئ والعابر على هذا التاريخ، وبذلك يتساوى الشعب العربي الفلسطيني مع المهاجرين اليهود الأجانب والغرباء عن أرض فلسطين العربية، والذين توافدوا إليها من كل حدب وصوب، ومن مشارق الأرض ومغاربها، ومن أكثر من مائة دولة، وينتمون لعشرات القوميات والإثنيات والأعراق والأجناس، ووصلوا أرضها خلال القرنين الميلاديين التاسع عشر والعشرين، ولا يزالون يتوافدون إلى أرض فلسطين العربية حتى يومنا هذا.

ثانيا: لم يكتف العالم الغربي المسيحي بمساعدة اليهود والصهاينة والوقوف موقفا صلبا وحاسما إلى جانبهم من أجل تزييف وتزوير التاريخ العربي الفلسطيني القديم ثم تهويده وإنما قام هذا العالم بإرسال المئات من البعثات الأثرية والإرساليات الاستكشافية ذات الطابع التوراتي واللاهوتي من أجل إجراء عمليات الحفر والتنقيب والمسح الأثري لكامل الأراضي الفلسطينية سواء على سطحها أو في باطنها على أمل العثور على أدلة أثرية تبرهن على ما يلي:

- وجود تاريخ يهودي في فلسطين العربية..!
- إثبات صحة الروايات التوراتية البائدة!

ولقد كان هؤلاء المنقبون الأثريون على ثقة تامة ويقين مسبق بإمكانيتهم العثور على آثار ذات طابع يهودي في أرض فلسطين العربية لدرجة أنهم اعتمدوا التوراة كدليل للآثار أثناء حفرهم وتنقيبهم فيها، وفي الواقع أن الدراسات الأثرية في فلسطين العربية قد ابتدأت تقريبا منذ منتصف القرن الميلادي التاسع عشر واستمرت حتى يومنا هذا، وتم إجراء مسح أثري شامل وواسع النطاق لكافة الأراضي الفلسطينية وأراضي الدول العربية المجاورة ذات العلاقة ودرست آثار فلسطين العربية كما لم تدرس آثار أي بلد من بلدان العالم، وبعد انقضاء سنوات طويلة على الدراسات الأثرية المكثفة وواسعة النطاق في فلسطين العربية، كانت المفاجأة شديدة وقاسية على علماء الآثار، ومأسوية ومروعة جدا للصهاينة وللعالم المسيحي الغربي للأسباب التالية:

١ ـ خلال أكثر من قرن ونصف القرن من عمر الزمن، فشل علماء الآثار اليهود والأجانب معا فشلا ذريعا في العثور على آثار ذات طابع يهودي في فلسطين العربية بأسرها حتى ولو كان أثرا وحيدا ويتيما. ومهما كان بسيطا وتافها يدعم موقف التوراة ويدلل على وجود تاريخ يهودي قديم في فلسطين العربية، وكل ما استطاع علماء الآثار العثور عليه هي: آثار عربية كنعانية وفلسطينية، إضافة إلى آثار فرعونية وآشورية وبابلية وفارسية وإغريقية ورومانية، فضلا على آثار ذات طابع عربي أسلامي.

٢ ـ في الحقيقة أن علماء الآثار فشلوا تماما في اكتشاف أي أثر لجميع الأماكن الجغرافية التي ورد ذكرها في التوراة، الأمر الذي يدل على أن تلك الأماكن لا توجد في فلسطين العربية، وإنما توجد في خارجها وأن التفسير الخيالي الحالي لنصوص التوراة ضمها زورا وبهتانا للأرض العربية في فلسطين، وإن ما يزعمه الصهاينة عن وجود وصف لها في نصوص التوراة بصفته أرض «الميعاد» ليس سوى أكاذيب وأوهام وخدع غربية استشراقية وليدة عهد الاستعمار.

٣ ـ وفي الأثر الفرعوني الهائل جدا فإن الفراعنة الذين لم يتركوا صغيرة كانت أو كبيرة حدثت في منطقة الشرق الأدنى القديم ألا وسجلوها تسجيلا مفصلا ودقيقا في مدوناتهم ووثائقهم، إلا أنهم في الواقع لم يأتوا في سجلاتهم بأي ذكر لشعب اسمه «بنو إسرائيل» يقيم في دولة مصر الفرعونية ولا عن مدة إقامتهم التي تزعم التوراة أنها كانت ٤٣٠ عاما، ولا يوجد في الأثر الفرعوني أيضا أي ذكر لجميع الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل في مصر الفرعونية ولا ذكر في الأثر الفرعوني لنبيي الله يوسف

وموسى عليهما السلام، ولا حتى للخروج الإسرائيلي من مصر الفرعونية بقيادة موسى عليه السلام، وتوجه بنو إسرائيل لصحراء سيناء وقد فشل علماء اليهود بعد الاحتلال الصهيوني لأراضي صحراء سيناء خلال الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة التي دارت رحاها في العام الميلادي ١٩٦٧ من العثور على أدلة أثرية تدعم موقف التوراة فيما يتعلق بالخروج الإسرائيلي من دولة مصر الفرعونية كما يزعم الذين فسروا النصوص التوراتية.

٤ ـ وفي أثر بلاد وادي الرافدين ـ الأشوري والبابلي ـ الهائل أيضا لا يوجد في مدوناتهم ووثائقهم أي ذكر لبني إسرائيل كشعب من شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم، ولا للمملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية التي يزعم الصهاينة بأن اليهود قد أسسوها قبل جوالي ثلاثة آلاف عاما.

يستفاد مما تقدم ما يلي:

١ ـ لا وجود لتاريخ يهودي قديم في فلسطين العربية.

٢ ـ لا وجود لمملكة يهودية قديمة في فلسطين العربية كما تزعم التوراة.

٣ ـ ولا وجود لتاريخ يهودي قديم في دولة مصر الفرعونية.

وبالتالي فإن الهيكل العام لتركيب منظومة القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم |أصبحت متهالكة ومتهاوية وفي حكم المستحيل بل ويمكن اعتبارها غير قائمة إلا في خيال وأوهام الصهاينة وأصحاب النزعات المارقة.

وإذا كان الأمر كذلك....

ـ فمن أين أتى اليهود القدماء إذن؟

ـ وما هو موطنهم الأصلي؟

ـ وأين مهد الديانة اليهودية؟

من المؤكد أن اليهود القدماء لم يسقطوا على الأرض وخصوصا إلى منطقة الشرق الأدنى القديم من كوكب آخر من كواكب المجموعة الشمسية، ولم يأتوا إليها من قارتي أمريكية الشمالية أو الجنوبية ولا من قارة أسترالية.

كما وأن اليهود القدماء لم يهاجروا إلى الشرق الأدنى القديم من أدغال قارة أفريقية، ولا من صحاريها!

فمن الأرجح أن اليهود القدماء كانوا شعبا صغيرا ومغمورا ومحدود الإمكانيات من ضمن شعوب كثيرة في منطقة الشرق الأدنى القديم. ومن المؤكد أن تواجده لم يكن على أرض فلسطين العربية إذ أن الدراسات التاريخية الحديثة تشير إلى أن الموطن الأصلي لليهود القدماء وبيئتهم الطبيعية ومهد ديانتهم كان في غرب شبه جزيرة العرب، وتحديدا إما في بلاد عسير حسب بعض الدراسات التاريخية الحديثة وإما في بلاد اليمن القديم حسب دراسات أخرى.

ـ ولكن ماذا عن أصل اليهود المعاصرين؟

تشير الدراسات التاريخية أن يهود اليوم ينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة شعب الخزر الآسيوية وهؤلاء في الواقع لا يمتون بصلة من قريب أو من بعيد لبني إسرائيل الأوائل ولليهود القدماء، وهذا ما سوف نتناوله في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

٢

التاريخ اليهودي القديم

قـــراءة نـقـديـــة

مقدمة موجزة في التاريخ اليهودي التوراتي

تبدأ التوراة التاريخ اليهودي المزعوم بداية مقدسة بنسبها الجماعات اليهودية القديمة لنبي الله إبراهيم عليه السلام، وتربط اليهود به من الناحية العرقية والدينية وتطلق التوراة صفة العبري أو العبراني على إبراهيم عليه السلام، وقد يكون هذا نسبة إلى رجل يدعى «عابر» الجد الخامس لإبراهيم، وتذكر التوراة أن «عابر» هذا هو ابن «شالح» حفيد سام بن نوح، ومن الممكن أن تكون هذه الصفة أطلقت على إبراهيم العبراني لقيامه هو وقومه بعبور نهر الفرات أو نهر الأردن، علما بأن عبور الأنهار في تلك الأزمنة الغابرة، لم يكن عملا فريدا يؤرخ به، وتطلق صفة «العبراني» على من يقوم به، فعبور الأنهار وقتئذ كان عملا يوميا، ويعتقد المؤرخ اليهودي الدكتور «إسرائيل ولفنسون» أن صفة «العبرى» تعود للصحراء الموطن الأصلي للجماعات العبرية، لأن تلك الجماعات البدائية كانت تقطع أو «تعبر» مسافات طويلة من الصحارى باستمرار بحثا عن قوت يومها. كما وأن التوراة تطلق اسم «العبرانيين» على جموع الموسويين الذين خرجوا من «مصريم» مع نبي الله موسى عليه السلام كما ورد في الفقرة الثالثة من الإصحاح الرابع لسفر صموئيل الأول.

ومن المأثور أن نبي الله إبراهيم عليه السلام، ليس أصلا من أرض كنعان «فلسطين العربية»

وإنما آتى إليها مهاجرا من بلاد وادي الرافدين بعد أن نبذه قومه وتخلى عنه أهله ولفظته عشيرته بسبب رسالته الدينية التوحيدية، وتنسب التوراة أيضا جماعة بني إسرائيل لحفيد إبراهيم نبي الله يعقوب الملقب بـ «إسرائيل» عليهما السلام، وبعد أن تسرد التوراة قصة بني إسرائيل الأوائل مع أخيهم نبي الله يوسف عليه السلام، تنقل يعقوب «إسرائيل» في رحلة هجرة جديدة إلى أرض مصرايم «مصريم»، وكان عدد بني إسرائيل الذين دخلوا أرض مصرايم نحو سبعين نسمة فقط، فقد جاء في سفر الخروج ما يلي:

- «وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا مع يعقوب، جاء كل إنسان وبيته (عائلته): راؤبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير، وكان جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسا» (٦)

ويذكر سفر الخروج أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصرايم أو مصريم بلغت ٤٣٠ عاما، فقد ورد في هذا السفر ما يلي:

- «أما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر، فكانت ٤٣٠ عاما، وعند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة، في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد بني إسرائيل خرجت من أرض مصر» (٧).

وفجأة تطالعنا التوراة بأخبار اضطهاد أهل مصرايم (مصريم) لبني إسرائيل، وبعد أحداث كارثية ومأسوية لحقت بأهل مصرايم كنوع من انتقام الرب «يهوه» منهم، تمكن بني إسرائيل من الخروج من أرض مصرايم بقيادة نبي الله موسى عليه السلام، وتوجهوا صوب أرض كنعان حسب مشيئة الرب «يهوه» وإرادته كما ورد في الإصحاح الثالث من سفر الخروج:

- «فقال الرب، إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين والآن... هو ذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إلي، ورأيت أيضا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون، فالآن هلم أرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر» (٨).

ويحدثنا سفر الخروج وهو ثالث أسفار التوراة وكتاب العهد القديم أيضا بما صادفه موسى عليه السلام وجماعته التي خرجت بقيادته من مشاق وصعوبات بالغة وهم في جوف الصحراء القاحلة، ثم قضاؤهم أربعين عاما في التيه والضياع في مجاهل تلك الصحراء، وبعد انقضاء سنوات التيه والضياع في الصحراء الجرداء القاحلة، حاول موسى التوراتي وجماعته دخول أرض كنعان عن طريق بوابتها الجنوبية، إلا أنهم فشلوا في ذلك، لأن الملك العربي الكنعاني «عراد» تصدى لهم وأجبرهم على تغيير خط سيرهم والرحيل عن أراضي مملكته، وأرض كنعان حسب التفسير الغربي الاستعماري الحالي لنصوص التوراة، هي أرض فلسطين العربية الواقعة في غرب قارة آسية، ولكن الحقيقة غير ذلك تماما، وسوف نأتي للتعرف على أرض كنعان التوراتية في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

على أية حال توجه موسى وقومه بعد رحيلهم عن جنوب أرض كنعان إلى هـ ـ يردن التوراتية، وهـ ـ يردن حسب التفسير الحالي للتوراة هي منطقة شرق الأردن! وفي أراضي شرق الأردن توفي نبي الله موسى ثم لحق به شقيقه نبي الله هارون عليهما السلام دون أن تطأ أقدامهما قط تراب أرض كنعان، ولا أحد يعرف مكان قبريهما حتى يومنا هذا، وتزعم التوراة أن خادم موسى المدعو «يوشع بن نون»، تولى القيادة في بني إسرائيل من بعدهما، وتذكر التوراة أن خليفة موسى «يوشع بن نون» استطاع القيام بغزو عسكري مدمر لأرض كنعان ـ أو فلسطين العربية كما في القراءة الحالية لنصوص التوراة ـ ودمر مدنها وقراها وأحرقها واحتلها، وأباد شعبها العربي الكنعاني إبادة تامة، وطهرها تطهيرا عرقيا من أصحابها العرب، ووضع في مكانهم أسباط بني إسرائيل الاثني عشر.

وإمعانا في سياسة خنق التاريخ الفلسطيني القديم واغتياله ووأده واستبداله بتاريخ يهودي وهمي مزور ومزيف في فلسطين العربية، لجأ المؤرخون والمفكرون والباحثون الصهاينة سواء كانوا يهودا أو مسيحيين وربما كنوع من المجاملة لشعب الله المختار، ومن بينهم كتاب عرب ومسلمون، إلى تقسيم مراحل التاريخ اليهودي في فلسطين العربية إلى ثلاثة عصور أو مراحل هي كالتالي:

١ ـ عصر القضاة!

٢ ـ عصر الملوك: أو عصر المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية!

٣ ـ عصر انقسام المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية ثم زوالها!

عصور التاريخ اليهودي المزعوم في فلسطين العربية

أولا: عصر القضاة:

في عصر القضاة المزعوم في فلسطين العربية حسب زعم التوراة، تولى حكم بني إسرائيل الذين استقروا فيها، أناس كان يختارهم الرب «يهوه» ليكونوا بمثابة الأنبياء والمصلحين لبني إسرائيل، وقادته السياسيين والعسكريين، إضافة إلى أنهم كانوا المنقذين لشعب الله المختار من المحن والشدائد والويلات التي تلم بهم من جراء عصيانهم وكفرهم بربهم «يهوه»، فضلا على أنهم أبطاله في الحروب التي يخوضونها مع أعدائهم. وكلما مات قاض من قضاة بني إسرائيل، ارتد شعب الله المختار عن طريق الإيمان والتقوى. وعصوا أوامر ربهم «يهوه» ولكن سرعان ما يسارع ربهم بإرسال قاض جديد فيهم من أجل أن يردهم لطريق التقوى والإيمان والاستقامة.

بلغ عدد قضاة بني إسرائيل أربعة عشر قاضيا، كان أولهم القاضي «عتنائيل»، أما آخرهم فكان القاضي «صموئيل»، وكان قضاة بني إسرائيل أحيانا من النساء مثل القاضية «ببورة»، وفي هذا العصر اختلط بنو إسرائيل بالشعب العربي الكنعاني، وتزاوجوا مع بعضهم البعض. وعبدوا آلهتهم، وتكلموا بلغتهم التي تسميها التوراة «سفت كنعن» أي لغة كنعان، ولقد اكتسب بنو إسرائيل الكثير من مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية والمدنية والحضارية للكنعانيين خلال هذا العصر، فتعلموا أساليب الزراعة والري، وتركوا الخيام التي كانوا يسكنون فيها، واستبدلوها بمنازل عصرية على غرار المنازل الكنعانية، واستبدلوا الملابس الخشنة التي كانوا يرتدونها بملابس كنعانية مزركشة وزاهية الألوان.

ثانيا: عصر الملوك، المملكة اليهودية القديمة:

عندما شاخ وهرم القاضي «صموئيل» آخر قضاة بني إسرائيل، وأصبح غير قادر على مزاولة مهام عمله، أوكل مهمة القضاء في قومه لاثنين من أبنائه، إلا أنهما فسقا

وضلا السيل، وسادت الرشوة طابع حكمهما، فتذمر شيوخ بني إسرائيل وأعيانهم، وقرروا رفع أمرهما لوالدهم القاضي «صموئيل»، وبعد أن شكوا له ظلم أولاده وطغيانهم وفسادهم، طلبوا منه طلبا غريبا على بني إسرائيل، وهو أن يختار لهم رجلا من بينهم ليكون ملكا عليهم مثل سائر الشعوب، فوجئ القاضي «صموئيل» بهذا الطلب من قومه، واحتار في أمره، فمن المفترض أن بني إسرائيل يحكمون مباشرة من الرب «يهوه»، ولا يحتاجون لوساطة ملك أو أمير، وفي نهاية المطاف اضطر القاضي «صموئيل»، بعد إلحاح شديد من قومه ونزولا عند رغبتهم أن يذعن لطلبهم، واختار لهم رجلا من بينهم ليكون أول ملك على بني إسرائيل، وكان هذا الرجل اسمه «شاؤول بن قيس أو شاول» وبذلك ابتدأ عصر الملوك أو عصر المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية حسب زعم التوراة، وقد تعاقب على عرش تلك المملكة المزعومة في فلسطين العربية ثلاثة ملوك هم كالتالي:

١ - شاؤول بن قيس «شاول».

٢ - داود التوراتي.

٣ - سليمان التوراتي.

١ - شاؤول بن قيس «شاول»:

كان شاؤول بن قيس (شاول) أول ملوك المملكة اليهودية القديمة المزعومة في فلسطين العربية، وبحسب ما ورد في التوراة، يبدو أن الملك شاؤول بن قيس تخاذل وتقاعس في حروبه مع أعداء بني إسرائيل، فلم يتمكن من السيطرة إلا على منطقة التلال الداخلية من فلسطين العربية كما تزعم التوراة، وهذا الأمر جعل الرب «يهوه» يغضب منه غضبا شديدا، ويندم على اختياره له كملك على بني إسرائيل، وقد تميزت فترة ولاية شاؤول بن قيس بالخلافات والنزاعات الداخلية بين بني إسرائيل، وظهور النزعات والدعوات الانفصالية بينهم، وفي نهاية المطاف لقي شاؤول بن قيس (شاول) مصرعه في معركة «جبل جلبوع» مع الفلسطينيين حسب زعم التوراة، وقتل في هذه المعركة أيضا ثلاثة من أبنائه كان من بينهم ولي عهده المدعو «يوناثان». وبعد موت الملك شاؤول بدأت الانقسامات واضحة وجلية بين أسباط بني إسرائيل في وقت مبكر

من عمر المملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية، إذ بايعت الأسباط الشمالية الابن الرابع لشاؤول وكان يدعى «أشبوشت» ملكا عليها، في حين بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكا عليها.

٢ ـ داود بن يسي:

يزعم كتاب العهد القديم أن نبي الله داود عليه السلام «داود بن يسي» تولى الملك في بني إسرائيل بعد مصرع الملك شاؤول بن قيس، وكان داود التوراتي يعمل ضابطا عسكريا في بلاط شاؤول «شاول» الملكي، وكنتيجة للانتصارات العسكرية العظيمة التي حققها داود التوراتي على أعداء بني إسرائيل، حقد عليه الملك شاؤول بنْ قيس، وامتلأ صدره حسدا وكرها له، فقرر الانتقام منه على انتصاراته لأنه خشي منه على كرسي عرشه، وفعلا أصدر عليه حكما بالإعدام ضده، إلا أن داود التوراتي استطاع حسب زعم التوراة الفرار إلى أراضي مملكة الملك الفلسطيني «أخيش» (٩)، وقضى في ضيافته عاما وأربعة أشهر.

وفي عهد الملك داود تزعم التوراة أن بني إسرائيل تمكنوا من دخول مدينة القدس أو أورشليم لأول مرة في تاريخهم كما تذكر التوراة، علما بأن مدينة القدس العربية لم تكن تعرف باسم مدينة أورشليم في تلك الأزمنة الغابرة، ثم اتخذ الملك داود من هذه المدينة عاصمة لمملكته، ونقل عاصمته القديمة «حبرون» إليها، وبحسب المزاعم التوراتية فإن المملكة اليهودية الموحدة المزعومة في فلسطين العربية بلغت أقصى اتساعها وامتدادها في عهد الملك داود التوراتي، ووصلت هذه المملكة المزعومة قمة مجدها وازدهارها وقوتها، وأوج سلطانها ونفوذها الإقليمي والعالمي وأصبحت إمبراطورية شاسعة تمتد أراضيها بين نهري النيل والفرات، ويخشى منها ويعمل لها ألف حساب، إلا أن الأمر الذي ينفي هذه الأسطورة هو أن فلسطين العربية في الواقع لم تشهد في أي مرحلة من مراحل تاريخها الطويل كله، قيام دولة فيها من الطراز الخيالي والأسطوري الذي تتحدث عنه النصوص التوراتيةّ!!.

وتذكر المصادر اليهودية أن الملك داود التوراتي فكر وخطط لبناء بيت للرب أو المعبد «الهيكل اليهودي» في مدينة القدس العربية «أورشليم»، ووفر الأموال اللازمة للبناء، وخزن مواد البناء مثل الصخور والأحجار وخشب الأرز اللبناني، وملأ خزائنه

بالذهب والفضة لاستخدامها في تزيين أسقف وجدران المعبد اليهودي «الهيكل المزعوم» إلا أنه لم يباشر في بناء هذا المشروع إلا في العام الرابع من ولاية الملك سليمان التوراتي.

٣ ـ سليمان بن داود:

خلف الملك سليمان التوراتي والده داود بن يسي على عرش المملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية، وتذكر التوراة أن الملك سليمان التوراتي لم يكن بقوة والده العسكرية، وفقد أجزاء كبيرة من أراضي إمبراطوريته المترامية الأطراف، وقد اهتم الملك سليمان التوراتي بإقامة المنشآت العمرانية الضخمة والفخمة مثل المعبد اليهودي الأول أو ما يعرف باسم هيكل سليمان المزعوم في مدينة القدس والقصور الملكية بنفس المدينة، وفضلا على ذلك قام الملك سليمان التوراتي بإقامة عدد كبير من الحصون والقلاع والثكنات العسكرية في كافة أرجاء إمبراطوريته، إضافة إلى إسطبلات الخيل، وقد عرف عن الملك سليمان التوراتي عشقه للجياد وتربيته لها، وتلك المشاريع العمرانية الضخمة أرهقت ميزانية الملك سليمان، فاضطر إلى فرض ضرائب باهظة على شعبه ليعوض ما خسره من أموال طائلة.

ثالثا: عصر انقسام المملكة اليهودية الموحدة في فلسطين العربية:

بعد وفاة الملك سليمان التوراتي، تذكر التوراة أن ابنه «رحبعام» جلس على عرش المملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية، وقد كان الملك رحبعام بن سليمان صغير السن وليس بحكمة والده ولا حنكته وسعة صدره، بل وكان أرعنا ومتهورا، فتصرف تصرفات حمقاء شاذة وغير لائقة مع بني إسرائيل عند مخاطبتهم له في مدينة «شكيم» فقد طلبوا منه أن يخفف من المعاناة التي يعانوها بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها عليهم والده الملك سليمان التوراتي بقولهم له ما يلي:

«إن أباك ثقل نيرنا، وأما أنت فخفف من نيرنا»

فأجابهم الملك رحبعام بن سليمان بقسوة وهمجية قائلا لهم:

- «أبي حملكم نيرا ثقيلا، وأنا أزيد من نيركم، أبي أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب» (١٠).

فوجئ بنو إسرائيل بهذا الرد البربري من الملك رحبعام، وبلغ منهم الغضب مبلغا كبيرا، فثاروا عليه وقاموا بقتل المفوض الملكي وكان اسمه «أدورام» فسارع الملك رحبعام بركوب عربته والفرار إلى مدينة القدس العربية «أورشليم» وفيها بايعت الأسباط الجنوبية وخصوصا سبطي يهوذا وبنيامين رحبعام بن سليمان ملكا عليها، أما الأسباط الشمالية فبايعت رجلا آخر اسمه «يربعام بن ناباط» ملكا عليها، وبذلك انقسمت المملكة اليهودية الموحدة في فلسطين العربية إلى مملكتين مزعومتين أيضا:

الأولى: مملكة شمالية اسمها «إسرائيل»، كانت عاصمتها مدينة «السامرة» وجلس على عرش هذه المملكة يربعام بن ناباط الذي كان ضابطا عسكريا في بلاط سليمان الملكي، إلا أنه تمرد وثار عليه طمعا في الاستيلاء على كرسي العرش، وعندما اكتشف أمره خشي من انتقام الملك سليمان التوراتي منه، فلاذ بالفرار إلى «مصرايم» أقام فيها إلى ما بعد وفاة الملك سليمان التوراتي.

والثانية: مملكة جنوبية اسمها «يهوذا»، وكانت عاصمتها هي مدينة القدس العربية «أورشليم» وجلس على عرشها الملك رحبعام بن سليمان.

وتذكر التوراة أن المملكة اليهودية الشمالية كانت أكبر اتساعا وامتدادا من المملكة اليهودية الجنوبية وأكثر ثراء منها، وقد سادت مظاهر الشرك والكفر، والفساد والفسق والفجور في المملكتين اليهوديتين المزعومتين في فلسطين العربية لدرجة أن القرابين البشرية كانت تقدم تحت أقدام الآلهة وبخاصة في المملكة الشمالية، وقد اندلعت بين المملكتين اليهوديتين حروب طاحنة قتل خلالها مئات الآلاف من بني إسرائيل، وأسر منهم أيضا مئات الآلاف، كما ورد في سفر الأخبار الأول:

● «وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم مئتي ألف من النساء والبنات، ونهبوا منهم غنيمة وافرة، وأتوا بها إلى السامرة، وكان هناك نبي للرب اسمه (عوديد) فخرج للقاء الجيش الآتي إلى السامرة وقال: هو ذا غضب الرب إله آبائكم على يهوذا قد دفعهم ليدكم، وقد قتلتموهم بغضب من السماء» (١١).

وتزعم التوراة أن الحروب الدامية استمرت بين المملكتين اليهوديتين في فلسطين العربية لفترة طويلة، ولم تتوقف نهائيا إلا عد اجتياح الفرعون سيشنق الأول التي تسميه التوراة اسم «شيشق» لجميع الأراضي الفلسطينية وأراضي شرق الأردن، ومن المعروف

تاريخيا أن الفرعون شيشنق الأول ملك دولة مصر الفرعونية والذي ينحدر من جذور ليبية لم يغز فلسطين العربية، وإنما قام بغزو بلاد «يهوذا» الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب، ولكن القراءة الحالية المشوهة لتاريخ الشرق الأدنى القديم ولنصوص التوراة، جعلت من الحملة العسكرية لشيشنق الأول تتوجه إلى فلسطين العربية، بدلا من توجهها إلى شبه جزيرة العرب، وبنيت الرواية التوراتية عن الحملة العسكرية لشيشنق الأول على هذا الأساس.

وبالرغم من أن الفرعون شيشنق الأول قد أنهى الوجود السياسي اليهودي في فلسطين العربية ـ هذا إذا ما كان لهم وجود سياسي أصلا ـ إلا أن كتبة التوراة استمروا في سرد أخبار المملكتين اليهوديتين المزعومتين في فلسطين العربية، ونقل أخبار الملوك التسعة عشر الذين اعتلوا عرش كل واحدة منهما، ليس هذا وحسب بل وداموا على اختراع أحداث ووقائع وهمية وزعموا أنها وقعت لليهود في فلسطين العربية.

فبين الأعوام ٨٨٥ و٨٧٤ قبل الميلاد، قامت في فلسطين العربية مملكة «بيت عمري» التي يعتبرها اليهود مملكة خاصة هم، إلا أن الحقيقة غير ذلك تماما، فمملكة بيت عمري كانت في الحقيقة مملكة عربية كما يدل اسمها، وليست مملكة يهودية، فعمري هذا كان من العرب الأنباط أو «بنو ثابت» وهو الذي أسس مدينة سمر «السامرة». ومن بعد عمري خلفه على عرش هذه المملكة ابنه «أخاب» الذي حكم بين الأعوام ٨٧٤ و٨٥٣ قبل الميلاد، ومملكة أخاب بن عمري هي بالطبع مملكة عربية وليست يهودية.

وتذكر التوراة أن القائد الأشوري سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ قبل الميلاد) غزا أرض فلسطين العربية، واجتاح المملكة اليهودية الشمالية «إسرائيل» ودمرها واستولى على عاصمتها «السامرة»، وفي كتب التاريخ التقليدية التي تأخذ بالقراءة الخيالية الأوروبية الاستشراقية الكولولنيالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، أنه بعد هزيمة سرجون الثاني للمملكة اليهودية ونفاهم إلى عاصمته «نينوى» ثم وضع في مكانهم قبائل ثمود ومارسيماتو وأباديدى العربية التي كان قد هزمها من قبل إضافة إلى أنه أتى بعناصر سكانية أخرى جاء بها من بابل وكوت وحماة وعوا وأسكنهم في مدن السامرة (١٢).

ومن الغريب أن كتبة التوراة أطالوا في عمر المملكة اليهودية الجنوبية «يهوذا» في

فلسطين العربية، ولم ينهوا وجودها إلا في العام ٥٨٦ قبل الميلاد، وعندما غزا القائد البابلي نبوخذ نصر الثاني أو بختنصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢قبل الميلاد) الأراضي الفلسطينية حسب زعم التوراة، وهاجم مدينة القدس العربية «أورشليم»، ودمرها وهدم الهيكل اليهودي الأول فيها، وساق من بقي من يهودها أسرى وعبيدا إلى عاصمته «بابل» أي ما عرف تاريخيا باسم الأسر البابلي المزعوم ليهود مدينة القدس.

في العام ٥٣٩ قبل الميلاد احتل القائد الفارسي قورش الثاني (٥٥٠ ـ ٥٢٩ قبل الميلاد) الأراضي البابلية، وقوض أركان الإمبراطورية البابلية، ثم واصلت جيوش الملك الإخميني قورش الثاني زحفها غربا صوب بلاد الشام واجتاحها ومن ضمنها فلسطين العربية في العام ٥٣٨ قبل الميلاد، وتذكر التوراة أن القائد الفارسي قورش الثاني سمح لمن يرغب من يهود الأسر البابلي بالعودة إلى مدينة القدس العربية «أورشليم» بعد عامين من احتلاله لفلسطين العربية، فعاد قسم صغير منهم بقيادة المدعو «زرو بابل بن شالتئيل» وهو حفيد الملك «يهوياكين» آخر ملوك مملكة يهوذا المزعومة بفلسطين العربية، وبعد ذلك بفترة ليست قصيرة عاد قسم آخر من يهود الأسر البابلي إلى مدينة القدس العربية بقيادة الكاهن «عزرا» الذي كان يعمل كاتبا في البلاط الفارسي الإخميني، ومكافأة لقورش الثاني أطلق عليه اليهود لقب «المسيح المخلص».

في العام ٣٣٢ قبل الميلاد تمكن القائد اليوناني لاسكندر الأكبر والمعروف أيضا باسم الاسكندر الثاني والاسكندر المقدوني من احتلال بلاد الشام بأسرها بعد هزيمته للجيوش الفارسية هناك، وبحسب المصادر اليهودية فإن الاسكندر الأكبر عامل يهود مدينة القدس العربية معاملة حسنة وطيبة، وذلك بفضل علاقاته الخاصة برجل يهودي اسمه «شمعون بن حونيو» وتذكر التوراة أيضا أن الاسكندر الأكبر قام بالتوجه إلى مدينة القدس في زيارة خاصة، زار خلالها المعبد اليهودي «الهيكل» وقدم القرابين لرب اليهود «يهوه» ثم أطلعه الكاهن اليهودي الأعظم في المدينة على نسخة من سفر دانيال الذي يتنبأ بأن قائد يوناني سوف يهزم جيوش الإمبراطورية الفارسية ويقوض ملك الفرس، وفي العام ١٤١ قبل الميلاد ظهرت الحركة اليهودية المكابية في مدينة القدس العربية والتي تزعم التوراة أنها كانت حركة مسلحة متمردة على الحكم اليوناني السلوقي في المدينة، وقد خصص كتاب العهد القديم سفرين من أسفاره لهذه الحركة وهما سفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني، وحسب زعم التوراة فإن المكابيين

تمكنوا من تحقيق بعض الانتصارات على الجيوش اليونانية السلوقية في المدينة وأقاموا كيان المكابيين أو الحشمونيين فيها.

وما أن حل العام ٦٣ قبل الميلاد حتى تمكن القائد الروماني العملاق بومبيوس أو بومبي من هزيمة الجيوش اليونانية، واجتياح بلاد الشام، وبعد الاحتلال الروماني لفلسطين العربية، عمل اليهود في مدينة القدس العربية كعملاء ووشاة وجواسيس للسيد الجديد كما ورد في أسفار كتاب العهد الجديد، وكان الرومان أحيانا يعينون ولاة من اليهود على المدينة، وبين العام ٣٧ قبل الميلاد والعام الميلادي الرابع، حكم الجالية اليهودية في مدينة القدس العربية رجل يدعى «هيرودوس الأدومي» الذي يدل اسمه أنه كان من العرب الأدوميين، ولقد تمكن هيرودوس الأدومي من القضاء المبرم على بقايا الحركة المكابية في المدينة انتقاما من المكابيين على قتلهم لوالده المدعو «أنتيباتر العسقلاني» وفي الواقع أن هيرودوس الأدومي كان عربي الأصل، أدومي النسب، روماني التبعية والولاء، وقد منحه إمبراطور روما حق المواطنة الرومانية، ويذكر أن هيرودوس الأدومي كان يهودي الديانة ليس عن طريق الرغبة والاختيار، وإنما كان ذلك بسبب التهود القسري والإجباري الذي فرضه القائد المكابي «هركانوس الثاني» على العرب الأدوميين، واسترضاء لليهود على قضائه على فلول الحركة المكابية، قام الملك هيرودوس الأدومي ببناء المعبد أو الهيكل اليهودي الثاني في مدينة القدس العربية في العام التاسع عشر قبل الميلاد.

وبسبب المضايقات الصغيرة والمتتالية التي كان يسببها يهود مدينة القدس العربية للحامية العسكرية الرومانية في المدينة، قام القائد الروماني تياتيوس «تيتوس أو تيطس» نجل الإمبراطور الروماني «فاسبسيان» بقيادة حملة عسكرية رومانية توجهت إلى فلسطين العربية في العام الميلادي ٧٠، وهاجم تياتيوس مدينة القدس العربية، ونكل تنكيلا شديدا بيهودها، وهدم المعبد أو الهيكل اليهودي الثاني في المدينة، أما من بقي حيا من اليهود فقد فر إلى خارج فلسطين العربية وتشتتوا في كافة أرجاء الأرض، وانقطعت صلتهم بها لأكثر من ألفي عام متواصلة من عمر التاريخ.

كان فيما تقدم عرض سريع وموجز جدا لأحداث التاريخ اليهودي القديم، وبحسب القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم وللنصوص التوراتية، فإن مسرح أحداث ووقائع التاريخ اليهودي القديم كان على أرض

فلسطين العربية، ولدى التعامل مع هذا التاريخ المزعوم، فإننا نكتشف أن جل أحداثه ووقائعه إن لم يكن جميعها عارية عن الصحة وبعيدة كل البعد عن المصداقية، ويغلب عليها الطابع الوهمي والخرافي والخيالي والأسطوري، ومن أهم الأسباب التي تدعو المرء إلى الجزم بهذه الحقيقة هو أن علماء الآثار فشلوا فشلا ذريعا على مدى أكثر من ١٥٠ عاما في العثور على آثار ذات طابع يهودي في فلسطين العربية تدعم موقف الروايات التاريخية التوراتية وتبرهن على صدق القراءة الحالية المشوهة لتاريخ الشرق الأدنى القديم فضلا على صدق ونزاهة وواقعية الروايات التوراتية، وهذا يدلل بما لا يدعو لأي شك على ما يلي:

١ ـ إن فلسطين العربية لم تكن في يوم من الأيام هي الموطن الأصلي لليهود، ولا بيئتهم الطبيعية ولا حتى مهد ديانتهم.

٢ ـ ليس لليهود تاريخ يهودي قديم في فلسطين العربية، وهذا لا يعني خلوها من اليهود، وإنما عاشوا فيها كأقلية ضئيلة العدد مثلهم مثل الأقليات الأخرى التي عاشت على أرض فلسطين العربية في الأزمنة الغابرة.

٣ ـ إن القراءة الخيالية الغربية الحالية المشوهة لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وضعها أناس أفاكون وينقصها النزاهة والمصداقية لأغراض استعمارية بحتة تهدف إلى تحقيق الهدف الاستعماري للصهاينة الرامي إلى وضع حلمهم القديم باغتصاب فلسطين العربية حيز التنفيذ.

وإذا ما أردنا تناول **بعض الجوانب التاريخية في التاريخ اليهودي القديم**، فمن الممكن عرضها وتحليلها حسب الدراسات التاريخية الحديثة عن تاريخ الشرق الأدنى القديم تحت العناوين الرئيسية التالية:

أولا: العبرانيون

في الحقيقة أن اصطلاح «العبري» كان شائع التداول لدى الشعوب القديمة التي سكنت منطقة الشرق الأدنى القديم باختلاف لغاتها ودياناتها ومعتقداتها وثقافاتها، وكان وصف «عبري» يطلق على كل من يعتمد الحل والترحال نمطا لأسلوب حياته، ولكن وبتأثير من الكتابات اليهودية ووقعها الإيجابي على الفكر والثقافة المسيحية

الغربية، استخدمت اصطلاحات: عبري وإسرائيلي ويهودي وأخيرا: صهيوني بشكل متبادل للدلالة على المعنى نفسه وهو «اليهود» وفي الواقع أن اصطلاح العبرانيين استخدم قبل الظهور التاريخي لنبي الله إبراهيم عليه السلام بفترة طويلة جدا، وقبل نبي الله موسى عليه السلام بآلاف السنين، وقد ورد في معجم اللاهوت الكتابي في هذا السياق ما يلي:

«إن المعنى الأصلي لتسمية العبرانيين ليس بواضح، ففي كتاب التكوين، يدل الاسم دائما على أناس استوطنوا كغرباء في بلد ليس بلدهم الأصلي» (١٣).

وبالرغم من ذلك، يحاول اليهود وبشكل سبق التخطيط والإعداد له أن العبرية لقب خاص بهم، واحتكروا هذا اللقب لأنفسهم، وخلعوا عليه دلالات دينية وقومية حتى يصنعوا لهم تاريخا وهميا مزورا ومزعوما، ونفيا لذلك ورد في معجم اللاهوت الكتابي ما يلي:

«فهكذا.... حتى السبي، لا يظهر اللفظ قط، لا كتسمية لشعب، ولا لقب له قيمة دينية» (١٤).

وفي الحقيقة أن الدراسات الأثرية الحديثة واسعة النطاق التي أجريت في المنطقة العربية لم تسفر عن التوصل إلى دليل أثري عن ما يسمى بالعبرانيين في تاريخ الشرق الأدنى القديم الذين ورد ذكرهم في الروايات التوراتية فقط، دون التوراة من مصادر تاريخية الأخرى، وعندما اكتشفت مراسلات «تل العمارنة» في العام الميلادي ١٨٨٧، التي يعود تاريخها للقرن الرابع عشر قبل الميلاد، والمتبادلة بين ملوك وأمراء بلاد الشام والفرعون أمونحيتب الثالث (١٤٢٧ ـ ١٣٩٢ قبل الميلاد) ونجله الفرعون أمونحيتب الرابع ـ أخناتون ـ (١٣٩٢ ـ ١٣٧٦ قبل الميلاد)، لاحظ علماء الآثار وعلماء اللغات القديمة ورود كلمة «عبيرو أو خابيرو» في نصوص تلك الرسائل، وفي ذلك الوقت قامت الدنيا ولم تقعد، وهلل الصهاينة وابتهجوا وسروا، وغمرت الفرحة نفوسهم، لأنهم اعتقدوا حينذاك أنهم عثروا أخيرا على دليل حاسم من علم الآثار يثبت صحة الروايات التاريخية التوراتية، ويبرهن على وجود العبرانيين كجماعات بشرية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، وتحمس بعض الباحثين وتسرعوا من أمثال الباحث «إدوارد كامبل» (١٥) الذي طابق كلمة عبري «Hebiru» بكلمة «العبيرو أو الخابيرو» ثم خرج

باستنتاج خاطئ ومتسرع مفاده أن العبرانيين هم العبيرو أو الخبيرو، إلا أنه سرعان ما هدأت العاصفة وتوقف المد والجزر، وأصيب الصهاينة بخيبة الأمل، وتبخرت أحلامهم وأمانيهم عندما بينت دراسات لاحقة لمراسلات تل العمارنة أن كلمة عبيرو «خابيرو» لا تشير إطلاقا للجماعات العبرية الذين ورد ذكرهم في الروايات التوراتية فقط.

وفي الحقيقة أن كلمة عبيرو «خابيرو» قد ظهرت قبل ظهورها في مراسلات تل «العمارنة» بفترة زمنية طويلة جدا تزيد عن ستمئة عام من عمر التاريخ:

ـ ظهرت كلمة عبيرو «خابيرو» لأول مرة في التاريخ القديم بحدود العام ٢١٧٠ قبل الميلاد، وقد استخدمها ملوك السلالة الأكادية القديمة في بلاد ما بين النهرين أو بلاد وادي الرافدين لوصف المحاربين من نارام ـ سن. هذا يعني أن كلمة عبيرو أو خابيرو ظهرت في وثائق ومدونات بلاد وادي الرافدين قبل الظهور التاريخي لنبي الله إبراهيم عليه السلام، وقبل الزمن المفترض لحياته، كما وأنها ظهرت قبل زمن تنزيل التوراة على نبي الله موسى عليه السلام وظهور اسم العبرانيين في نصوص الروايات التوراتية، وبالتالي فإن ربط العيرو «الخابيرو» كذبا وأفكا بالعبرانيين الذين ورد ذكرهم في التوراة هو مجرد خيال ووهم واختلاق، وبكل تأكيد هو حديث خرافة.

ـ ثم ظهر اسم العبيرو أو الخبيرو مرة ثانية في العام ٢١٠٠ قبل الميلاد في رسائل الأسرة الثالثة لمدينة «أور» الواقعة جنوبي وادي الرافدين، لوصف الخارجين على الأوامر الملكية والعاصين لها.

ـ وفي القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ظهرت كلمة عبيرو «خايرو» في وثائق مملكة «ماري» العربية العمورية وأيضا في ألواح مدينة «نوزى» (١٦).

ـ وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد ظهرت كلمة عبيرو أو خايرو في المدونات الحثية، ومن المؤكد أن عبراني التوراة لم يصلوا في أي مرحلة من مراحل تاريخهم إلى أراضي الإمبراطورية الحثية.

ـ أما في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ظهرت كلمة عبيرو «الخابيرو» في مراسلات تل العمارنة.

ـ وفي المصادر الأشورية والبابلية يقابل كلمة العبيرو أو الخابيرو اصطلاح «سا ـ جاز» الذي يأتي بنفس المعنى تقريبا (١٧).

يستفاد مما تقدم أن شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم المختلفة استخدمت اصطلاح عبيرو أو خابيرو للدلالة على ما يلي:

١ ـ اللصوص وقطاع الطرق.

٢ ـ الخدم والعبيد.

٣ ـ الخارجون على القانون والأوامر الملكية.

٤ ـ وفي تاريخ مراسلات تل العمارنة كان اصطلاح عبيرو أو خايرو يستخدم للإشارة إلى المتمردين والثائرين على الحكم المصري الفرعوني في بلاد الشام، ويسعون للاستقلال عن الفراعنة وحكم أنفسهم بأنفسهم.

يتضح مما سلف أنه ليس هناك علاقة تربط بين العبيرو «الخايرو» الذين ورد ذكرهم في سجلات شعوب الشرق الأدنى القديم المختلفة، وكان وجودهم في التاريخ القديم حقيقة تاريخية مؤكدة لا تقبل جدلا، وبين العبرانيين التوراتيين الذين ورد ذكرهم فقط في توراة اليهود، ولا توجد أدلة من أي نوع تدعم وتؤيد وجودهم في التاريخ القديم.

ومن الغريب أن الصهاينة يزعمون أن العبرانيين التوراتيين ـ وبالتالي اليهود ـ هم بناة أهرامات الفراعنة، وهذا في الحقيقة مجرد كذب وافتراء واختلاق صهيوني سمج، فمن المعروف أن أهرامات الفراعنة القائمة حتى يومنا هذا في محافظة الجيزة المصرية بالقرب من مدينة القاهرة، قد شيدت بحدود العام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، وهذا بالطبع تاريخ سابق كثيرا للزمن المفترض لظهور العبرانيين واليهود على مسرح التاريخ التوراتي، وقد تم الكشف في جمهورية مصر العربية عن مقابر العمال المصرين الذين شاركوا في بناء أهرامات الجيزة وقد أشارت الدراسات العلمية التي أجريت على بقايا الهياكل العظمية لهؤلاء العمال، إلى أنهم جميعهم من أهل دولة مصر الفرعونية، وليس بينهم عبراني أو يهودي واحد كما يزعم الصهاينة.

ثانيا: نبي الله إبراهيم عليه السلام

نبي الله إبراهيم عليه السلام كما ورد في إصحاحات سفر الخلق «التكوين» ينتمي إلى أسرة رعوية يتزعمها والده (١٨) الذي كان اسمه «تارح» الذي هو العاشر من

سلالة نوح، وتنسب التوراة اليهود عرقيا ودينيا لنبي الله إبراهيم عليه السلام، ولا يبدو هذا الأمر مقبولا من جميع النواحي بل هو مجرد حديث خرافة:

١ ـ فمن الناحية العرقية: ينتمي اليهود القدماء لأجدادهم الغابرين الذين اعتنقوا الديانة اليهودية والمنحدرين أصلا من أعراق وأجناس وقوميات متعددة ومتباينة، ولا ينتمون لجنس أو عرق واحد، ولا لقومية واحدة بعينها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ربط اليهود عرقيا بإبراهيم عليه السلام، لأن الأدلة التاريخية والمنطقية تؤكد عدم ارتباطهم به من قريب أو من بعيد.

٢ ـ أما من الناحية الدينية: فاليهود ينتمون دينيا للديانة اليهودية التي هي ديانة وضعية كهنوتية لم يكتمل تدوينها إلا بعد أكثر من ١٥٠٠ عاما مرت على وفاة نبي الله موسى عليه السلام، نقلا عن روايات سماعية يغلب عليها الطابع الأسطوري والخرافي، ولا يمكن نسب هذه الديانة الوضعية إطلاقا لعقيدة إبراهيم التوحيدية الحنيفة، ولا للعقيدة الموسوية القيمة، وفي الواقع أن قصص التوراة عن إبراهيم عليه السلام مليئة بما لا يليق إطلاقا بمقامه العظيم ومكانته الكريمة السامية، ولا يمكن الاعتماد إلا على ما ورد في القرآن الكريم عن بعض فصول حياة إبراهيم، فهو كان أول من أسلم لله رب العالمين كما ورد في الآيات ١٣١ و١٣٦ و١٤٠ من سورة البقرة، كما وأن القرآن الكريم يحذر من اعتبار إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده.

أما القول الشائع والدارج حتى بين العرب أنفسهم والذي يذهب إلى أن إبراهيم عليه السلام هو الجد الأعلى للعرب واليهود معا، فهو في الواقع قول تنقصه الدقة والمصداقية بل هو في الحقيقة نوع من الخرافة المتوارثة في الأجيال العربية جيلا بعد جيل، والمستوحاة من الروايات التوراتية.

والحقيقة أن الدراسات الأثرية واسعة النطاق التي أجريت في المنطقة العربية فشلت في التوصل إلى أدلة أثرية تؤكد أن هجرات إبراهيم قد تمت في التاريخ القديم كما وردت في روايات التوراة، والأدهى من ذلك أن هذه الدراسات لم تتوصل إلى أدلة حاسمة تجزم بأن إبراهيم عليه السلام قد دخل فلسطين العربية بالفعل!!.

وإذا ما استعرضنا مخططا تخيلا لخط سير هجرات إبراهيم كما رسمت هيكله

العام الروايات التوراتية، بجد أن القبائل العبرانية كثيرة العدد بقيادة إبراهيم التوراتي تركت موطنها الأصلي جنوبي وادي الرافدين ورحلت عنه، وقطعت وادي الرافدين من جنوبه لشماله دون أن تصطدم عسكريا بشعوب تلك المنطقة، ثم تابعت القبائل العبرانية سيرها باتجاه بادية العرب وبادية الشام وتوجهت صوب الأراضي السورية واجتازتها هي الأخرى لتصل إلى مدينة حاران «حران» الواقعة في أقصى شمال الأراضي السورية، ثم غادرتها وتوغلت جنوبا في عمق الأراضي السورية حتى وصلت إلى فلسطين العربية، ومنها رحلت القبائل العبرانية إلى أراضي مصرايم أو مصريم، وبعد فترة زمنية، عادت هذه القبائل بقيادة إبراهيم التوراتي إلى الأراضي الفلسطينية، ثم هاجر إبراهيم عليه السلام إلى مدينة مكة بشبه جزيرة العرب مصطحبا معه زوجته الثانية هيجر «هاجر» وطفلهما إسماعيل، كل هذا وذاك حدث في الوقت الذي كانت فيه القوات الضاربة الهكسوسية تسيطر سيطرة تامة على تلك المساحات الشاسعة من الأراضي، وتراقب بدقة جميع مداخل ومخارج بلاد الشام وتقبض عليها بصرامة.

ـ فكيف تمكن إبراهيم التوراتي مما يلي؟

١ ـ أن يقطع تلك المساحات الشاسعة من الأرض دون أن يثير فضول واهتمام الشعوب التي تعيش عليها، ومن الجدير بالذكر أن المصادر الإسرائيلية تذكر أن القبائل العبرانية كانت ضخمة العدد، وفي هذه الحالة كان لا بد وأن تصطدم عسكريا بسكان تلك الأراضي الشاسعة مترامية الأطراف.

٢ ـ أن لا تحتك القبائل العبرانية المؤلفة من عدد كبير من البشر بالقوات الهكسوسية التي كانت تسيطر سيطرة تامة على الأراضي التي مرت بها القبائل العبرانية، أو تصطدم بها اصطداما عسكريا، وتدخل معها في حروب دامية.

٣ ـ وكيف لا تترك القبائل العبرانية ضخمة العدد أي ذكر أو إشارة أو حتى تلميح عابر في المدونات والوثائق الكنعانية والفرعونية، وأيضا في سجلات بلاد ما بين النهرين؟

يبدو أن هذا الأمر أمر بالغ الصعوبة إن لم يكن أمرا مستحيلا بجميع المقاييس، وهذا في الواقع يدل على أن الهجرات الإبراهيمية كانت لعائلة محدودة العدد مؤلفة من عدة أفراد فقط.

ولقد أشارت الدراسات النقدية لنصوص التوراة، أن أخبار نبي الله إبراهيم عليه السلام أضيفت لنصوص سفر الخلق «التكوين» بحدود القرن الميلادي الأول فقط، أي بعد أكثر من ١٨٠٠ عاما مرت على وفاته وعلى الزمن المفترض للظهور التاريخي له، كما وأن هذه الدراسات النقدية لنصوص التوراة كشفت عن أن حياة إبراهيم كانت مرتبطة بشبه جزيرة العرب وليس بفلسطين العربية، وخصوصا إذا ما علمنا أن إبراهيم وولده البكر إسماعيل عليهما السلام قضيا حياتهما في بناء بيت الله الحرام بمدينة مكة المكرمة.

ثالثا: قوم لوط

حسب ما ورد في شجرة الأنساب التوراتية، فإن نبي الله لوط عليه السلام هو: «لوط بن هاران بن تارح»، وهو ابن أخي نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث أن إبراهيم وهاران وناحور كانوا إخوة ثلاثة، وبالتالي كان إبراهيم عماً للوط عليهما السلام، واستنادا إلى الروايات التوراتية فقد نزل إبراهيم عليه السلام بأرض فلسطين العربية، أما لوط عليه السلام فنزل في أراضي شرق الأردن!، وقد بعث الله تعالى لوطا عليه السلام إلى أرض «سادوم» في غور «زغر»، وقد كان قوم لوط أهل كفر بالله تعالى، قوم فجرة وأسوأ الناس طوية وأفظعهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر وأقبح الفواحش، وقد ابتدعوا فاحشة الشذوذ الجنسي لدى الرجال التي لم يسبقهم بها أحد من البشر على وجه الأرض، فحاول نبي الله لوط ردهم إلى طريق الإيمان والتوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له الذي ليس كمثله شيء، ونهاهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات، إلا أنهم تمادوا في كفرهم وضلالهم وشذوذهم، فانتقم الله تعالى منهم انتقاما رهيبا بأن أغرق مدنهم في البحر، وأمطرهم بحجارة قاتلة، وبذلك غرقت مدينتا سادوم وعمورة في أعماق البحر.

إلا أن عمليات المسح الأثري الشاملة للبحر الميت الذي يزعمون أن مدينتي سادوم وعمورة غرقتا في أعماقه، لم تكشف إطلاقا على أية دلائل تشير إلى غرق مدينتي سادوم وعمورة في أعماق ذلك البحر، وقد قام باحثان أثريان أمريكيان بزيارة علمية للموقع الأثري المفترض أنهما من مدن قوم لوط ـ وهما في الوقت الحاضر موقع «باب الذرا» وموقع «النميرية» الأثريان، وتبين لهما أن مدينتي سادوم وعمورة تقعان أصلا على

مقربة من بحيرة لوط «البحر الميت» وليس في أعماقه، وهذا الأمر يدل على أن هاتين المدينتين لم تغرقا في البحر الميت كما هو المتوارث بين الأجيال استنادا إلى الروايات التوراتية وقراءتها المشوهة الحالية، وقد برهن هذان الباحثان الأمريكيان على أن الحياة توقفت تماما في مدينتي سادوم وعمورة منذ فترة زمنية طويلة جدا ترجع بتاريخها إلى العام ٢٣٥٠ قبل الميلاد، أي قبل الزمن المفترض لقوم لوط.

وفي الحقيقة أن علماء الآثار لم يعثروا في البقايا الأثرية التي عثروا عليها في منطقة البحر الميت وخصوصا بعد اكتشاف المقابر القديمة الأثرية فيها، على أية دلائل تشير إلى أنه كان هناك حياة غير عادية فيها، ليس هذا وحسب بل يقول علماء الإنسانيات والسلوك البشري أن ظاهرة الشذوذ الجنسي لم تكن معروفة في بلاد الشام في تلك الأزمنة الغابرة، وإن ما أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز عن أخبار قوم لوط وكفرهم وفسقهم وضلالهم، والانتقام الإلهي الرهيب الذي حل بهم كنتيجة لارتكابهم الفواحش والمنكرات وممارستهم للشذوذ الجنسي، إلا أنه في الواقع لم يحدد لنا المكان الذي عاش فيه قوم لوط ولا زمانهم، ونحن لسنا ملزمين بالأخذ بالروايات التوراتية المتعلقة بفلسطين العربية بعين الاعتبار فمن الأرجح أن أحداث الرواية التوراتية عن قوم لوط، جرت في مكان آخر غير منطقة البحر الميت بل وبعيدا جدا عن أرض فلسطين العربية.

رابعا: قصة الخروج الإسرائيلي بقيادة موسى عليه السلام.

نتوقف الآن عند قصة الخروج الإسرائيلي بقيادة نبي الله موسى عليه السلام، التي خصصت لها التوراة ثاني سفر من أسفارها وهو سفر «الخروج» ونتناولها ببعض التفصيل لأنها قضية أساسية ومحورية في العقائد اليهودية وفي التاريخ اليهودي المزعوم.

يذكر سفر الخروج أن بني إسرائيل خرجوا من أرض مصرايم «مصريم» التي فسرت بحسب القراءة الحالية لنصوص التوراة على أنها دولة مصر الفرعونية، وبعد خروج بني إسرائيل من دولة مصر الفرعونية بقيادة نبي الله موسى عليه السلام، توجه بهم إلى صحراء «سينين» التي فسرت على أنها صحراء سيناء. واستنادا على حسابات التوراة، فإن لخروج الإسرائيلي من أرض مصرايم، لا بد وأنه حدث في عهد الفرعون رمسيس

الثاني (١٣٢٤ ـ ١٢٥٨ قبل الميلاد)، أو في عهد نجله مرنبتاح بن رمسيس الثاني (١٢٥٨ ـ ١٢٣٨ قبل الميلاد)، وتفيد أحداث التاريخ القديم المؤكدة التي لا لبس فيها أو اشتباه وغموض والتي استخلصت من الأثر الفرعوني الهائل أن دولة مصر الفرعونية بلغت أوج قوتها وقمة مجدها العسكري في زمن الأسرتين الفرعونيتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وفي الواقع أن الفرعون رمسيس الثاني ونجله الفرعون مرنبتاح ينتميان للأسرة التاسعة عشرة، ويبدو أنه من المستحيل أن يكون الخروج الإسرائيلي من دولة مصر الفرعونية قد حدث في تلك الفترة الزمنية، لأن حدوثه خلالها معناه أن يصطدم الخارجون بالقوات الفرعونية الضاربة. الأمر الذي كان سوف يؤدي حتما إلى عواقب وخيمة لا تحمد عقباها لبني إسرائيل، ولا يخفي على أحد أن الاصطدام العسكري بالقوات الفرعونية في ذلك الوقت يعتبر انتحارا من جميع النواحي، ويصعب على دولة كبيرة وقوية أن تقوم به، فكيف لو كانت الحال مع أقلية بشرية تقيم على أرض مصرايم «مصريم»؟.

أحداث الرواية التوراتية عن الخروج الإسرائيلي من أرض مصر:

تذكر التوراة بكل فخر واعتزاز أن بني إسرائيل قبل خروجهم من مصر، غشوا المصريين بقولهم لهم أنهم خارجون للاحتفال بعيد لهم، واحتالوا عليهم وسلبوهم ذهبهم وفضتهم ومتاعهم وحتى ثيابهم، تنفيذا لأوامر موسى التوراتي، فقد ورد في الإصحاح الثاني عشر لسفر الخروج ما يلي:

● «وعمل بنو إسرائيل بحسب كلام موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب وثيابا، وأعطى الرب نعمة في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين» (١٨).

ومن المستحيل أن يكون نبي الله موسى عليه السلام قد حَرَض قومه على الاحتيال والسلب والنهب كما ورد في النص التوراتي السابق!! فذلك ليس من شيم الأنبياء.

وتذكر التوراة أيضا أن عدد بني إسرائيل الخارجين من مصر بقيادة موسى عليه السلام، كان يبلغ ٦٠٠ ألف «ماش» من الرجال، هذا عدا الأطفال والشيوخ والنساء، فقد ورد في سفر الخروج ما يلي:

● «فارتحل من رعمسيس (١٩) إلى سكوت (٢٠) نحو ست مئة ألف ماش من

الرجال عدا الأطفال، ومعهم لفيف كثير أيضا من غنم وأبقار ومواشي وافرة جدا» (٢١).

وفي الواقع أن الرقم (٦٠٠ ألفا) من رجال نبي إسرائيل في طابور الخروج من مصر هو رقم خيالي بل وفلكي مبالغ فيه جدا، ولا يتوافق هذا الرقم مع عدد السبعين إسرائيليا الذين دخلوا أرض مصرايم مع نبي الله يعقوب أو «إسرائيل» عليه السلام، وقد تعرضت التوراة لسخرية لاذعة، ونقد جارح بسبب هذا الرقم من جل المؤرخين والباحثين القدامى والمحدثين، ففي القرن الميلادي الثامن عشر نشر الباحث الألماني (هـ. س. ريماروس) مقالا بإحدى الصحف أكد فيه على أسطورية هذا الرقم، وركز على استحالته، وقد وضع هذا الباحث تصورا تقديريا لعدد الرجال والشيوخ والنساء والأطفال في طابور الخروج الإسرائيلي من مصر، وبنى تصوره على الرواية التوراتية لرواية الخروج الإسرائيلي من مصر، وقد خرج الباحث «ريماروس» باستنتاج يتلخص أن طابور الخروج الإسرائيلي من مصر، كان لا بد وأنه مؤلف مما يلي:

١ ـ ثلاثة ملايين من بني إسرائيل!

٢ ـ ثلاثمائة ألفا من الأبقار والثيران!

٣ ـ ستمائة ألفا من الماعز والأغنام!

٤ ـ أربعة آلاف عربة لنقل المؤن والعتاد!

٥ ـ ثلاثمائة ألف خيمة لسكن بني إسرائيل، إذا وضع كل عشرة منهم في خيمة واحدة!

٦ ـ في هذه الحالة سوف يكون طول طابور الخروج الإسرائيلي يبلغ نحو ٣٠٠ كيلومترا، إذا ما اصطف كل عشرة رجال وراء بعضهم البعض!

٧ ـ سوف يحتاج بني إسرائيل لتسعة أيام لعبور البحر إلى شاطئه الآخر!

ـ أليس هذا مدهشا ويشبه الأفلام السينمائية الخيالية التي تنتجها مؤسسة «والت ديزني»؟.

وفي ختام بحثه نفي الباحث الألماني (ريماروس) صحة ومصداقية رقم ٦٠٠ ألف إسرائيلي في طابور الخروج من مصرا يم، وفي الواقع أن رقم ٦٠٠ ألف إسرائيلي الذين

خرجوا من مصر يفوق الحقيقة بآلاف المرات ولا يمكن أن يكون صحيحا للأسباب التالية:

١ ـ لا يتوافق رقم ثلاثة ملايين إسرائيلي الذين تألف منهم طابور الخروج من مصر ولا حتى رقم ٦٠٠ ألفا كما تذكر التوراة مع عدد السبعين إسرائيليا الذين دخلوا أرض مصر مع نبي الله يعقوب «إسرائيل» عليه السلام كما تذكر التوراة أيضا.

٢ ـ إن رقم ثلاثة ملايين إسرائيلي في طابور الخروج من مصر، من المستحيل أن يكون صحيحا لأن عدد سكان مصر الفرعونية في ذلك الوقت كان يتراوح بين ثلاثة وأربعة ملايين نسمة ومن ضمنهم جميع الأقليات التي كانت تعيش على أرضها، ومن بينهم بني إسرائيل ـ إذا ما كانوا عاشوا على أرض مصر الفرعونية فعلا ـ ومن غير المعقول ولا المنطقي أن يكون سكان مصر الفرعونية جميعهم أو أغلبهم من بني إسرائيل!

٣ ـ إن العدد الضخم جدا من بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون على الأرض المصرية من غير الممكن عمليا ومنطقيا أن لا يلفت نظر القوات المسلحة الفرعونية التي كانت تقف على أهبة الاستعداد للقضاء على بني إسرائيل انتقاما منهم لغرق فروعنهم في البحر، هذا إذا ما كان بنو إسرائيل يعيشون على أرض دولة مصر الفرعونية!!

٤ ـ إذا كان عدد بني إسرائيل الذين يقيمون على أرض مصرايم أو مصريم حقا ثلاثة ملايين نسمة، فكان من المنطقي أن يشكلوا جيشا قويا وضخما من بينهم يستطيع عمليا أن يقف موقف الند للجيش المصري ويهزمه، أو على الأقل أن يرغمه على الكف عن إيذاء بني إسرائيل، وهذا ما لم يحدث على الإطلاق!

٥ ـ لو كان عدد بني إسرائيل الذين يقيمون على أرض مصر الفرعونية حسب التفسير الحالي لأرض مصرايم التوراتية، فإن ذلك كان من الاستحالة أن يمر هكذا وبكل بساطة دون تسجيل دقيق ومفصل في الوثائق والمدونات الفرعونية، وفي الحقيقة أن الفراعنة لم يتركوا صغيرة كانت أو كبيرة حدثت في بلادهم إلا وسجلوها بدقة بالغة في وثائقهم ومدوناتهم حتى ولو كانت حربا صغيرة ومحدودة وقعت بين عدة أفراد عند حدودهم النائية.

٦ ـ كانت شبه جزيرة سيناء التي يزعمون أن نبي إسرائيل فروا إليها بعد خروجهم

من مصريم تابعة للأرض المصرية، وكانت تحت القبضة الحديدة للقوات الضاربة الفرعونية التي كانت تؤمن طرق المواصلات البرية الموصلة إلى بلاد الشام، وتحمي مناجم النحاس ومقالع اللازورد (٢٢) في صحراء سيناء.

٧ - وأخيرا... لم يكن باستطاعة نبي الله موسى عليه السلام أن يسيطر على ثلاثة ملايين من البشر الذين خرجوا معه من مصرا يم، ولا أن يبلغهم تعاليم السماء، ولا أن يوفر لهم الشراب والطعام وسط ظروف تلك الصحراء القاحلة قليلة الموارد. ونادرة مصادر المياه الصالحة للشرب.

وفي الواقع أن معظم المؤرخين والباحثين يتفقون على أن عدد بني إسرائيل في طابور الخروج من مصرايم «مصريم» التوراتية كان يتراوح بين ثلاثة آلاف وستة آلاف نسمة، وربما أقل من ذلك بكثير، ويرى البعض أن رقم (٦٠٠) فقط هو رقم معقول ومقبول لعددهم.

ولكن.....

- إذا ما كان الخروج الإسرائيلي قد تم من أرض دولة مصر الفرعونية؟ كما تشير القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لنصوص التوراة!

- فهل جميع الذين خرجوا مع موسى عليه السلام كانوا من بني إسرائيل؟

في الواقع أن المؤرخ العربي الكبير الدكتور «أحمد سوسة»، توصل إلى استنتاج مفاده أن الخروج الإسرائيلي من مصر مع نبي الله موسى عليه السلام كان مؤلفا من أقوام أخرى غير بني إسرائيل فيقول ما يلي:

«أما حقيقة الخروج كما يستدل عليها من الأحداث التاريخية، فكانوا جميعهم من المصريين الذين أخذوا بدين التوحيد في عهد (أخناتون) فرعون مصر، وأكثرهم من الجنود المصريين أتباع موسى، ومن بقايا الهكسوس الذين بقوا في مصر، وقد انضم إلى هؤلاء بعض الأسرى الهاربين والعبيد الفارين من سادتهم، والظاهر أن فلسطين كانت أقرب ملجأ للعبيد المصريين الفارين من سادتهم، أما النبي موسى الذي خرجت الجماعة بقيادته، فهو مصري صميم، ووصف بأنه كان قائدا مصريا، أما ما دونه كتبة التوراة من أن هذه الجماعة ترجع في أصلها إلى إبراهيم الخليل وأنها من ذرية يعقوب (إسرائيل) فلا يوجد دليل تاريخي أو حتى مجال اقتراض للأخذ به» (٢٣).

ويعتقد المؤرخ العربي الدكتور «فيليب حتي» أن دخول بني إسرائيل إلى أرض مصرايم «مصريم» وخروجهم منها كان قاصرا على قبيلة راحيل أو راشيل فقط وأن الجماعة التي قادها موسى كانت مؤلفة من تحالف قبلي متعدد الأعراق والقوميات والأهواء، ولم يكن من بينهم من يمكن نسبه إلى بني إسرائيل سوى قبيلة راحيل «راشيل» وفي الواقع أن راحيل هذه هي والدة نبي الله يوسف عليه السلام (٢٤)، وما يقوله الدكتور فيليب حتى بعني ضمنا أن جماعة بني إسرائيل قد تشتت في عمر مبكر من وجودها، ثم انقرضت واختفت ولم يتبق منها سوى قبيلة راحيل، وفي الحقيقة أن راحيل أو راشيل هي ليست من أسباط بني إسرائيل، وإنما هي زوجة يعقوب «إسرائيل» الثانية وابنة خاله «لابان» حسب الروايات التوراتية، وكان هذا الرجل يقيم في بلاد وادي الرافدين والخروج الموسوي من أرض مصرايم كما هو معروف كان في مناسبتين:

الأولى: خروجه من أرض مصرايم وتوجهه إلى أرض مديان «مدين» بعد قتله للمصري.

والثانية: أما المناسبة الثانية التي خرج فيها موسى عليه السلام من أرض مصرايم أو مصريم. فكانت خروجه لقيادة قومه في رحلة الخروج منها.

١ ـ الخروج إلى أرض مديان «مدين».

بعد قتله للمصري بدون قصد، خرج موسى عليه السلام من أرض مصرايم «مصريم»، خائفا مترقبا فرارا من انتقام ملكها منه وخشية أن يبطش به، وتوجه موسى عليه السلام إلى أرض مديان «مدين»، وقضى فيها نحو عقد من عمره، تزوج خلالها بسيدة من أرض مديان «مدين العربية» تذكر التوراة أنها كانت كاهنتها «يثرون».

ـ فأين تقع أرض مديان أو مدين؟

الواقع أن هناك عدم اتفاق على تحديد الموقع الجغرافي لأرض مديان «مدين»، إلا أن بعض الدراسات التاريخية الحديثة نسبيا، ولأسباب استعمارية صهيونية بحتة، تعتبر أرض مديان «مدين» هي منطقة «تبوك» الواقعة شمالي شبه جزيرة العرب وإلى الشرق من خليج العقبة، وتذهب هذه الدراسات للقول أن الجبل المسمى بجبل موسى يقع في منطقة تبوك أيضا، وليس في شبه جزيرة سيناء، إضافة إلى ذلك تزعم هذه الدراسات أن عبور موسى وقومه للبحر كان عند خليج العقبة وليس عند خليج القلدس «السويس»،

ولكن الدراسات التاريخية عن نبي إسرائيل واليهود تنفي أن تكون أرض مديان (مدين) تقع شمالي شبه جزيرة وإنما في مكان آخر منها كما سوف يأتي في الفصل القادم.

٢ ـ أما المناسبة الثانية التي خرج فيها موسى عليه السلام من أرض مصرايم أو مصريم فكانت لقيادة الجماعات الموسوية إلى خارجها وهو الذي عرف تاريخيا باسم «الخروج الإسرائيلي من مصر» وكان هذا الخروج سببه خشية موسى عليه السلام على قومه من ملك مصر.

ومن المتوارث والمتعارف عليه والدارج لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث عن قصة الخروج الموسوي من أرض مصر «مصرايم» فإن موسى وقومه استنادا إلى الروايات التوراتية، رحلوا صوب صحراء سيناء، الواقعة في الحقيقة ضمن الأراضي المصرية، ويسيطر عليها الجيش الفرعوني سيطرة تامة، والأمر الذي يدحض هذه الفرضية الصهيونية وينفيها نفيا قاطعا، أن الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية بعد احتلاله لصحراء سيناء خلال الحرب العربية ـ الإسرائيلية في العام ١٩٦٧، جند العشرات من علماء الآثار اليهود والأجانب من أجل التنقيب في كل شبر من أراضي صحراء سيناء علهم يعثرون على أدلة أثرية تدعم موقف التوراة فيما يتعلق قصة الخروج الإسرائيلي من أرض مصر كما وردت في التوراة، إلا أن هؤلاء العلماء فشلوا فشلا ذريعا في العثور على أدلة أثرية تبرهن على صحة الروايات التوراتية، أو تثبت أن بني إسرائيل مروا بتلك الصحراء في يوم من أيام التاريخ الغابرة، علما بأن مدة إقامتهم في صحراء سيناء لم تكن قصيرة، إذ أنهم قضوا فيها ٤٠ عاما في التيه والضياع، وكان لا بد أن يخلفوا آثار فيها مهما كانت بسيطة! والأهم من ذلك كله أنه لا توجد في الأثر الفرعوني الهائل بأكمله أي أدلة أثرية أو إشارات أو حتى تلميح عابر عن قصة الخروج الإسرائيلي المزعوم من أرض مصر الفرعونية ولا حتى ذكر لشعب اسمه «بني إسرائيل» يعيش على أرضها.

ما بعد سنوات التيه في الصحراء:

بعد انقضاء سنوات التيه في صحراء «سينين» التي فسرت على أنها صحراء سيناء المصرية، تذكر التوراة أن نبي الله موسى عليه السلام، لم يتمكن من دخول أرض «كنعان» التي هي السائد حسب القراءة المشوهة الحالية لنصوص التوراة أنها أرض

فلسطين العربية، بل لم يدخلها قط في حياته لا هو ولا شقيقه نبي الله هارون عليه السلام، إلا أن التوراة تذكر أنه وصل إلى أراضي المملكة المؤابية، وصعد فوق قمة جبل «نبو» الذي كان جبلا مقدسا في تلك الأيام لكثرة ما فيه من مقابر، وتضيف التوراة أن موسى عليه السلام استطاع أن يرى الأرض المباركة من فوق قمة جبل «نبو» بالعين المجردة وبدون أن يكون لديه تليسكوب أو نظارات معظمة لأنها لم تكن قد اخترعت بعد وقتئذ، والأمر الذي يكذب هذه الرواية التوراتية وينفيها، ويبرهن على زيفها وضلالها، هو أنه عند الصعود فوق قمة جبل «نبو» في الوقت الحاضر، فلا يمكن مشاهدة الأرض المباركة أو فلسطين العربية، ولا أي شيءٍ آخر مما تتحدث عنه التوراة، فمن المؤكد أن نبي الله موسى عليه السلام لم يصل في حياته إلى جبل «نبو» ولم يصعد لقمته ولم يدفن فيه كما ورد في التوراة (٢٥) وفي الحقيقة تدل مجريات التاريخ القديم على أن موسى عليه السلام لم يصل أصلا لأراضي شرق الأردن، فمسرح الرواية التوراتية عن حياة موسى لم يكن في فلسطين العربية، وإنما كان في مكان آخر غيرها! كما تشير الدراسات التاريخية الحديثة عن أصل بني إسرائيل واليهود.

وفي الحقيقة أن الحفريات الأثرية التي أجريت على صعيد جبل «نبو» ومحيطه والتي بدأت في العام الميلادي ١٩٣٣، أظهرت أن هذا الجبل كان يستخدم كمقابر منذ فترة موغلة في القدم تعود بتاريخها للألف الرابع قبل الميلاد، وكشفت الدراسات الأثرية التي أجريت على جبل «نبو» أن أقدم القبور في ذلك الجبل هي القبور التي تعرف باسم قبور «دلمون» ومن بين ما عثر عليه في مقابر جبل «نبو» أيضا، بعض الأدوات التي كانت تستخدم في حفر وبناء القبور، وقد اكتشفت مجموعة أخرى من قبور جبل «نبو» يعود تاريخها إلى أكثر من ألفي عام قبل الميلاد.

وقد أظهرت المكتشفات الأثرية في جبل «نبو» أن العرب القدماء وبخاصة سكان البادية منهم كانوا يأتون إلى جبل «نبو» حيث كان فيه نبع ماء غزير فضلا على بعض المراعي، وكان هؤلاء العرب يتوافدون إلى جبل «نبو» عند حلول فصل الربيع ويحملون معهم جثث موتاهم لإعادة دفنها على سفح هذا الجبل، ولقد كانت هذه العادة معروفة ومشهورة في مناطق أخرى من فلسطين العربية، وفي الواقع أن كتبة التوراة لم يأتوا بالذكر إطلاقا للكيفية التي توفى فيها نبي الله موسى عليه السلام، ولم يتطرقوا لها، وعوضا عن ذلك قام كتبة التوراة بالسطو على العادة الفلسطينية القديمة المتعلقة بدفن

الموتى في جبل «نبو» وسرقوها ونسبوها لأنفسهم وزعموا أن نبي الله موسى عليه السلام دفن في هذا الجبل الواقع شرقي نهر الأردن، ويعتقد الباحثون أن كتبة التوراة أضافوا النصوص المتعلقة بجبل «نبو» إلى أسفارهم في مرحلة متأخرة ربما تعود إلى الفترة المكابية المزعومة في فلسطين العربية، وفي هذه الفترة تم إعادة صياغة النصوص التوراتية صياغة جديدة، ونقحت هذه النصوص وأضيفت نصوص جديدة إلى نصوصها.

خامسا: أسطورة الغزو العسكري الإسرائيلي لأرض فلسطين العربية

ورد في سفر يشوع «سوشع» أن بني إسرائيل بقيادة يوشع بن نون الذي تولى القيادة فيهم بعد وفاة نبي الله موسى عليه السلام، استطاعوا عبور «هـ - يردن» الذي فسر على أنه «نهر الأردن» بفلسطين العربية، وتوجهوا صوب أرض كنعان التي تعتبر من وجهة نظر الصهاينة أنها أرض فلسطين العربية!

وقاموا بغزوها غزوا عسكريا مدمرا، واقتحموا مدنها ودمروها وأحرقوها، وأبادوا جميع سكانها وطهروها عرقيا من أصحابها العرب! وحسب زعم التوراة فإن يوشع بن نون استهل غزوه المدمر لأرض فلسطين العربية بمهاجمة مدينة «يريحو» التوراتية أو مدينة أريحا الفلسطينية حسب التفسير المشوه الحالي للتوراة.

ومنذ بداية الرواية التوراتية المتعلقة بالغزو العسكري الإسرائيلي لأرض كنعان، يظهر فيها الطابع الخيالي والخرافي لأحداثها ووقائعها، وإذا ما أردنا الوقوف على أكاذيب كتبة التوراة بشأن هذه الرواية الخرافية، فمن الممكن تلخيصها في النقاط التالية:

١ - أول كذبة من أكاذيب كتبة التوراة، هي زعمهم أن يوشع بن نون عبر هـ يردن أو نهر الأردن حسب القراءة الحالية لنصوص التوراة إلى أرض كنعان هو وقومه بعد أن خاطبه الرب «يهوه» وأمره بدخول أرض كنعان وغزوها، فقد ورد في سفر يشوع ما يلي:

● «قم اعبر هذا الأردن وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم، وكل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى، من البرية ولبنان هذا إلى

النهر الكبير: نهر الفرات، جميع أراضي الحثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس تكون تخمكم لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك، تشجع وتشدد» (٢٦)

٢ ـ وثاني كذبة من أكاذيب كتبة التوراة هي أن يوشع بن نون استطاع أعداد جيوش جرارة مؤلفة من عشرات الآلاف من المقاتلين الأشداء من بين العدد الضئيل من بني إسرائيل الذي يقدر ببضع مئات أو بضع آلاف على أحسن تقدير الذين وصلوا معه إلى أراضي شرق «هـ ـ يردن» معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، والأدهى من ذلك أن يوشع بن نون تمكن من إعداد جيش قوامه ٣٠ ألف مقاتل إسرائيلي لمهاجمة مدينة العي «عاي» الكنعانية بعد أن فشل في محاولته الأولى لاقتحامها!!

ـ أليس هذا مضحكا؟

٣ ـ أما ثالث كذبة من كذبات التوراة المتعلقة بالغزو العسكري الإسرائيلي لأرض كنعان، فإنها تذكر بأسلوبها المضحك المعهود فيها أن مياه نهر الأردن تجمدت وتحولت إلى جليد بمجرد ملامسة أقدام بني إسرائيل لها، لكي تشكل لهم جسرا آمنا يمرون من فوقه إلى الديار المباركة!!.

٤ ـ وإمعانا في الخيال والخرافة يذكر سفر يشوع أن الشمس توقفت في كبد السماء يوم غزو يوشع بن نون لأرض كنعان ولم تغرب كعادتها الأزلية حتى يتسنى لبني إسرائيل إتمام مهمتهم التدميرية في مدينة أريحا الفلسطينية. ويضيف سفر يشوع «يوشع» أن القمر أيضا لم يأفل في تلك الليلة هو الآخر لنفس الغرض، والسؤال الآن:

ـ ما فائدة سنا القمر إذ أن الشمس لم تغرب في ذلك اليوم، ولم يختف ضوءها عن الأرض؟

ورد في الإصحاح العاشر من سفر يشوع ما يلي:

● «حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الأموريون لبني إسرائيل وقال أمام عيون بني إسرائيل:

ـ يا شمس دومي على جبعون!

ـ ويا قمر على وادي إيلون (٢٨)

فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه، أليس هذا مكتوب في سفر ياشر» (٢٩)

وفي الحقيقة أن النص التوراتي السابق يدل على جهل كتبة التوراة بأبسط المبادئ الكونية، فمن المعروف علميا أن الكون الهائل كله بمجراته التي تقدر بأكثر من مئة ألف مجرة من طراز مجرة درب التبانة أو الطريق اللبني التي تقع عند أحد أطرافها النائية مجموعتنا الشمسية التي تنتمي لها سفينتنا الفضائية «كوكب الأرض» وما بها من كواكب أخرى ونجوم لا حصر لها، وأقمار وكويكبات ومذنبات وغبار كوني، وما نعلم من محتويات الكون وما لا نعلم، ويفصل بينها المئات من السنوات الضوئية (٣٠)، يسير وفق نظام إلهي كوني متقن جدا ومحكم للغاية ودقيق دقة متناهية منذ بداية الخليقة قبل نحو خمسة ملايين عام وحتى يومنا هذا، وإلى الزمن المفترض لنهاية العالم وهو خمسة ملايين عام أخرى، ولا تتأثر النواميس الكونية بأحداث معينة مهما جلت وعظمت كميلاد أو موت عظيم، أو حرب واسعة النطاق وحامية الوطيس، فالكون في الحقيقة يسير على وتيرة واحدة من البداية للنهاية، وإذا ما اختلت النواميس الكونية فهذا معناه دمار العالم ونهايته.

وما ورد في النصوص التوراتية السابقة المتعلقة بعدم غروب الشمس ولا أفول القمر يوم غزو يوشع بن نون لأرض كنعان هو مجرد جهل وهراء وحديث خرافة.

٥ ـ يذكر سفر يشوع أن أسوار مدينة أريحا الفلسطينية الهائلة بما فيها من بوابات وأبراج وتحصينات دفاعية منيعة، تهاوت ثم انهارت بأكملها أمام صرخات بني إسرائيل المحمومة. وهتافاتهم المتعطشة للديار المباركة، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في سهولة اقتحامهم للمدينة، ورد في الإصحاح العاشر من سفر يشوع ما يلي:

● «كانت مغلقة (بوابات مدينة أريحا) بسبب بني إسرائيل، لا أحد يخرج ولا أحد يدخل فقال الرب ليوشع:

ـ أنظر قد دفعت أريحا وملكها جبابرة البأس، تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة، وهكذا تفعلون ستة أيام، وسبعة من الكهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات، والكهنة ينفخون بالأبواق، ويكون عند امتداد صوت البوق أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة مكانه ويصعد كل رجل مع وجهه» (٣٠)

عمل بنو إسرائيل ما أمرهم به يوشع بن نون حسب كلام الرب، فداروا حول أسوار مدينة أريحا الفلسطينية دورة واحدة لمدة ستة أيام، وكان الكهنة الذين يحملون أبواق الهتاف السبعة يسيرون أمامهم وينفخون الأبواق وهم أمام تابوت العهد أو الشهادة، وفي اليوم السابع دار بنو إسرائيل سبع دورات كاملة حول أسوار مدينة أريحا، وحملة أبواق الهتاف السبعة ينفخون بها من أمام تابوت العهد، وفي الدورة السابعة والأخيرة وعند ارتفاع صوت الأبواق، صرخ بنو إسرائيل صرخة هائلة وعظيمة واحدة، انهارت على أثرها أسوار مدينة أريحا الهائلة والمنيعة، وأصبحت المدينة مفتوحة أمامهم ليدخلوها ويعيثوا فيها خرابا وحرقا وتدميرا، ويبيدوا جميع من بها من سكان وحيوانات!!

ويبدو أن رواية انهيار أسوار مدينة أريحا بمعجزة إلهية أمام صراخ بني إسرائيل وهتافاتهم كما ورد في التوراة، لم تقنع كثيرا من الباحثين والمفكرين، ولدعم موقف الروايات التوراتية، حاول بعض الباحثين التوراتيين وضع تفسيرات غريبة وعجيبة لهذه الظاهرة التوراتية، واستنتجوا استنتاجات صبيانية ساذجة كقولهم أن هتافات بني إسرائيل وصرخاتهم أمام أسوار مدينة أريحا ربما نتج عنه نوع من خلخلة الهواء وتفريغه في محيط المدينة، وعند دخول هواء جديد للمنطقة كان له تأثير مدمر رهيب على أسوارها، فانهارت هذه الأسوار ولم تتمكن من الصمود تماما كما يحدث في حالة القنابل الذرية والفراغية!! ولا يمكن أن يكون هذا التفسير صحيحا للأسباب التالية:

١ ـ أن عدد بني إسرائيل الذين وصلوا إلى أسوار مدينة أريحا ـ هذا إذا كانوا وصلوها في يوم من أيام التاريخ الغابرة ـ كان يقدر ببضعة مئات أو آلاف فقط، ولا يمكن لهتافات عدد ضئيل من البشر أن تودي إلى ظواهر عجيبة وخطيرة ومدمرة كالتي حدثت حول أسوار مدينة أريحا حسب زعم التوراة.

ب ـ إذا كانت هتافات بني إسرائيل أمام أسوار مدينة أريحا فرغت الهواء في محيطها فمن المنطقي جدا أن الهواء الجديد المدمر الذي دخل للمدينة كان من شأنه أن يدمرها تدميرا شاملا ولا يقتصر على أسوارها، وبالتالي لم يعد هناك حاجة ليوشع بن نون وقومه أن يقتحموا المدينة ويحرقوها ويدمروها.

ج ـ لو كانت هذه الفرضية صحيحة، لكان بإمكان الهواء المدمر الذي دخل

للمدينة إهلاك جميع سكانها وما بها من شجر وحيوانات دون تدخل بني إسرائيل، ولهلك أيضا بنو إسرائيل جميعهم وفي مقدمتهم يوشع بن نون نفسه.

د ـ تطالعنا شاشات التلفزة في الوقت الحاضر بصور المسيرات المليونية الحاشدة التي تجوب شوارع المدن وتهتف هتافا شديدا احتجاجا على أحداث سياسية وعسكرية واقتصادية عالمية، ولا أحد يلاحظ انهيار المباني أو تحطم زجاج نوافذها خلال هذه المسيرات، ولا حتى سقوط عصفور صغير من فوق شجرة أو عمود هاتف!!

على أية حال...

بعد انهيار أسوار مدينة أريحا أمام هتافات بني إسرائيل، خاطب يوشع بن نون قومه، وأمرهم أن يقتحموا مدينة أريحا الفلسطينية، ويدمروها ويحرقوها ويقتلوا جميع سكانها وجميع ما بها من حيوانات، فقد ورد في الإصحاح السادس من سفر يشوع على لسان يوشع بن نون نفسه ما يلي:

«احرقوا (٣١) جميع من في المدينة (٣٢) من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والحمير بحد السيف، احرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، وإنما الذهب والفضة وآنية النحاس اجعلوها في خزانة بيت الرب» (٣٣).

وبعد احتلاله لمدينة أريحا الفلسطينية على حد زعم التوراة، زحف يوشع بن نون بجيوشه نحو مدينة «العي» (٣٤)، وفي بادئ الأمر لم يتمكن من اقتحامها، فتمرغ في التراب وأهاله على رأسه، وخاطب الرب كما جاء في الإصحاحين السابع والثامن من سفر يشوع بقوله ما يلي:

«لماذا أجزت هذا الشعب الأردن لتسلمنا إلى أيدي الأموريين حتى يبيدونا، يا ليتنا ارتضينا وأقمنا بعبر الأردن، وإذا سمع الكنعانيون سكان الأرض بما صار أحاطوا بنا ومحوا اسمنا من الأرض».

وبالرغم من الهوان الذي لحق بيوشع وقومه عند محاولتهم اقتحام مدينة العي، إلا أن يوشع بن نون تمكن ويا للعجب من إعداد جيش قوامه ٣٠ ألف مقاتل إسرائيلي وفي محاولته الثانية استطاع اقتحام مدينة العي، واحتلها ودمرها وأحرقها، وقتل جميع سكانها البالغ عددهم اثني عشر ألفا، ثم واصل يوشع بن نون زحفه العسكري في أرض كنعان واحتل مدن الجلجال وحاصور وجبعون وشيلوه وفعل بها ما فعله بمدينتي أريحا

والعي، وبهذه الطريقة التي لا رأفة فيها ولا شفقة ولا رحمة، استولى يوشع بن نون وقومه على إحدى وثلاثين مملكة وإمارة كنعانية. ودمرها وأحرقها وأباد مئات الآلاف من سكانها، وطهرها تطهيرا عرقيا من أصحابها العرب، دون أن يكون لديه مدافع أو طائرات قاصفة ولا أسلحة دمار شامل.

ولكن...

يبدو الآن...

ـ أن مصداقية الرواية التوراتية المتعلقة بالغزو العسكري الإسرائيلي لأرض فلسطين العربية حسب القراءة الحالية لنصوص التوراة ليس لها أقدام تسير عليها، وهي موضع شك كبير يرقى إلى درجة التكذيب، فهذه الرواية التوراتية مجرد كذبة واضحة وجلية من أكاذيب التوراة التي لا حصر لها، فهي في الواقع رواية هزلية مغرقة في الخيال والوهم والخرافة نظرا للأسباب التالية:

١ ـ قلة عدد بني إسرائيل الذين وصلوا إلى أراضي شرق الأردن حسب التفسير الخيالي المشوه الحالي للنصوص التوراتية، في الواقع أن هذا العدد الضئيل لا يخولهم تكوين جيوش جرارة تستطيع الوقوف موقف الند للجيوش العربية الفلسطينية جيدة الإعداد والتدريب والتي كانت تمتلك قدرات عسكرية دفاعية وهجومية فائقة.

٢ ـ تدني مستوى القدرات العسكرية والمهارات القتالية لبني إسرائيل بعد فترة التيه والضياع في الصحراء لمدة أربعين عاما، فقدوا خلالها ما يمكن أن يكون خبرات عسكرية، إضافة إلى قلة ما كان بين أيديهم من أسلحة وعتاد حربي، وفضلا على ذلك فلم يكونوا في الواقع قد دخلوا معركة عسكرية واحدة في حياتهم حتى تلك اللحظة.

٣ ـ تشير وقائع التاريخ القديم أن الشعب العري الفلسطيني لم يكن شعباً ضعيفا أو متخاذلا ومستسلما في الزمن المفترض لغزو يوشع بن نون لأراضيه حتى يتمكن بنو إسرائيل أو غيرهم من احتلال أرضه وإبادة مئات الآلاف منه دون مقاومة تذكر.

٤ ـ تفيد الدراسات الأثرية التي أجريت في فلسطين العربية، أنها لم تتعرض لغزو عسكري مدمر أو غير مدمر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهو الزمن المفترض لحدوث الغزو العسكري الإسرائيلي لها بقيادة يوشع بن نون.

٥ ـ أثبت علماء الآثار أن مدينة أريحا الفلسطينية في الزمن المفترض للغزو العسكري الإسرائيلي لها، كانت مدينة مهجورة لا سكان فيها ولا ملك يجلس على عرشها ولا فيها ذهب وفضة وآنية نحاس، ولا حيوانات ولا حتى عاهرات!!، إذ أن التوراة تذكر أن يوشع بن نون قبل غزوه لمدينة أريحا، أرسل جواسيسه للتجسس عليها وعلى الأرض بصفة عامة، وقضى جواسيس يوشع ليلتهم في بيت عاهرة بمدينة أريحا اسمها «راحاب»، وبعد أن علموا من هذه العاهرة أسرار وخفايا المدينة قاموا بنقلها ليوشع بن نون مما سهل عليه احتلال المدينة، وكمكافأة للعاهرة «راحاب»، ضمن يوشع بن نون سلامتها هي وأهلها وذويها عد احتلاله لمدينة أريحا، ورد في الإصحاح الثاني من سفر يشوع ما يلي:

«فأرسل يشوع من (شطيم) رجلين جاسوسين سرا قائلا: اذهبا انطرا الأرض وأريحا، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها (راحاب) واضطجعا هناك، فقيل لملك أريحا: هو ذا دخل إلى هنا رجلان من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض، فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلا: اخرجي الرجلين اللذين أتيا إليك ودخلا بيتك لأنهما أتيا لكي يتجسسا الأرض كلها» (٣٥)

٦ ـ أثبتت عالمة الآثار البريطانية الآنسة «كاثلين كينيون»، أن مدينة أريحا الفلسطينية في الزمن المفترض للغزو العسكري الإسرائيلي لها، لم تكن محاطة بالأسوار، لأن أسوارها كانت قد دمرت قبل هذا الزمن بقرون طويلة، وما ورد في التوراة عن انهيار أسوار أريحا، فهو مجرد مبالغة وتهويل توراتي يرقى إلى درجة الخرافة.

٧ ـ أما بالنسبة لمدينة العي «عاي» التوراتية الواقعة إلى الغرب من مدينة أريحا حسب التفسير الحالي للتوراة والتي احتلها يوشع بن نون بعد احتلاله لمدينة أريحا، فقد برهن علماء الآثار أن هذه المدينة التوراتية لم تكن قائمة إطلاقا في الزمن المفترض للغزو العسكري الإسرائيلي لأرض فلسطين العربية لأنها كانت قد دمرت في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ربما بفعل الزلازل ولم تعمر ثانية حتى ذلك التاريخ، وقد قال عالم الآثار «جيمس برتشارد» بصفته الممثل الرسمي لغالبية المنقبين الأثريين في فلسطين العربية وشرق الأردن في تقريره الأثري النهائي عن مدينة عاي التوراتية الذي نشره في العام الميلادي ١٩٦٢ ما يلي:

«إنه لم يعثر في الجيب (جبعون) التوراتية، والتل الواقع بالقرب من (دير دبوان) أو عاي التوراتية على مدينة معاصرة ليوشع!! وأضاف هذا العالم: أنه دون إجراء مزيد من الحفريات، فليس هناك شك بناء على أفضل ما يتوفر لنا من شواهد، لم يكن هناك مدينة (عاي) معاصرة ليوشع» (٣٧).

ومن جراء النتائج المهمة جدا للدراسات الأثرية واسعة النطاق التي أجريت على أرض فلسطين العربية، والتي هي بلا أدنى شك محبطة للصهاينة ومخيبة لآمالهم، تخلى الصهاينة ومن يدور في فلكهم عن فكرة الغزو العسكري الإسرائيلي لفلسطين العربية في الزمن الغابر، وعوضا عن ذلك تبنوا فكرة أخرى هي فكرة أن دخول بني إسرائيل لفلسطين العربية لم يكن بسبب غزو عسكري إسرائيلي مدمر لأرضها كما يزعم سفر يشوع، وإنما كان بسبب التسلل أو التسرب التدريجي لأرضها، إلا أن هؤلاء لم يحددوا مصدر هذا التسرب ولا هوية المتسربين ولا تعدادهم.

وبذلك سقطت أسطورة الغزو العسكري الإسرائيلي لأرض فلسطين العربية في الأزمنة القديمة سقوطا مدويا، ولم يعد بالإمكان الاعتداد بها وأخذها على محمل الجد، بل وأسقطت من جميع الحسابات التاريخية.

سادسا: أسطورة المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية

من المتوارث استنادا إلى الروايات التاريخية التوراتية أن اليهود استطاعوا تأسيس مملكة لهم في فلسطين العربية قبل ما يقرب من ثلاثة آلاف عام، وهذا بالطبع يندرج تحت باب النبش في مقابر التاريخ والبحث فيها عن أحداث تاريخية وهمية في أغلب الأحيان، ولم تحدث إطلاقا في التاريخ القديم.

وتزعم التوراة أنه قد تعاقب على عرش المملكة اليهودية المزعومة ثلاثة ملوك كان أولهم رجل اسمه «شاؤول بن قيس» والثاني هو الملك داود التوراتي، أما الثالث فهو الملك سليمان بن داود التوراتي، وكانت عاصمة المملكة اليهودية الموحدة هي مدينة أورشليم أو القدس العربية، وقد بلغت المملكة اليهودية الموحدة في فلسطين العربية قمة اتساعها وامتدادها الجغرافي في عهد الملك داود التوراتي، إذ أن أراضيها كانت تشغل رقعة شاسعة من الأراضي الممتدة بين نهري النيل والفرات حسب زعم التوراة، كما

وأنها بلغت أوج قوتها ومجدها ونفوذها الإقليمي والعالمي سياسيا وعسكريا في عهد الملك داود التوراتي أيضا، وبعد وفاة الملك داود، خلفه على عرش المملكة اليهودية الموحدة نجله سليمان التوراتي الذي لم يكن من منظور توراتي بقوة والده ففقد أجزاء كبيرة من أراضي إمبراطوريته.

وبوفاة الملك سليمان التوراتي انقسمت المملكة اليهودية الموحدة في فلسطين العربية إلى مملكتين:

- الأولى: شمالية اسمها «إسرائيل»!

- الثانية: جنوبية اسمها «يهوذا»!

وتزعم التوراة أنه قد جلس على عرش كل مملكة من هاتين المملكتين اليهوديتين في فلسطين العربية تسعة عشر ملكا قبل أن تزولا عن الوجود.

وفي الواقع أن قضية المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية كما تصفها التوراة، هي مجرد أسطورة من ضمن مئات وربما الآلاف من الأساطير التي تعج بها صفحات التوراة، وهي نوع من الاختراع والاختلاق، وحتى نكون أكثر مصداقية ونزاهة فمن الممكن قبول قيام هذه المملكة ووجودها في التاريخ القديم في حالة واحدة فقط، وهي أن تكون قد قامت في مكان آخر وبكل تأكيد ليس في فلسطين العربية ولا حتى في مكان مجاور لها، أما لماذا هناك استحالة في أن تكون المملكة اليهودية القديمة قد قامت في فلسطين العربية؟ فذلك يعود إلى ثلاثة أسباب جوهرية ورئيسية هي:

السبب الأول: يتعلق بفلسطين العربية.

السبب الثاني: يتعلق باليهود أنفسهم

السبب الثالث: يتعلق بالممالك والأمم المجاورة.

آ ـ أسباب تتعلق بفلسطين العربية:

١ ـ لقد برهنت الدراسات الأثرية بما لا يدعو مجالا للشك أن فلسطين العربية وبلاد الشام بأسرها كانت في الزمن المفترض لإقامة المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية تحت الحكم العسكري المصري الفرعوني ثم تحت الحكم الأشوري.

٢ - في القرن العاشر قبل الميلاد وهو الزمن المفترض للمملكة اليهودية القديمة، كانت فلسطين العربية تموج بالحركات الثورية المسلحة التي كانت تسعى للتحرر من الاستعمار الفرعوني، وكانت هذه الحركات الثورية مصدر قلق كبير وإزعاج بالغ للقوات الفرعونية وتشكل خطرا شديدا عليها، فكيف تمكن اليهود من تأسيس مملكة لهم في فلسطين العربية وسط هذا الجو المتفجر والخطير جدا؟!

دون أن يتعرضوا لمقاومة شديدة وعنيفة من أبناء الشعب العربي الفلسطيني!!.

٣ - في الواقع أن مدينة القدس العربية أو مدينة أورشليم التي تزعم التوراة أنها كانت عاصمة المملكة اليهودية الموحدة في فلسطين العربية، غير مؤهلة عمرانيا وسكانيا لتكون عاصمة لدولة عظيمة من الطراز الأسطوري الذي تتحدث عنه التوراة، فعلى العكس تماما مما تروج له بعض المصادر مجاملة لليهود، فإن مدينة القدس العربية كانت مجرد مدينة صغيرة جدا لا تزيد مساحتها عن اثني عشر هكتارا، وتتسع لسكن نحو ألفي نسمة فقط، وهكذا معناه أن مدينة القدس العربية لم تكن مدينة زاهرة وعامرة في تلك الأزمنة، ولا حتى مدينة إقليمية، وهذا ينفي في الواقع مزاعم التوراة، وفي الحقيقة أن مدينة القدس العربية لم تبدأ في التوسع السكاني والامتداد العمراني إلا في القرن الثامن قبل الميلاد أثناء الاحتلال الأشوري لها، والأدهى من ذلك كله أن مدينة القدس العربية لم تعرف باسم «أورشليم» إلا في العهد الروماني، وقد تزامن هذا الاسم مع وصول قبائل عربية إلى فلسطين العربية قادمة من شبه جزيرة العرب، وأطلقوا اسم أورشليم على مدينة القدس العربية مثلما أطلقوا أسماء مدنهم على مناطق أخرى من بلاد الشام. وهذا يعني أن كتبة التوراة كانوا يتحدثون عن أورشليم أخرى تقع في شبه جزيرة العرب.

ب ـ أسباب تتعلق باليهود أنفسهم:

١ - كان بنو إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد وهو الزمن المفترض لإقامة الدولة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية مجرد جماعات بدائية همجية ومتخلفة ليس لها المقدرة سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا أن تقوم بتأسيس دولة مدنية زمنية لها في فلسطين العربية أو على أجزاء صغيرة منها.

ـ هذا إذا كان لليهود وجود فيها أصلا ـ!

٢ ـ في الحقيقة أنه لم يأت ذكر للمملكة اليهودية القديمة المزعومة في فلسطين العربية ولا حتى لأسماء ملوكها «شاؤول ـ داود ـ سليمان» في أي من الوثائق والمدونات والسجلات الكنعانية والفرعونية والأشورية والبابلية، تلك الأمم والممالك القديمة العملاقة التي لم تبخل على الفكر الإنساني بتسجيل كل ما حدث في منطقة الشرق الأدنى القدين تسجيلا دقيقا في وثائقها ومدوناتها.

ـ فما بال هذه الأمم العملاقة تتجاهل قيام دولة يهودية في فلسطين العربية ذات طابع أسطوري كالذي تتحدث عنه أسفار التوراة؟

ـ إلا إذا كانت هذه الدولة لم تقم أصلا على أرض فلسطين العربية إلا في خيال كتبة التوراة وأوهامهم وخرافاتهم! وهذا ليس معناه أنه لم تكن هناك دولة يهودية في التاريخ القديم، ولكن معناه أن المملكة اليهودية القديمة لم تكن إطلاقا على أرض فلسطين العربية.

٣ ـ لم تترك المملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية أي أثر على سطح الأرض أو في باطنها تدل عليها، ولا مدونات ووثائق وسجلات تتحدث عنها أسوه بالممالك القديمة العملاقة المعاصرة لها، وإذا ما اعتبر البعض أن أسفار التوراة هي الأثر اليهودي الوحيد الباقي حتى الآن، فمن المعروف جيدا أن هذا الكتاب لم يدون إلا بعد قرون طويلة انقضت على الزمن المفترض لقيام المملكة اليهودية المزعومة في فلسطين العربية.

والحقيقة أن علماء الآثار فشلوا فشلا منقطع النظير على مدى أكثر من قرن ونصف القرن من عمر التاريخ، في العثور على آثار ذات طابع يهودي في فلسطين العربية وبخاصة في مدينة القدس العربية كما توصلت لذلك عالمة الآثار البريطانية «كاثلين كينيون» وأيدتها بحماس عالمة الآثار الهولندية «مارغريت شتاينر» التي استخدمت في دراستها الأثرية بمدينة القدس العربية نفس أسلوب وطريقة كاثلين كينيون وهي طريقة الحفر الحذر بين طبقات الصخور ـ أي طريقة ويلر ـ كينيون ـ التي كانت ناجحة جدا عند استخدامها في الدراسات الأثرية بمدينة أريحا الفلسطينية (٣٨)، وقصة الحفر والتنقيب والبحث عن بقايا أثرية لهيكل سليمان المزعوم في مدينة القدس العربية قصة معروفة ومشهورة ولا زالت عمليات الحفر والبحث تحت المسجد

الأقصى المبارك بحثا عن الهيكل المزعوم مستمرة حتى يومنا هذا، وفي إحدى المحاولات المحمومة للبحث عن هذا الهيكل المزعوم، أعلن الصهاينة عن كشف أثري اعتقدوا في حينه أنه بقايا لهيكل سليمان، إلا أن دراسات أثرية لاحقة أثبتت أن ما عثر عليه ليس سوى بقايا أثرية لقصر لأحد الملوك أو الأمراء الأمويين في مدينة القدس العربية.

والحقيقة أن كل ما تمكن علماء الآثار من العثور عليه في فلسطين العربية هي آثار عربية كنعانية في أماكن متفرقة منها، ويأتي في مقدمتها ما اكتشف في موقع «التل الكبير» الواقع في منطقة الجليل الغربي، فقد عثر في هذا الموقع على أكبر قصر كنعاني يعود تاريخه للعام ٣٨٠٠ قبل الميلاد، والذي تمكنت من اكتشافه بعثة آثار تابعة لجامعة تل أبيب بالتعاون مع مجموعة من طلبة جامعة «فرايبورغ» الألمانية، وقد وجد أن أرضيه هذا القصر مزينة ببعض أشكال الرسوم الحيوانية والنباتية، واكتشف في هذا القصر أيضا بعض الأواني الفخارية والأختام المصنوعة من الحجر (٣٩).

واكتشفت بعثة آثار أخرى تابعة للجامعة العبرية بمدينة القدس العربية تمثالين مصنوعين من الذهب الخالص يعود تاريخ صنعهما للعرب الكنعانيين في موقع «جيزر» الأثري، وإضافة إلى ذلك اكتشفت بعثة آثار تابعة لدائرة الآثار الإسرائيلية بقايا قصر كنعاني في موقع «عراد» الواقع جنوبي الأراضي الفلسطينية، ويعود بناء هذا القصر للأعوام ٢٥٠٠ أو ١٥٠٠ قبل الميلاد، كما وأن بعثة أثرية مشتركة بين دائرة الآثار الإسرائيلية والجامعة العبرية بمدينة القدس العربية اكتشفت مجموعة من التوابيت الحجرية كنعانية الطابع تعود بتاريخها للقرن السابع عشر قبل الميلاد، والآثار العربية الكنعانية التي عثر عليها في فلسطين العربية لا حصر لها ولا مجال لذكرها، ونكتفي بما ذكرنا على سبيل المثال فقط، وعلاوة على الآثار العربية الكنعانية عثر في فلسطين العربية على آثار فرعونية وأشورية وبابلية وفارسية ويونانية ورومانية فضلا على آثار عربية - إسلامية ترجع لمختلف العصور الإسلامية في فلسطين العربية - إلا أن علماء الآثار لم يعثروا في فلسطين العربية على أية آثار يهودية الطابع تبرهن على ما يلي:

١ - أن لليهود تاريخ قديم في فلسطين العربية.

٢ - أنه كان لليهود مملكة قديمة في فلسطين العربية.

٣ - صحة الروايات التاريخية التوراتية.

ج ـ أسباب تتعلق بالأمم والممالك المجاورة لفلسطين العربية:

كانت فلسطين العربية في الزمن المفترض لإنشاء المملكة اليهودية القديمة فيها، مسرحا للصراعات السياسية والعسكرية للإمبراطوريات العملاقة القديمة كمصر الفرعونية وأشور وبابل، التي كانت تسعى لضم أراضي لملكها، وفي الواقع أن قيام مملكة يهودية في فلسطين العربية من الطراز الأسطوري والخيالي العملاق الذي تتحدث عنه التوراة، كان من شأنه أن يؤجج الصراع الإمبراطوري في الشرق الأدنى القديم، ويعرقل الأحلام والتطلعات الإمبراطورية لأممه وشعوبه، وبالتالي لم يكن بإمكان تلك الأمم العملاقة أن تقف مكتوفة الأيدي وتنظر نظرة المتفرج على ما يجري في فلسطين العربية، وخصوصا وهي ترى أحلامها الإمبراطورية تتبخر بقيام المملكة اليهودية الأسطورية فيها، دون أن تتدخل عسكريا من البداية للقضاء على مشروع قيام هذه المملكة، وهذا ما لم يحدث على الإطلاق، وهذا الأمر يدل على أن المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية، لم يكن لها وجود أصلا على أرض الواقع!!

وأخيرا....

فإن الله تعالى يخبرنا في الآية السادسة والعشرين من سورة (ص) أنه جعل نبي الله داود عليه السلام خليفة له في الأرض ليحكم بين الناس بالحق، ومن البديهي أن يكون خليفة الله حاكما عظيم الشأن يرأس دولة واسعة وقوية جدا، وهذا في الواقع لا يتوافق أبدا مع تاريخ فلسطين العربية صغيرة المساحة ومحدودة الموارد، فهي لم تكن في أي مرحلة من مراحل تاريخها دولة عظيمة واسعة وقوية، وإذا كان داود عليه السلام حكم دول عظيمة واسعة وقوية، فإن ذلك وبدون أي شك يعني أن دولة داود كانت خارج أرض فلسطين العربية وعاش في خارجها.

سابعا: الأسر أو السبي البابلي

تزعم التوراة أن القائد البابلي «نبوخذ نصر الثاني» هاجم مدينة القدس العربية أو «أورشليم» كما يسميها الصهاينة ودمرها وهدم المعبد اليهودي الأول فيها، وأسر يهودها وساقهم كأسرى وعبيد إلى عاصمته بابل، وتحدد العام ٥٨٦ قبل الميلاد كتاريخ لهذه الحادثة، وفي الحقيقة لا تتوفر أدلة تدعم هذه الرواية التوراتية وتؤيدها للأسباب التالية:

١ ـ لم تكن مدينة القدس العربية في زمن هجوم نبوخذ نصر المفترض المزعوم عليها تعرف باسم «أورشليم»، ولم تعرف بهذا الاسم إلا في العهد الروماني ـ أي بعد عام ٦٣ قبل الميلاد ـ وكان عمر مدينة القدس العربية حينذاك نحو ٢٠٠ عام فقط، وليس الآلاف من الأعوام كما هو دارج.

٢ ـ أظهرت الدراسات الحديثة التي أجريت على الحفريات الأثرية في بابل، أنه لم يكن فيها سوى عبادة الإله البابلي «مردوخ» وهذا يعني أن عبادة الرب «يهوه» لم تكن معروفة في بابل حينذاك، ومن الممكن الاستنتاج من ذلك أنه لم يكن هناك يهود يقيمون في بابل، وربما كانوا يقيمون في مناطق أخرى من بلاد وادي الرافدين.

٣ ـ تشير الدراسات التاريخية أن القائد البابلي «نبوخذ نصر» لم يغز فلسطين العربية سوى مرة واحدة في حياته، وفي هذه المرة لم يدمر نبوخذ نصر الثاني مدينة القدس العربية، لأن القوات الفرعونية المرابطة في فلسطين العربية تصدت له ودحرته عن المدينة.

٤ ـ في الحقيقة أن الحملة العسكرية التي قادها نبوخذ نصر الثاني على بلاد الشام في العام السابع من حكمه، ورد في وصفها ما يلي:

«السنة السابعة من شهر «كسلمو» (٤٠) حرك ملك أكاد جيشه إلى أرض هاتي (٤١) وحاصر مدينة (ياحودو)، واستولى على المدينة في اليوم الثامن من شهر «أذارو» (٤٢)، وعين فيها ملكا حسبما ارتضاه، واستولى على غنائم ثقيلة فيها وجلبها إلى بابل» (٤٣).

وفي هذا النص من أثر وادي الرافدين لا يوجد ذكر لفلسطين العربية على الإطلاق، ولكن يبدو أن اليهود فهموا خطأً أن مدينة «ياحودوا» التي ورد ذكرها في النص البابلي السابق هي ذاتها مدينة القدس العربية، وفي الحقيقة أن مدينة القدس العربية لم تعرف باسم «ياحودوا» في أي مرحلة من مراحلها، ومن الأرجح أن مدينة يا حودوا تقع خارج فلسطين العربية.

٥ ـ لو افترضنا جدلا أن الأسر البابلي لليهود قد تم فعلا من مدينة القدس العربية! فإن ذلك الأسر لم يكن في الواقع أسرا انتقاليا ليهود المدينة التي لم تكن في يوم من الأيام مدينة يهودية خالصة تحت السيطرة الإسرائيلية المطلقة. وإنما ومن المنطقي أنه كان

أسرا لشرائح واسعة من أبناء الشعب العربي الفلسطيني، ولم يكن الأمر قاصرا على يهود المدينة إذا كان لهم وجود فيها من الأساس، ولهذا السبب لا تطلق التوراة على المأسورين في بابل اسم بني إسرائيل أو اليهود، وإنما تسميهم باسم «بنو الأسر أو بنو الكورة».

ثامنا: العودة من الأسر البابلي

اجتاحت الجيوش الفارسية بقيادة الملك الإخميني «قورش الثاني» بابل في العام ٥٣٩ قبل الميلاد، ثم زحفت نحو بلاد الشام واجتاحتها هي الأخرى في العام ٥٣٨ قبل الميلاد، وتذكر التوراة أن القائد الفارسي «قورش الثاني» أصدر مرسوما ملكيا سمح فيه لمن يرغب من يهود الأسر البابلي بالعودة إلى مدينة القدس العربية بعد عامين من احتلاله لفلسطين العربية، وبناء على هذا المرسوم عاد قسم صغير من يهود الأسر البابلي إلى مدينة القدس العربية بقيادة المدعو «زرو بابل بن سالئتل» ثم قسم أصغر بقيادة الكاهن «عزرا» بعد العودة الأولى بفترة زمنية طويلة، إذ يبلغ الفارق الزمني بين العود تين نحو قرن كامل، فالعودة الأولى حسب زعم التوراة تمت في عهد الملك «قورش الثاني» أما العودة الثانية فتمت في عهد القائد الفارسي «أرتحشستا»، ومكافأة لقورش الثاني أطلق عليه اليهود في توراتهم لقب «المسيح المخلص أو المنتظر» وأيضا على أرتحشستا، وقد صبغ اليهود عودتهم من الأسر البابلي بصبغة دينية خيالية وأسطورية.

وفي الواقع أن أوامر قورش الثاني كانت واضحة وصريحة وتقضي بعودة جميع الأقليات إلى الأماكن التي أسروا منها، وكان المرسوم الملكي لقورش الثاني مدونا باللغة الفارسية محفوظا في خزائن «ميديا» (٤٤) ولكن يبدو أن اليهود سرقوا هذا المرسوم واستبدلوه بمرسوم آخر مكتوب باللغة الآرامية وزوروا نصوص هذا المرسوم، وجعلوا عودة الأقليات المسبية في بابل قاصرة على اليهود فقط، وإلى أين؟

- إلى مدينة القدس العربية!!

ولكن...

- هل عاد اليهود إلى مدينة القدس العربية من بابل؟

- أم عادوا إلى مكان آخر؟

- وهل كان هناك أسر بابلي لليهود من مدينة القدس العربية؟

- أم أنهم أسروا من بلاد أخرى؟

هذا ما سوف نعرفه في الفصل القادم.

وإذا ما سلمنا جدلا بأن الأسر البابلي لليهود تم فعلا من مدينة القدس العربية، وسلمنا أيضا أن عودتهم كانت بالتالي لهذه المدينة!! ففي هذه الحالة يكون عدد ضئيل من اليهود عاد إلى مدينة القدس العربية كجالية سكانية قليلة العدد وليس ككيان سياسي محدد المعالم من أي نوع.

وتذكر التوراة أيضا أنه بعد عودة اليهود إلى مدينة القدس العربية، أعادوا ثانية بناء هيكل سليمان في المدينة، وأقاموا أسوارها مرة أخرى، والأمر الذي ينفي ذلك ويدحضه أن الدراسات الأثرية التي أجريت في فلسطين العربية أوضحت أن الأحوال في مدينة القدس العربية تدهورت بشكل كبير جدا حتى غدت قرية صغيرة في العهد الفارسي، وتشير هذه الدراسات أن مساحة مدينة القدس العربية في العهد الفارسي كانت صغيرة جدا لا تتجاوز ٦٥١ دونما، ولا يتعدى عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة، ليس هذا فحسب بل وأن أجزاء كبيرة من مدينة القدس العربية تبلغ نحو ٦٥ ٪ من مساحتها الكلية لم تكن مأهولة بالسكان، وهذا يدل في الواقع على أن مدينة القدس العربية لم تكن مدينة زاهرة وعامرة في العهد الفارسي كما كانت في العهدين الأشوري والبابلي، وهي لم تعمر مرة أخرى بعد عودة اليهود المزعومة إليها من بابل (٤٥).

تاسعا: الاحتلال اليوناني لفلسطين العربية

في العام ٣٣٢ قبل الميلاد، تمكنت الجيوش اليونانية بقيادة الفاتح العسكري العظيم» الاسكندر الأكبر من هزيمة الجيوش الفارسية في معركة «إيسوس» الواقعة عند الأطراف الشمالية لبلاد الشام، ثم أمر الإسكندر الأكبر ببناء مدينة في موقع المعركة أطلق عليها اسم «الاسكندرونة»، ثم واصلت جيوش الاسكندر الأكبر زحفها جنوبا في عمق بلاد الشام واجتاحتها بأسرها وطردت الفرس منها.

وطبقا لرواية المؤرخ اليهودي «فيلافيوس يوسيفوس» (٤٦). فإن القائد العظيم «الاسكندر الأكبر» أثناء حصاره لمدينة «صور» اللبنانية، طلب من الكاهن اليهودي

الأعظم في مدينة القدس العربية أن يمد له يد العون والمساعدة ويرسل له جنودا يهودا لإعانته في اقتحام مدينة صور اللبنانية بعد أن استعصى عليه اقتحامها واحتلالها!! إلا أن الكاهن الأعظم في مدينة القدس العربية رفض طلب الاسكندر الأكبر لأنه كان لا يزال مواليا ولاء كبيرا للملك الفارسي «داريوس الثالث»، وعندما علم الاسكندر الأكبر بذلك غضب غضبا شديدا، وصمم على الانتقام من الكاهن اليهودي الأعظم فور احتلاله لمدينة القدس العربية، ويذكر يوسيفوس أيضا أن حاكم السامرة وقتئذ وكان اسمه «سنبلط»، انتهز فرصة عدم موافقة الكاهن اليهودي الأعظم في مدينة القدس العربية على مساعدة الاسكندر الأكبر أثناء حصاره لمدينة صور اللبنانية وقام بإعداد جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل يهودي وقاده بنفسه إلى مدينة «صور» لمساعدة الاسكندر الأكبر في احتلال المدينة، وفي مقابل هذه المساعدة طلب «سنبلط» من الاسكندر الأكبر موافقته على بناء المعبد اليهودي السامري على قمة جبل «جرزيم» بمدينة نابلس العربية، فتم له ما طلب وأراد.

وبعد احتلاله لمدينة صور اللبنانية، زحف الاسكندر الأكبر صوب مدينة القدس العربية لمعاقبة الكاهن اليهودي الأعظم فيها، وعندما وصلت الجيوش اليونانية لمدينة القدس، خرج الكاهن اليهودي الأعظم وجميع كهنته بملابسهم البيضاء لاستقباله عند مشارف المدينة، ولما رأى الكاهن اليهودي الأعظم.

الاسكندر الأكبر في مقدمة جيشه، سارع لتحيته والسلام عليه والترحيب به هو وكهنته، ثم شرح له لماذا تخلف عن مساعدته أثناء محاصرته لمدينة صور؟ وكان تفسير الكاهن اليهودي الأعظم لذلك: أنه رأى حلما يبشر بأن الإغريق سوف ينتصرون على الفرس ويقوضون ملكهم!! ويبدو أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس كان يعتقد أن الاسكندر الأكبر أعظم فاتح عسكري عرفه التاريخ كان رجلا غريرا وساذجا جدا ليصدق هراء وخرافات الكاهن اليهودي الأعظم في مدينة القدس العربية!!

ويتابع المؤرخ اليهودي «فلا فيوس يوسفوس» أكاذيبه ويزعم أن الاسكندر الأكبر ذهب بصحبة الكاهن اليهودي الأعظم في زيارة للمعبد اليهودي في مدينة القدس العربية، حيث قام القائد اليوناني بتقديم القرابين للرب «يهوه» ثم أطلعه الكاهن الأعظم على نسخة من سفر «دانيال» الذي يتنبأ بانتصار الإغريق على الفرس (٤٧)، وبعد زيارته للمعبد اليهودي في مدينة القدس قبل اليهود بالخدمة في الجيوش اليونانية!!!

ويذكر يوسيفوس أيضا أن الاسكندر الأكبر كافأ جنود حاكم السامرة «سنبلط» الذين ساعدوه أثناء حصاره لمدينة «صور اللبنانية»، بإحضارهم معه إلى مصر بعد احتلاله لها، ثم أقطعهم أرضا في منطقة «طيبة» وجعلهم حراسا على ذلك الإقليم!!!

وفي الحقيقة أن معظم المؤرخين والباحثين يرفضون رواية المؤرخ اليهودي فيلافيوس يوسيفوس، ويعتبرونها رواية كاذبة ومغرضة كمعظم رواياته عن التاريخ اليهودي، فمن المعروف تاريخيا أن الاسكندر الأكبر:

١ ـ لم يقم بزيارة لمدينة القدس العربية.

٢ ـ وبالتالي فإنه لم يزر المعبد اليهودي فيها.

٣ ـ ولم يقدم القرابين للرب «يهوه».

٤ ـ ولم يطلعه الكاهن اليهودي الأعظم في مدينة القدس العربية على نسخة من سفر دانيال، الذي لم يكن قد ألف بعد (٤٨).

إلا أن الاسكندر الأكبر لم يعمر طويلا، فقد توفي في بابل بعد أن عاد إليها من غزواته في قارة آسية عن عمر يقل عن ٣٣ عاما بأربعة أشهر بسبب إصابته بالحمى التي يعتقد أنها نوع من الملا ريا أو الطاعون، ولقد كانت وفاته في العام ٣٢٣ قبل الميلاد، وبوفاة الاسكندر الأكبر تقاسم كبار قادته أراضي الإمبراطورية اليونانية العملاقة ومترامية الأطراف، وانقسمت هذه الإمبراطورية إلى ثلاثة أقسام: قسم أوربي في مقدونية، وقسم أسيوي في الهند ووادي الرافدين وبلاد الشام، وقسم أفريقي من مصر والشمال الأفريقي، أما في القسم الأسيوي فقد قامت الدولة السلوقية، وجلس على عرش هذا القسم القائد اليوناني «سلوقس نيكاتور»، وقامت الدولة البطلمية في مصر والشمال الأفريقي التي جلس على عرشها القائد اليوناني «بطليموس سوتر» وفي بداية الأمر آلت فلسطين العربية لحكم البطالمة في مصر، إلى أن تمكن الملك السلوقي «أنطيوخوس الثالث» من ضمها للدولة السلوقية.

وفي الواقع أن الصراع الدائم بين السلوقيين في بلاد الشام، والبطالمة في مصر، والحروب التي دارت بينهم من أجل السيطرة على جوف سورية «جنوب سورية وفلسطين العربية» أدى إلى استغلال اليهود لتلك الظروف لصالحهم، وعلى ضوء هذا الواقع، نستطيع أن نفهم خلفيات الحركة اليهودية المكابية التي وردت أخبارها في

سفري المكابيين الأول والثاني، وأيضا في كتابات المؤرخ اليهودي الكاذب «فيلافيوس يوسيفوس»، هذا إذا أخذنا على محمل الجد وجود هذه الحركة في التاريخ القديم!!

وفي العهد اليوناني في فلسطين العربية، انقسم يهود مدينة القدس العربية إلى قسمين: قسم أول تأقلم مع الفكر والثقافة اليونانية، وأخذوا بالديانة الوثنية اليونانية وربما اعتنقوها أيضا، وأطلق عليهم اسم «المتأغرقون»، وقسم ثاني تمرد على الفكر والثقافة والديانة اليونانية وثاروا عليها وعرفوا باسم «المتمردين» وإذا ما حقق المكابيون بعض الانتصارات على السلطات السلوقية اليونانية في مدينة القدس العربية فإن ذلك يرجع إلى سببين رئيسيين:

الأول: الخلافات والصراعات والحروب المستمرة بين السلوقيين في بلاد الشام، والبطالمة في مصر.

والثاني: النزعات والخلافات الدائمة بين السلوقيين، انقسم في بلاد الشام.

وفي الواقع أن هذه الأسباب أدت إلى عدم محاولة السلطات اليونانية في بلاد الشام، الاهتمام بما تقوم به الأقليات السكانية والدينية من إزعاج لها ومن ضمنها الأقلية اليهودية في مدينة القدس العربية.

عاشرا: الاحتلال الروماني لفلسطين العربية

في العام ٦٣ قبل الميلاد استطاع القائد الروماني العملاق بومبيوس «بومي» من اجتياح بلاد الشام بأسرها بعد هزيمته لليونانيين في عقر دارهم، وقضى على الإمبراطورية اليونانية، وتذكر أسفار كتاب العهد الجديد أنه في بداية الحكم الروماني في فلسطين العربية، كان يهود مدينة القدس العربية يعملون كجواسيس وعملاء ووشاه للسلطات الرومانية في المدينة، وقد عانت الأقلية اليهودية في مدينة القدس العربية في بداية الحكم الروماني لها من مشاكل الخلافات والنزعات والانقسامات بين الزعماء اليهود إذ أن كل واحد منهم كان يزعم أنه مسيحهم المنتظر. وكان الرومان أحيانا يعينون ولاه يهود على مدينة القدس العربية.

ولقد شهد الثلث الأول من القرن الميلادي الأول، الأحداث المأساوية المؤسفة التي جرت في مدينة القدس العربية، والتي أدت إلى إلقاء القبض على السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وسجنه ومحاكمته محاكمة جائرة والحكم عليه بالموت صلبا،

وكان ذلك بتآمر يهود مدينة القدس العربية مع والي المدينة الروماني واسمه «بيلاطس البنطي» وقد نفذ الحكم بالسيد المسيح كما هو المأثور في الفكر اللاهوتي المسيحي.

ولكن شهر العسل لم يدم طويلا بين السلطات الرومانية في مدينة القدس العربية والأقلية اليهودية فيها، فقد بدأ يهود المدينة يسببون مضايقات صغيرة ومتتالية للحامية العسكرية الرومانية في المدينة معتقدين أن السلطات الرومانية سوف تعاملهم كما كانت تعاملهم السلطات اليونانية السلوقية من قبل، وللقضاء على دسائس اليهود ومؤامراتهم ضد الحامية العسكرية الرومانية في مدينة القدس العربية، زحف القائد الروماني تياتيوس» تيتوس أو تيطس» بجيشه صوب فلسطين العربية، وهاجم مدينة القدس، وهدم هيكلها المزعوم الثاني في العام الميلادي ٧٠. وبعد ذلك زحف الإمبراطور الروماني إيليوس هادريانوس (١١٧ - ١٣٨ م) بجيوشه باتجاه فلسطين العربية للقضاء على الثورة اليهودية بمدينة القدس التي جرت بين الأعوام الميلادية ١٣٢ و١٣٥، وهاجم مدينة القدس العربية ودمرها تدميرا شاملا، وأنشأ في مكانها مدينة جديدة خالية من اليهود أطلق عليها اسم «أيليا كابيتولينا»، ومنع اليهود السكن أو الإقامة فيها، إلا أنه سمح لهم بزيارتها لمرة واحدة في العام، كما وأن حظر سكن اليهود في مدينة القدس العربية تجدد مطلع القرن الميلادي السابع على يد الإمبراطور البيزنطي «هرقل»، وبعد الفتح العربي - الإسلامي لفلسطين العربية، جدد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العام الهجري الخامس عشر، حظر سكن اليهود في مدينة القدس العربية في عهدته المشهورة لسكان المدينة المعروفة باسم «العهدة العمرية» التي كتبت في العام الهجري الخامس عشر.

وبعد الضربات القاسية التي وجهها الرومان للأقلية اليهودية في مدينة القدس العربية، تشتت من بقي حي منهم في كافة أرجاء العالم، الأمر الذي ساعد على انتشار الديانة اليهودية على المستوى العالمي، وفي الواقع أن هذا لم يكن التشتت الأول ليهود مدينة القدس العربية، فقد تشتتوا منها أيضا بعد انتهاء الحكم الفارسي في فلسطين العربية، وهناك من يعتقد أن اليهود غادروا فلسطين العربية ورحلوا نهائيا عنها قبل سنوات طويلة من الاحتلال الروماني لها، وبذلك انقطعت صلة اليهود بفلسطين العربية لأكثر من ألفي عام متواصلة من عمر التاريخ، وبعد الطرد من فلسطين العربية عاش اليهود في مختلف بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط كأقليات مكروهة بسبب اعتقاد

العالم المسيحي الغربي أنهم هم قتلة ابن الرب عيسى بن مريم، ولهذا السبب تعرض اليهود في الغرب المسيحي لموجات متتالية من العنف والكراهية والاضطهاد وخاصة بعد ظهور النسخ المطبوعة الأولى من كتاب «التلمود» التي تذم وتقدح وتشهد بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وبوالدته السيدة مريم العذراء وبالديانة المسيحية بصفة عامة.

وفي الغرب المسيحي مارس اليهود شتى أنواع الأعمال، إلا أنهم تخصصوا بالأعمال المالية المشبوهة كالربا الفاحش والتجارة السوداء، وصناعة الخمور والمستحضرات الطبية. إضافة للدعارة وإدارة علب الليل والجاسوسية وحياكة المؤامرات والدسائس وغيرها من الأعمال الدنيئة، وفضلا على ذلك احتكر اليهود تجارة «الماس»، واستطاعوا جمع ثروات طائلة جدا، وظهرت منهم عائلات ثرية للغاية بالرغم مما يروج له الصهاينة من أن اليهود تعرضوا لشتى أنواع الكراهية والاضطهاد في الغرب المسيحي وأيضا في بلدان الشتات التي آوتهم لقرون طويلة.

وفي القرن الميلادي الثامن حدث تغيير جذري في التركيبة العرقية والإثنية لليهود، ففي هذا القرن دخل عنصر عرقي جديد لليهودية بتهود شعب الخزر الآسيوي في عهد الملك الخزري «بولان»، ثم ما لبث وأن ساد العنصر الخزري على التركيبة العرقية لليهود، وانقرض اليهود القدماء، وغدا يهود الخزر يشكلون الغالبية العظمى من يهود اليوم، وبالرغم من ذلك ظلت الكراهية لليهود بغض النظر عن الأصول العرقية التي ينحدرون منها قائمة حتى القرن الميلادي السادس عشر.

ـ فماذا حدث في هذا القرن؟

ـ هذا ما سوف نتعرف عليه في الفقرة التالية:

حادي عشر: اليهود في القرن الميلادي السادس عشر

كانت الكنيسة الكاثوليكية تنظر لليهود كمارقين ومحتالين وقتلة، قتلوا ابن الرب عيسى بن مريم بالمفهوم اللاهوتي المسيحي، ولكن في القرن الميلادي السادس عشر، ظهرت الحركة الدينية الإصلاحية البروتستانتية التي قادها داخل الكنيسة الكاثوليكية المدعو «مارتن لوثر»، ولقد كان هدف مارتن لوثر من وراء حركته الإصلاحية هو

تشجيع اليهود للتحول عن ديانتهم واعتناق الديانة المسيحية، ولما فشل في ذلك واكتشف أن اليهود يسعون لتهويد المسيحية، تبنى فكرة عودة اليهود لفلسطين العربية من أجل التخلص منهم وطردهم من أوروبة، ومن هنا ولدت ما تسمى باسم «الصهيونية المسيحية» التي ظهرت قبل ظهور الصهيونية اليهودية بأكثر من ثلاثة قرون.

وبعد الثورة الدينية البروتستانتية داخل الكنيسة الكاثوليكية، أصبحت المفاهيم والعقائد الدينية اليهودية من صميم الفكر الديني المسيحي البروتستانتي، وغدت الشعارات العنصرية اليهودية كشعب الله المختار ونقاء الجنس اليهودي وأرض الميعاد والشتات، تدرس للأطفال في المدارس.

لقد سعت المسيحية البروتستانتية علاوة على الحركة الماسونية على رفع القيود التي كانت مفروضة على اليهود في العالم الغربي، وساوتهم ببقية أبناء الشعوب الأوروبية التي تدين بالمذهب البروتستانتي، ووفرت لهم حرية ممارسة العمل السياسي والعسكري والاجتماعي والإعلامي، وأدخلهم في المجالات الفكرية والعلمية والأدبية بعد أن كان محرما عليهم مزاولة تلك الأعمال في الغرب المسيحي، وهذا في الواقع سهل على الصهاينة نشر مبادئهم الاستعمارية الرامية إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية، وسلبها بالقوة العسكرية الغاشمة من أصحابها العرب.

ثاني عشر: الديانة اليهودية

في نهاية هذا الفصل يبدو أنه من غير الممكن أن نختمه دون أن نتطرق بشكل موجز للديانة اليهودية، فنبي الله موسى عليه السلام الذي يعتبره اليهود زعيمهم وقائدهم ومؤسس ديانتهم ينتمي في الأصل للقبائل العربية البائدة التي عاشت في الأزمنة الغابرة في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، إلا أن اليهود ينسبونه لأسباط بني إسرائيل الذين بادوا وانقرضوا في عمر مبكر من تاريخهم، وفي الواقع أن الحقيقة المجردة أن اليهود لا ينتمون لبني إسرائيل الأوائل، ولا لنبي الله موسى عليه السلام، ولا علاقة لهذا النبي العظيم باليهود ولا بالديانة اليهودية الحالية، يقول المفكر الأمريكي الدكتور «مايكل هارت» في مؤلفه (المائة الأوائل) ما يلي:

«كثير من الناس يعتقدون أن موسى هو مؤسس الاعتقاد اليهودي، ولكن ليس

هنالك أي أساس من الصحة لمثل هذا الاعتقاد، إذ أن المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن موسى هو كتاب العهد القديم، وإن قصص العهد القديم عن موسى لا يمكن أن تقبل لأن فيها كثيرا من الخرافات، وبعد انتشار الإسلام أصبح موسى شخصية محبوبة في العالم الإسلامي» (٤٩).

ومما لا شك فيه أن الديانة اليهودية الحالية تختلف اختلافا جذريا وجوهريا عما أتى به موسى عليه السلام، فالعقيدة الموسوية القيمة هي ديانة منزلة من السماء، جوهرها التوحيد الخالص لله تعالى، وطبيعتها الإيمان المطلق به وبأوامره ونواهيه ورخصه، والعقيدة الموسوية هي ذاتها نفس الدعوة التي نادى بها جميع الأنبياء ابتداء من آدم عليه السلام وحتى آخر الأنبياء والمرسلين، النبي العربي الأمي سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وفي الحقيقة أن الديانة اليهودية الحالية ليس لها أدنى علاقة بتعاليم السماء، فهي تزوير للدين القيم، وتزييف للعقيدة الموسوية الأصلية، يقول الدكتور موريس بوكاي ما يلي:

«إن التوراة اليهودية التي اعتبرها الناس اعتمادا على زعم اليهود أنها كتاب موسى الذي يحتوي على شريعته وتعاليمه، هي ليست كذلك، فقد أجمع العلماء المعاصرون على أن التوراة الحالية ليست هي التوراة الأصلية، ولا علاقة لها بموسى، ولا علاقة لموسى بها ولا بالديانة اليهودية الحالية» (٥٠).

وفي الحقيقة أن توراة موسى الأصلية قد فقدت واختفت في وقت مبكر من عمر الدعوة الموسوية، وأول محاولة لتدوين توراة جديدة بديلة عن توراة موسى الأصلية كانت حسب زعم اليهود في عهد الملك «يوشيا» أحد ملوك مملكة يهوذا المزعومة في فلسطين العربية، عندما قرر هذا الملك إعادة العمل بالشريعة الموسوية، فانتهز هذه الفرصة كاهن يهودي اسمه «حلقيا» وعكف على تأليف توراة جديدة صغيرة كانت تقرأ مرتين في اليوم الواحد وسلمها للكاتب «شاقان» إما لينسخها أو يسلمها للملك «يوشيا»، وزعم أنها توراة موسى الأصلية وقد عثر عليها أثناء ترميم المعبد اليهودي في مدينة القدس العربية، إلا أن التوراة بصورتها الأولية التي تطورت عنها التوراة الحالية، فقد تم تدوينها في بابل وليس في فلسطين العربية على يد الوراق «عزرا» الذي كان يعمل كاتبا في البلاط الفارسي الإخميني، وفي الواقع أن الكاهن اليهودي «عزرا» ولد وتربى وتعلم

وعاش في بابل معظم سنوات حياته ومات أيضا في بابل، ولم ير فلسطين العربية في حياته سوى مرة واحدة عندما قاد الفوج الثاني من يهود الأسر البابلي في رحلة العودة إلى مدينة القدس العربية على حد زعم التوراة.

وقد استند الكاهن اليهودي «عزرا» أثناء تدوينه لتوراته على الخرافات والأوهام والأكاذيب، وعلى روايات شفهية تفتقر جميعها للسند اللازم لصحة التواتر، وعلى أساطير شبه جزيرة العرب، وفلسفات فارس والهند والصين، فضلا على التراث الفكري والديني للأمم العملاقة القديمة كالكنعانيين والفراعنة والأشوريين والبابليين، ويذكر أن التوراة التي ألفها الكاهن «عزرا» كانت تقرأ على مسامع اليهود في المعبد اليهودي بمدينة القدس مرة واحدة في الأسبوع، على العكس من توراة الكاهن «حلقيا» التي كانت تقرأ مرتين في اليوم الواحد، ويقول الفيلسوف «ول ديورانت» في مؤلفه» قصة الحضارة» ما يلي:

«لم يكن هذا الكتاب هو كتاب العهد الذي قرأه يوشيا من قبل، لأن هذا العهد جاء بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد، بمقابل أن قراءة كتاب عزرا قد احتاجت إلى أسبوع واحد».

وهذا في الواقع يدل على ضخامة توراة الكاهن «عزرا» وكثرة عدد صفحاتها، والديانة اليهودية الحالية بدون أدنى شك خطط لها واختمرت فكرتها، ثم حررت ودونت في بابل وليس في فلسطين العربية التي لم تكن أبدا مهد الديانة اليهودية، ولا بيئتها الطبيعية حسب زعم اليهود، وقد أعيدت صياغة أسفار كتاب العهد القديم جميعها في مناسبات عديدة حسب التغيرات والمستجدات التي طرأت على نمط حياة اليهود وحسب الظروف التي مروا بها، وقد تم ذلك على أيدي شتى أنواع البشر، واستمرت عمليات تحرير وتنقيح التوراة الجديدة، وإضافة نصوص جديدة لنصوصها ثم تدوينها مرة ثانية وثالثة ورابعة فترة زمنية طويلة جدا تقدر بأكثر من ١٥٠٠ عاما حتى وصلت لصورتها النهائية الحالية بعد عصر الميلاد بكثير.

والديانة اليهودية الحالية هي في الواقع ديانة وضعية كهنوتية عنصرية الطابع، جوهرها الوهم والخرافة والأسطورة، وطبيعتها التعصب الأعمى لليهود والحقد على سواهم.

وكتاب العهد القديم ليس هو في الحقيقة ليس الكتاب الوحيد الذي يعتمد عليه

اليهود في فكرهم الديني، وإنما يستمدون معتقداتهم الدينية من مجموعة كبيرة من الكتب الدينية يأتي في مقدمتها كتاب «التلمود» يقول الأب «أ ي. بي. برانايتس» عن كتاب التلمود ما يلي:

«إن كتاب التلمود هو الكتاب العقائدي الذي يفسر وحده كل معارف اليهود» (٥١).

ويعتقد اليهود أن كتاب التلمود هو الآخر كتاب منزل من السماء، إلا أن الله تعالى لقنه مشافهة لموسى عليه السلام، ولذلك يطلقون عليه اسم «التعاليم الشفهية» ويعلل اليهود سبب تلقين نصوص التلمود لموسى مشافهة لأنه لو نزل عليه مكتوبا لضاقت عنه الأرض!! ولهذا السبب اكتفى الرب بتلقينه شفهيا لموسى عليه السلام إلى جانب التوراة المكتوبة على الألواح، ويطلق اليهود على كتاب التلمود اسم «توراة شيبيل بيه» في حين يطلقون على التوراة المكتوبة اسم «توراة شيبكتاب». ويتألف كتاب التلمود من قسمين:

الأول هو «المشناه» وهي في الواقع النص الأصلي لكتاب التلمود أو «المتن» ويزعم اليهود أن المشناه دونت في فلسطين العربية، ويعتقد البعض أن المشناه هي إعادة وتكرار لشريعة موسى، بينما يرى البعض الآخر أنها شرح وإيضاح لتلك الشريعة، ويقابل كلمة المشناه باللغة العربية كلمة «المثنى».

أما القسم الثاني من كتاب التلمود فهو ما يعرف باسم «الجمارا».

و الجمارا هي بمثابة شرح وتوضيح لما صعب فهمه، واستعصى استيعابه من نصوص المشناه.

وبحسب نصوص الجمارا ينقسم التلمود إلى تلمودين:

الأول: هو التلمود الأورشليمي

ويزعم اليهود أن التلمود الأورشليمي وضع في فلسطين العربية، ويطلقون عليه اسم تلمود أهل الغرب نظرا لوقوع فلسطين العربية إلى الغرب من بابل.

والثاني: هو التلمود البابلي

والتلمود البابلي دونه الكهنة اليهود في بابل، وهو أكثر نضوجا وأتم موضوعا من

التلمود الأورشليمي الذي دونه الحاخامات اليهود في فلسطين العربية بسرعة وسطحية بسبب ظروف الاحتلال الروماني لها، والحقيقة أن المشناه هي واحدة في كلا التلمودين الأورشليمي والبابلي، ويعتقد العلماء أن واضع المشناه هو الحاخام «يهوذا هاناسى» في نهاية القرن الميلادي الثاني.

ويحتوي التلمود على كل ما يتعلق بحياة اليهود الدينية والدنيوية، وإضافة إلى ذلك فقد نفث اليهود في صفحات التلمود سموم حقدهم وتعصبهم وعنصريتهم، وكراهيتهم لكل ما هو غير يهودي، فضلا على تطاولهم الوقح والبشع على الذات الإلهية، وعلى الأنبياء الكرام عليهم السلام، وتضمن كتاب التلمود هجوما عنيفا على الديانة المسيحية وعلى نبيها السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وعلى والدته السيدة مريم العذراء، واتهموها بشتى أنواع التهم البشعة وبأحط العبارات وأقذر الكلمات التي لا تليق بمقامها السامي الكريم على الإطلاق، وهذا يدل في الواقع على تدني وانحطاط طبائع اليهود وأخلاقهم وسلوكيتهم، وعلى كفرهم وفجورهم.

٣

اليهود القدماء

- هل حقا أن فلسطين العربية هي أرض اليهود كما يزعم الصهاينة ومن يدور في فلكهم في الشرق والغرب؟

- وهل هي الموطن الأصلي لليهود كما يزعمون ويروجون له في جميع المحافل الدولية وفي أجهزة الإعلام المختلفة؟ حتى أصبحت هذه الأسطورة تصادف قبولا ورواجا واسعا في مختلف أرجاء العالم!!

- وهل لليهود تاريخ قديم في فلسطين العربية؟

- وهل كان لليهود مملكة قديمة ذات شأن عظيم في فلسطين العربية؟

- وهل كان لليهود أصلا وجود ذو قيمة في فلسطين العربية؟!!

ربما استطعنا مما ورد في الفصل السابق أن نستنتج أنه لم يكن لليهود القدماء وجود مهم في فلسطين العربية، فوجودهم فيها كان مجرد وجود لأقلية سكانية مثلهم مثل الأقليات الأخرى التي كانت تعيش على أرضها، ومما لا شك فيه أن الوجود اليهودي في فلسطين العربية في الأزمنة الغابرة كان وجودا طارئا وعابرا ولا يعطيهم أي نوع من الاستثناء عن غيرهم، ولا يخولهم الزعم بأنه كان لهم تاريخ قديم في فلسطين العربية، ويجعلون العالم يصدق زورا وبهتانا بأوهام وخرافات وأكاذيب التاريخ اليهودي المزعوم في فلسطين العربية، لدرجة أن يؤسس عليه الكيان الصهيوني الغاصب الحالي فيها.

إلا أن القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم،

هي التي جعلها مخترعوها ومبتدعوها تتمحور أساسا على فلسطين العربية التي جعلوا منها بؤرة اهتمامهم وتفكيرهم، وقمة سنام خيالهم الواسع الذي لا حدود له، وحاولوا عن طريق علم الآثار الحديث إثبات صحة هذه القراءة المغرضة، ولكن علماء الآثار اليهود والأجانب معا فشلوا على مدى أكثر من قرن ونصف القرن من عمر التاريخ فشلا منقطع النظير في العثور على آثار ذات طابع يهودي في فلسطين العربية من الممكن الإعلان عنها، وإشهارها في وجه المتشككين بهذه القراءة الكاذبة، الأمر المضحك والذي يدعو إلى السخرية إن دولة عظيمة من الطراز الأسطوري حسب وصف التوراة اليهودية لها، تترك آثارا ليست بالقليلة على أرض الواقع في فلسين العربية، وهذا يدل على ثلاثة مستحيلات:

١ ـ استحالة أن تكون فلسطين العربية هي الموطن الأصلي لليهود!.

٢ ـ استحالة أن يكون لليهود تاريخ قديم له قيمة في فلسطين العربية!.

٣ ـ استحالة أن يكون اليهود قد أسسوا لهم مملكة في أي مرحلة من مراحل التاريخ الفلسطيني!.

وفي هذا الفصل سوف لا ننظر بعين الاعتبار للقراءة الخيالية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم التي اعتبرت ظلما وجوراً أن فلسطين العربية هي أرض اليهود وموطنهم الأصلي، والبيئة الطبيعية لتوراتهم، وإنما سوف نتناول الدراسات التاريخية الحديثة التي ظهرت في الآونة الأخيرة عن أصل اليهود القدماء وموطنهم الأصلي والتي تذهب للقول بأن الموطن الأصلي لليهود كان في شبه جزيرة العرب وتحديدا في جنوبها الغربي، وخصوصا في بلاد عسير وبلاد اليمن القديم، وهذه الفرضية لها ما يدعمها في الواقع، فمن المعروف جيدا أن شبه جزيرة العرب هي الموطن الأصلي لجميع الشعوب التي استوطنت منطقة الشرق الأدنى في التاريخ القديم، وهي تلك الشعوب التي سميت خطأً باسم الشعوب «السامية» واليهود القدماء ليسوا بأي حال من الأحوال استثناء لهذه القاعدة التاريخية المعروفة.

وفي الحقيقة أن الدراسات التاريخية الحديثة تسعى لحل اللغز المزمن عن أصل اليهود القدماء وموطنهم الأصلي ومهد ديانتهم والبيئة الطبيعية للتوراة اليهودية، مثل

دراسات الدكتور كمال الصليبي (٥٢) الرائدة في هذا الموضوع، وضمن دراساته وأبحاثه في المؤلفات التالية:

١ ـ التوراة جاءت من جزيرة العرب.

٢ ـ خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل.

٣ ـ حروب داود.

وأيضا دراسات الأستاذ فاضل الربيعي في مؤلفه الضخم المكون من مجلدين والذي يحمل عنوان «فلسطين المتخيلة ـ أرض اليهود في اليمن القديم»، إضافة إلى دراسات الأستاذ زياد مني في مؤلفه «التوراة اليمانية أو الصنعانية وجغرافية التوراة».

وجميع هذه الدراسات التاريخية الحديثة عن أصل اليهود وموطنهم الأصلي جاءت على العكس تماما من الدراسات التاريخية التقليدية الواقعة تحت تأثير القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، التي تعتبر فلسطين العربية هي الموطن الأصلي لليهود، فإن الدراسات التاريخية الحديثة لا تعتبرها كذلك، وإنما تنظر لجنوب غرب شبه جزيرة العرب بمحاذاة سواحل البحر الأحمر كموطن أصلي لليهود، والحقيقة أن هذه الدراسات التاريخية الحديثة لا تعتمد على علم الآثار في فرضياتها وإن كان من الأفضل أن توثق من جانب علم الآثار عندما يكون ذلك ممكنا، وإنما هذه الدراسات مستوحاة من مصادر أخرى، ولكنها لا ترقي إلى مرتبة الدراسات الأثرية إلا أنها لا تقل أهمية ومصداقية عنها، وهذه المصادر هي كالتالي:

أولا: زيارات شخصية للباحثين والدارسين لغرب شبه جزيرة العرب.

ثانيا: مصادر لغوية:

والمصادر اللغوية تعتمد أساسا على المقابلة اللغوية بين أسماء الأماكن المضبوطة بالحرف العبري في التوراة، مع أسماء أماكن تاريخية وحالية كما في دراسات الدكتور كمال الصليبي، وأيضا على ما ورد في مؤلفات قدامي الجغرافيين العرب مثل (الحسن الهمداني) (٥٣) في مؤلفه «صفة جزيرة العرب»، وياقوت الحموي (٥٤) في مؤلفه «معجم البلدان» كما في دراسات الدكتور كمال الصليبي والأستاذ فاضل الربيعي.

ثالثا: المعاجم الجغرافية:

١ ـ المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية الذي بدأ في الظهور منذ العام الميلادي ١٩٧٧، وأشرف على جمعة نخبة من العلماء السعوديين.

٢ ـ معجم قبائل الحجاز: وقد قام بتصنيف هذا المعجم المقدم «عاتق بن غيث البلادى» حيث اعتمد الدكتور كمال الصليبي على هذه المعاجم في دراساته.

رابعا: الشعر العربي القديم (الجاهلي):

كما في دراسات الأستاذ فاضل الربيعي.

من أين أتى اليهود القدماء؟

بحسب الدراسات التاريخية الحديثة، فإن بني إسرائيل الأوائل واليهود القدماء بالتالي هم كما يقول الدكتور كمال الصليبي من شعوب العرب البائدة ـ أي من شعوب الجاهلية الأولى ـ وأن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن أبدا في فلسطين العربية بل كانت في غرب شبه جزيرة العرب بمحاذاة سواحل الحر الأحمر، وتحديدا في بلاد «السراة» الواقعة بين الطائف ومشارف اليمن، ويضيف الدكتور الصليبي أن الديانة اليهودية ظهرت بين بني إسرائيل في هذا المكان، ثم انتشرت الديانة اليهودية من موطنها الأصلي الواقع غرب شبه جزيرة العرب في وقت مبكر من عمرها. وانتقلت إلى بلاد وادي الرافدين وبلاد الشام ودولة مصر الفرعونية وغيرها من بلدان الشرق الأدنى القديم (٥٥).

أما الأستاذ فاضل الربيعي فله رأي آخر في الموطن الأصلي لليهود، إذ أنه يقول أن وجود مملكة إسرائيل اليمنية القديمة كان يقع شرقي «صنعاء»، أو في «نجران»، وقد اعتمد هذا الباحث من ضمن أشياء أخرى في دراساته على مقالات المفكر «عبد الرحمن الشهبندر» التي نشرها في العام الميلادي ١٩٣٦ بمجله الرسالة المصرية وتناول في هذه المقالات كتاب المؤرخ والرحالة السوري «نزيه المؤيد العظم» الذي يحمل عنوان «رحلة إلى بلاد اليمن السعيدة» وقد زار هذا المؤرخ والرحالة السوري بلاد اليمن في العام الميلادي ١٩١٦، وقابل هناك الحاخام اليهودي الأعظم في مدينة «صنعاء» وسأله عدة أسئلة عن أصل اليهود ثم كتب قائلا ما يلي:

«تقابلت في القاع (قاع اليهود في اليمن) مع عدة أشخاص من اليهود وعيونهم،

وسألتهم أسئلة متعددة عن أصل اليهود اليمانيين وعن أحوالهم وأشغالهم، وها أنا أنقل حديثا جرى بيني وبين حاخامهم الأكبر المدعو (إسحاق) في داره وسألته:

ـ ماذا تعرف عن اليهود في اليمن وعن مدينتهم؟

فقال:

ـ كان لليهود مدينة عظيمة، وكان لهم ملك فخيم شرقي صنعاء، وقد أسس ذلك الملك وتلك المدينة الملك (سليمان بن داود).

ـ وهل قامت تلك المملكة في نجران؟

فقال:

ـ لا أعلم بالضبط، ولكني لا أشك أنها كانت شرقي صنعاء، ومن المحتمل أنها كانت في نجران» (٥٦).

ولكن...

ـ إذا ما كان غرب شبه جزيرة العرب وبخاصة بلاد عسير وأجزاء من اليمن القديم حقا الموطن الأصلي لبني إسرائيل واليهود؟

قد يتبادر إلى الذهن السؤالان التاليان:

ـ هل بعلم اليهود أن موطنهم الأصلي كان شبه جزيرة العرب؟

وإذا كانت الإجابة بنعم:

ـ فلماذا لم يسع اليهود للعودة إلى موطنهم الأصلي؟

أن من يسمون أنفسهم يهودا في الوقت الحاضر لا يمتون بصلة من قريب أو من بعيد لبني إسرائيل الأوائل ولا لليهود القدماء، فهم في الواقع ينتمون أصلا لسلالة شعب الخزر الأسيوية التي تهودت في القرن الميلادي الثمن، ومما لا شك فيه أن يهود اليوم لا يعرفون الموطن الأصلي لليهود أو يتظاهرون بذلك لأسباب استعمارية هدفها اغتصاب أرض فلسطين العربية.

وإذا ما كان غرب شبه جزيرة العرب وأجزاء من بلاد اليمن القديم هما الموطن الأصلي لبني إسرائيل الأوائل واليهود القدماء، فإن هذه ليست دعوة للصهاينة الذين

يزعمون أنهم امتداد لهم لاغتصاب أراضي عربية جديدة تحت أي ظرف من الظروف، لأن بنيَ إسرائيل الأوائل واليهود القدماء بادوا وانقرضوا واختفوا تماما عن الوجود منذ آلاف السنين، ولا يحق لصهاينة اليوم الذين يعتبرون أنفسهم امتدادا طبيعيا لهم أن يطالبوا بحقوق تاريخية في غرب شبه جزيرة العرب وبلاد عسير وبلاد اليمن، وهذا الأمر ينطبق مائة في المائة على فلسطين العربية التي لم تكن في يوم من الأيام التاريخية الغابرة هي الموطن الأصلي لليهود، ولا البيئة التاريخية للتوراة، إلا أن القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لتاريخ الشرق القديم، جعلت من فلسطين العربية بالغش والخداع والتزوير، وبجرة قلم من بعض المؤرخين والباحثين الأفاكين والمأفونين والمغرضين، وكان من نتاج ذلك اغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين العربية بالقوة العسكرية الغاشمة دون وجه حق.

وهذا لا يعني إطلاقا خلو فلسطين العربية أو غيرها من بلدان الشرق الأدنى القديم من اليهود، إلا أن الحقيقة التي لا تقبل جدلا أن اليهود عاشوا في بلدان الشرق الأدنى القديم كأقليات سكانية هامشية لا شأن لها، بالرغم مما يردده الصهاينة عن تاريخ يهودي عظيم في تلك البلدان.

ومن الجدير بالذكر أن أول سكان عرفهم التاريخ لفلسطين العربية هم العرب الكنعانيون الذين استوطنوها في عصور ما قبل التاريخ ابتداء من الألف السادس قبل الميلاد، وقد استمرت الغلبة والسيادة فيها لعدة آلاف من السنين. وفي الواقع أن العرب الكنعانيين هاجروا إلى فلسطين العربية من غرب شبه جزيرة العرب.

ثم هاجرت إلى فلسطين العربية القبائل العربية الفلسطينية من غرب شبه جزيرة العرب أيضا، وهي أحد بطون قبيلة «طيء» العربية، وقد عرفت فلسطين العربية في العصور القديمة باسم «أرض كنعان الشامية» نسبة للعرب الكنعانيين، وذلك تمييزا لها عن أرض كنعان التوراتية الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب، ثم عرفت باسم فلسطين العربية نسبة للقبائل العربية الفلسطينية، ومن الجدير بالذكر أن اسم «فلسطين» كان يطلق على معظم أراضي بلاد الشام (فلسطين الكبرى) وذلك من قبيل إطلاق اسم الجزء على الكل، وقد اتخذت فلسطين العربية تلك الأسماء قبل الظهور التاريخي لليهود على مسرح التاريخ والأحداث بالآلاف من السنين.

واستنادا إلى الدراسات التاريخية الحديثة عن أصل اليهود وموطنهم الأصلي، فمن الممكن الجهر بما يلي:

١ ـ أن بني إسرائيل الأوائل لم يتواجدوا في دولة مصر الفرعونية، ولم يقيموا إطلاقا فيها مدة ٤٣٠ عاما على حسابات التوراة!

٢ ـ لم يكن هناك خروج إسرائيلي من أراضي دولة مصر الفرعونية إلى صحراء سيناء المصرية بقيادة نبي الله موسى عليه السلام!

٣ ـ لم يكن هناك غزو عسكري إسرائيلي مدمر أو غير مدمر لفلسطين العربية قبل نحو ثلاثة آلاف عاما!

٤ ـ ولم يكن هناك احتلال إسرائيلي لفلسطين العربية في الزمن الغابر!

٥ ـ ولم يكن هناك إبادة جماعية للشعب العربي الفلسطيني، وتطهير عرقي له من قبل يوشع بن نون وقومه!.

٦ ـ ولم يستوطن اليهود القدماء أرض فلسطين العربية بشكل واسع وبدت وكأنها خلت من سكانها العرب كما يحاول الصهاينة اليوم أن يوقروا في نفوس الناس!

٧ ـ ولم تكن هناك مملكة يهودية عظيمة أو غير عظيمة في أي مرحلة من مراحل التاريخ الفلسطيني القديم، وبالتالي لم تكن مدينة القدس العربية عاصمة لتلك المملكة المزعومة!

٨ ـ ولم يبن اليهود هيكل سليمان المزعوم في مدينة القدس العربية!

٩ ـ ولم يعش نبيا الله داود وسليمان عليهما السلام في أرض فلسطين العربية بل لم تطأ أقدامهما قط تراب فلسطين العربية ومدينة القدس!

١٠ ـ ولم يكن هناك أسر بابلي لليهود من مدينة القدس العربية، وبالتالي لم يعودوا إليها بعد الاحتلال الفارسي لفلسطين العربية في العام ٥٣٨ قبل الميلاد!

١١ ـ ولم يكن لليهود جذور ولا تاريخ قديم في فلسطين العربية من الممكن الاستناد إليه في إقامة دولة يهودية على أرضها مثل الكيان الصهيوني الحالي الغاصب فيها!

١٢ ـ أما ما يردده الصهاينة من أن لهم تاريخ قديم في فلسطين العربية بل ويعتبرونها موطنهم الأصلي والبيئة التاريخية الطبيعية لتوراتهم، فإنه مما لا شك فيه أن مثل هذا الزعم هو مجرد كذب وافتراء، وتزوير صارخ للحقائق التاريخية وتزييف رخيص لها.

وفي الحقيقة أن الدراسات التاريخية الحديثة، تؤكد النقاط الاثنتي عشرة سالفة الذكر من حيث ما يلي:

١ ـ أن الموطن الأصلي لليهود القدماء كان في غرب شبه جزيرة العرب، وليس في فلسطين العربية كما يزعم الصهاينة.

٢ ـ أن فلسطين العربية لم تكن في أي مرحلة من تاريخها هي أرض اليهود.

٣ ـ إن مسرح جميع الأحداث التوراتية تقريبا كان في غرب شبه جزيرة العرب، ولم يكن أبدا في فلسطين العربية.

٤ ـ تعتمد الدراسات التاريخية الحديثة صحة الروايات التاريخية التوراتية، وتعتبرها ضمنا قد حدثت فعلا،

ولكن...

على أساس أن غرب شبه جزيرة العرب هي مصدرها ومسرح أحداثها من أولها لآخرها، وليس فلسطين العربية على الإطلاق.

٥ ـ في الواقع أن جميع الأماكن التي ورد ذكرها في التوراة وتقع أصلا في غرب شبه جزيرة العرب، لها ما يقابلها من أسماء في فلسطين العربية، وهذا أمر طبيعي بالطبع، فالمهاجرون العرب الأوائل حملوا معهم أسماء مناطقهم التي أتوا منها والواقعة في شبه جزيرة العرب، وقاموا بنقلها إلى الأماكن الجديدة التي استوطنوها في بلاد الشام، والأسماء التي تشابه الأسماء التوراتية والواقعة على أرض فلسطين العربية، كانت من ضمن أسباب أخرى أدت إلى القراءة الخيالية الغربية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، ومما لا شك فيه أنه قد التبس الأمر على الباحثين والدارسين التوراتيين بقصد أو بدون قصد، فلم يعد بإمكانهم التفريق بين أماكن جغرافية تتعلق باليهود وتقع في شبه جزيرة العرب «أسماء الأماكن التوراتية» وبين الأسماء الشامية التي تقع في فلسطين العربية وتحمل نفس الأسماء التوراتية!

وعلى هذا الأساس، أصبح بالإمكان الآن وعلى ضوء الدراسات التاريخية إعادة كتابة تاريخ الشرق الأدنى القديم وصياغته صياغة جديدة بعيدة كل البعد عن القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لذلك التاريخ، وهذا يستوجب منا في البداية إعادة التعرف على بعض الأماكن الجغرافية التي ورد ذكرها في التوراة، ونفرق بينها وبين أسماء الأماكن الشامية التي تقع في فلسطين العربية.

الأماكن التوراتية:

أولا: أرض كنعان التوراتية:

في الحقيقة أن أرض كنعان التي ورد ذكرها في التوراة، هي بلا أدنى شك غير أرض كنعان الشامية أو فلسطين العربية، وهي بكل تأكيد ليست الأرض التي غزاها يوشع بن نون وقومه في بلاد الشام، فالدراسات التاريخية الحديثة تشير إلى أن أرض كنعان التوراتية كانت تقع في غرب شبه جزيرة العرب، وضمت هذه الأرض المنحدرات البحرية لمنطقة عسير من قطاع «بلحمر» في الشمال مرورا برجال ألمع، وحتى منطقة جيزان في الجنوب ومعظم هذه المنطقة ضمنا.

وفي أرض كنعان التوراتية الواقعة غرب شبه جزيرة العرب، من الممكن ملاحظة وجود قريتين تسميان «قناع» ـ قنع، قارن بالجذر «كنع» ومنه «كنعن» ـ، في منطقة «المجاردة» الواقعة شمال منطقة «بلحمر» وفي الجوار الأوسع ذاته، هناك قرية تسمى «العزة» وكذلك قرية تسمى «القناع» وواحدة تسمى «ذي القناع» وواحدة تسمى «القنعات» وهناك قريتان تسميان «القنعة» وهذا الاسم هو مؤنث «قنع» توجدان في منطقة «جيزان» وهناك قرية تسمى آل كنعان «ءل كنعن» وتعني حرفيا «إله كنعان» في وادي «بيشة» عبر الشرق المائي من منطقة المجاردة.

والدليل الاسمي المتعلق بموقع الكنعانيين التوراتيين ـ تفريقا لهم عن أولئك الشاميين ـ في غرب شبه جزيرة العرب، يستدعى إعادة نظر دقيقة وبالعمق في الأفكار الشائعة حول هذا الموضوع (٥٧).

ثانيا: مصرايم ـ مصريم، أو مصر التوراتية:

في الحقيقة أن مصرايم أو مصريم التي ورد ذكرها في التوراة، وفسرت حسب القراءة الحالية لنصوص التوراة ولتاريخ الشرق الأدنى القديم على أنها دولة مصر الفرعونية المعروفة والمشهورة في التاريخ القديم، لا تعني هذا المعنى على الإطلاق، لأن بني إسرائيل لم يتواجدوا في دولة مصر الفرعونية، ولم يقيموا فيها ٤٣٠ عاما كما ورد في التوراة، والدليل على ذلك خلو المصادر التاريخية الفرعونية من أي إشارة أو ذكر أو حتى تلميح لوجود شعب اسمه «بني إسرائيل» يقيم في دولة مصر الفرعونية، وإذا ما ورد اسم «إسرائيل» مرة واحدة في الأثر الفرعوني الهائل كله، فإن ذلك كان في سياق الحديث عن موضوع آخر ليس له علاقة ببني إسرائيل كما سنتناول هذا لاحقا.

ـ فما المقصود بمصرايم أو مصريم التوراتية؟

تشير الدراسات التاريخية الحديثة، أن مصرايم او مصريم التوراتية هي في الواقع إشارة إلى ما يلي:

١ ـ بلدة «المصرمه» في جوار مدينة «أبها»

٢ ـ أو في وادي «بيشة» (٥٨)، بغرب شبه جزيرة العرب.

٣ ـ أو أنها إشارة إلى «آل مصري» في منطقة الطائف.

٤ ـ ويحتمل أيضا أن اسم مصرايم أو مصريم يشير إلى مستوطنين مصريين حلوا في هذه الأماكن فعرفت باسمهم (٥٩).

وفي مصرايم أو مصريم أو بلدة «المصرمه» عاش بنو إسرائيل، وفيها أيضا عاش نبيا الله يوسف وموسى عليهما السلام، ومنها كان الخروج الإسرائيلي إلى البراري والقفار بقيادة نبي الله موسى عليه السلام.

أما بالنسبة لفرعون صاحب القصص المعروفة جيدا مع موسى عليه السلام، فيبدو أن العرب القدماء في شبه جزيرة العرب كانوا يطلقون لقب «فرعون» على كل حاكم أو ملك أو زعيم طاغية في زمانه وفي الواقع أن اسم فرعون مشتق أصلا من اسم فرعه «آل فراعه» الذي كان اسما لملك أو حاكم المصرمه أو لقبا له من ضمن ما يلقب به ثم

انتقل هذا الاسم إلى دولة مصر الفرعونية ليصبح لقبا لملوكها ولكن في وقت متأخر نسيا، فمن المعروف تاريخيا أن ملوك دولة مصر القديمة لم يتخذوا عن اسم «فرعون» لقبا لهم من جملة ألقابهم وبطريقة غير منتظمة قبل العام ١٥٥٠ قبل الميلاد، والواقع أن ملوك دولة مصر القديمة لم يتلقبوا بهذا اللقب بصورة منتظمة قبل عهد الأسرة الثانية والعشرين، أي بحدود عام ٩٥٠ قبل الميلاد، وهذا في الحقيقة تاريخ متأخر جدا في تاريخ دولة مصر القديمة الطويل (٦٠).

ثالثا: أرض مديان، أو «مدين التوراتية»:

أرض مديان أو «مدين التوراتية»، التي فر إليها نبي الله موسى عليه السلام هروبا من انتقام حاكم أو ملك مصرايم أو مصريم «المصرمه» منه، وبطشه به، بعد قتله خطأ لرجل من أهل تلك الأرض، وقضى موسى عليه السلام نحو عقد من عمره، وتزوج إبنة كاهن مديان «مدين» الذي تسميه التوراة «يثرون» ليست هي في الواقع منطقة «تبوك» الواقعة شمال غرب شبه الجزيرة العربية، كما حاول بعض الباحثين تحديد مكانها الجغرافي بتوجيه من الصهاينة وأجهزة إعلامهم، فلقد بينت الدراسات التاريخية الحديثة أن أرض مديان «مدين التوراتية» كانت تقع في وادي «التثليث» بغرب شبه جزيرة العرب، وهي في الوقت الحاضر بلدة «المدينة» في ذلك الوادي، وإضافة إلى ذلك يوجد هناك مديان «مدين» أخرى تقع في بلاد اليمن هي اليوم تسمى «مدين» وتحتوي أرض «مدين» على بئر ماء مشهور تحدثت عنه كتب الأخبار عند العرب.

ويبدو أن موسى عليه السلام قدم إلى جبل «ألوهيم» أي جبل «ألهان» من مديان اليمنية وليس من مديان «مدين» وادي التثليث (٦١).

رابعا: هـ يردن التوراتي:

إن اسم «هـ ـ يردن» الذي ورد في التوراة ـ وفسر على أنه نهر الأردن بفلسطين العربية حسب القراءة الخيالية الغربية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، ذلك النهر التوراتي المزعوم الذي عبره يوشع بن نون وقومه وهم في طريقهم إلى مدينة «أريحا» التوراتية ـ إلا أنه في الحقيقة أن «هـ ـ يردن» التوراتية لا تعني نهرا في الأصل، ولا ينطبق هذا الاسم

على نهر الأردن بفلسطين العربية، وإنما هـ ـ يردن التوراتي هو في الواقع عبارة عن أجراف أو قمم ومرتفعات جبلية تقع في جنوب الحجاز وبلاد عسير بغرب شبه جزيرة العرب (٦٢).

خامسا: مدينة أريحا، أو «يرحو التوراتية»:

إن مدينة يرحو «يريحو» التوراتية التي يعتقد اليهود أن يوشع بن نون استهل بها غزوه لأرض كنعان التوراتية، ليست هي في الواقع مدينة أريحا العربية الفلسطينية التي كانت مركزا لعبادة القمر في الأزمنة الغابرة، إذ يبدو أن أريحا «يرحو» التوراتية كما يقول الدكتور كمال الصليبي هي بلدة «الرخية» في وادي أضم أو «وادي ورواح» في مرتفعات «زهران» (٦٣) بغرب شبه جزيرة العرب.

سادسا: أورشليم التوراتية:

إن مدينة أورشليم التوراتية التي احتلها الملك داود في التوراة، ليست هي مدينة القدس العربية الفلسطينية، وإنما هي محلة أورشليم «أورسالم» الواقعة في منطقة «السراة» اليمنية كما وصفها الجغرافي العربي القديم «الحسن الهمداني»، وورد ذكرها أيضا في الشعر العربي الجاهلي القديم، أما بالنسبة لحصن صهيون الذي استولى عليه الملك داود، فهو لا يوجد أصلا على أرض فلسطين العربية، وإنما يوجد في سراة «حمير» وأكثر من ذلك فإن التوراة لا تصف قدسا واحدة بل ثلاثة أماكن يدعى كل منها «قدس» وليس ثمة مكان آخر على وجه الأرض فيه ثلاثة أماكن يدعى كل منها «قدس» سوى اليمن التي وصفها الجغرافي العربي القديم الحسن الهمداني (٦٤).

هذا ويعتقد الدكتور كمال الصليبي أن أورشليم التوراتية هي قرية «آل شريم» الحالية الواقعة في مرتفعات «النماص» بغرب شبه جزيرة العرب، أما مدينة داود فهي في الوقت الحاضر قرية «أم صمدة» الواقعة في منطقة رجال ألمع (٦٥)،

واستنادا إلى الدراسات التاريخية الحديثة، فمن الممكن إعادة صياغة التاريخ اليهودي القديم صياغة جديدة غير تلك المألوفة والسائدة في أذهان الناس والدارجة بينهم، فاليهود القدماء ليسوا أصلا من أرض فلسطين العربية، وليس لهم تاريخ قديم فيها، فهي:

١ ـ ليست موطنهم الأصلي كما يزعم صهاينة اليوم.

٢ ـ وليست مهد الديانة اليهودية.

٣ ـ وليست البيئة الطبيعية للتوراة.

٤ ـ وجميع أحداث التاريخ اليهودي القديم لم تحدث على أرض فلسطين العربية.

فاليهود القدماء في واقع الأمر هم أصلا من شعوب العرب البائدة أو شعوب الجاهلية الأولى، وكان موطنهم الأصلي يقع في الأماكن الجغرافية التالية:

١ ـ إما في بلاد «عسير» الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب (٦٦).

٢ ـ وإما في بلاد اليمن القديم (٦٧).

وإذا ما أردنا تناول بعض **الأساسيات المحورية في التاريخ اليهودي القديم انطلاقا من نتائج الدراسات التاريخية الحديثة**، فمن الممكن تناولها على النحو التالي:

أولا: العبرانيون، «عبريم»:

ورد في الإصحاح العاشر من سفر الخلق أو التكوين، أن العبرانيين كانوا يعرفون باسم بني عابر «بني عبر»، وعلى حد زعم التوراة فإن عابر هذا هو جد الجماعات أو الشعوب العبرانية، وبحسب شجرة الأنساب التوراتية المشكوك أصلا في صحتها فإن عابر جد الجماعات العبرانية هو حفيد رجل اسمه «أرفشكاد بن سام بن نوح» وكان لعابر ابنان:

الأول: اسمه فالج:

ولقد سمي الابن الأول لعابر بهذا الاسم لأنه في أيامه انفلجت الأرض، فقد ورد في الإصحاح العاشر من سفر الخلق «التكوين» ما يلي:

● «ولد لعابر ابنان أحدهما فالج لأنه في أيامه انفلجت الأرض، واسم أخيه «يقطان» (٦٨) ومن ذرية «فالج بن عابر» انحدر نبي الله إبراهيم عليه السلام، فهو حسب الروايات التوراتية «إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن

عابر»، وإبراهيم عليه السلام الذي تصفه التوراة بلقب «العبراني» كما ورد في الإصحاح الرابع عشر من سفر الخلق «التكوين»:

● «فجاء من أفلت وأخبر أبرام العبراني وهو مقيم عند بلوطات ممرا الأموري أخي أشكول وعانر وهم حلفاء أبرام» (٦٩).

ليس هو بجد لبني إسرائيل وحدهم عن طريق ابنه الثاني «إسحاق» وحفيده يعقوب «إسرائيل» عليهما السلام، وإنما هو أيضا الجد الأعلى للقبائل العربية المنحدرة من ذرية ابنه البكر نبي الله إسماعيل عليه السلام، ومن أبنائه من زوجاته الأخريات: قطورة بنت يقطن وحجون بنت أمين.

والثاني: أما الابن الثاني لعابر فكان اسمه يقطان «يقطن» وانحدرت من ذريته قبائل اليمن العربية.

وبالتالي فإن نسل إبراهيم وذريته الذين من الممكن إطلاق صفة العبرانيين عليهم نسبة إليه، أعم وأشمل من أن يحتكره حفنة من اليهود لا يتجاوز عددهم أربعة عشر مليونا في الوقت الحاضر على مستوى العالم كله، فذرية إبراهيم ونسله تشمل أيضا شعوب كثيرة أخرى تنتمي للعبرانيين مثل الشعوب اليقطانية والإسماعيلية والقطورية والأدومية على سبيل المثال.

وبتأثير من الروايات التوراتية والفكر الغربي الواقع تحت هيمنتها، فمن المتعارف عليه لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث، أن مسقط رأس أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام كان في محلة أو كاصديم أو أور «تل الموقير» الواقعة جنوبي «بابل» وربما تأثر أولئك الذين يعتقدون بهذه النظرية بما اكتشفه (بين الأعوام الميلادية ١٩٢٢ و١٩٣٢) عالم الآثار «ليوناردو ولي» في موقع تل الموقير الأثري أو موقع «أور كاصديم» إذ اكتشف مدينة كانت تعرف باسم «أور» تدل آثارها على أنها كانت مدينة على درجة عالية من الرقي والتمدن ومستوى رفيع من الحضارة، وقد قدر عدد سكان هذه المدينة وقتئذ بعدد يتراوح بين خمسة وعشرين وخمسين ألف نسمة، إلا أن حالة مدينة أور كاصديم أو تل الموقير حاليا قد تدهورت بعد اجتياح العيلاميون لها في العام ١٩٦٠ قبل الميلاد (٧٠). أي قبل الظهور التاريخي لإبراهيم عليه السلام.

وفي الحقيقة أن علماء الآثار والخطوط واللغات القديمة لم يعثروا في الألواح الأثرية

التي استخرجوها من موقع تل الموقير أو أور كاصديم الأثري على أي إشارات تدل على إبراهيم وقومه، وفي الواقع أن أثر وادي الرافدين الهائل، وأثر مصر الفرعونية أيضا، لا يحتوي على ذكر أو إشارة أو حتى تلميح عن إبراهيم وقومه، وهذا في حقيقة الأمر ينفي أن تكون محلة أور كاصديم الواقعة في جنوب بابل هي مسقط رأس إبراهيم، ومهد رسالته التوحيدية، كما وأنها لم تكن المكان الذي ابتدأت منه هجراته، وينفي أيضا مجيئه إلى دولة مصر القديمة وإقامته فيها ردحا من الزمن كما هو سائد ودارج في سيرة حياة إبراهيم عليه السلام، وكما ورد في الروايات التوراتية عنه، وفي الحقيقة أن القرآن الكريم لم يحدد لنا مكان إقامة إبراهيم ولا من أين ابتدأت هجراته ولا الزمان الذي عاش فيه.

فما هو الموطن الأصلي لإبراهيم؟

تشير الدراسات التاريخية الحديثة وبخاصة كتابات الدكتور كمال الصليبي أن الموطن الأصلي لإبراهيم عليه السلام كان في غرب شبه جزيرة العرب، وتحديدا في بلدة «وريه المقصود» الواقعة في وادي «أضم» (٧١)، وهذا يتناقض تماما بالطبع مع ما هو سائد ومتوارث والذي يذهب للقول أن بلدة أور كاصديم جنوبي وادي الرافدين هي مسقط رأس أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والمكان الذي انطلقت منه هجراته.

إعادة تصور لخط سير هجرات إبراهيم

بحسب دراسات الدكتور كمال الصليبي الحديثة عن أصل اليهود القدماء، فقد وضع تصورا جديدا لخط سير هجرات إبراهيم مغايرا تماما لما هو متعارف عليه، فقد بدأت هجراته من موطنه الأصلي الواقع في بلدة «وريه المقصود» بوادي «أضم» في غرب شبه جزيرة العرب، واتخذت المسار التالي:

١ ـ من بلدة «وريه المقصود» رحل إبراهيم عليه السلام وقومه إلى بلدة حاران أو «حرن» التي يبدو أنها في الوقت الحاضر موقع خيران أو خرن في وادي أضم بغرب شبه الجزيرة العربية، وفي الواقع أن بلدة حاران المقصودة هنا، ليست مدينة حاران أو حران كما يذكرها جغرافيو العرب، والواقعة في أقصى شمال بلاد الشام.

٢ ـ ومن بلدة حاران «حرن» واصل إبراهيم وقومه سيرهم باتجاه بلدة «شكيم»

التي ليست هي مدينة نابلس العربية الفلسطينية الواقعة في الضفة الفلسطينية لنهر الأردن كما هو متعارف عليه لدى الناس، وإنما هي بلدة الكشمة «كشم» من رجال ألمع بغرب شبه جزيرة العرب.

٣ ـ وبعد بلدة «الكشمة» غادروها إبراهيم وقومه واستقر في حرش «موره» الذي يبدو أنه بلدة «الموره» الحالية.

٤ ـ ومن حرش المورة رحل إبراهيم عليه السلام إلى بلدة «بيت إبل» وهذه البلدة في الواقع ليست بلدة «بيت إيل» الفلسطينية الواقعة بالقرب من مدينة القدس العربية/ وإنما تقع بلدة بيت أيل التوراتية في منطقة «رجال ألمع» بغرب شبه جزيرة العرب وتعرف في الوقت الحاضر باسم «البتيلة».

٥ ـ كانت خطوة إبراهيم التالية باتجاه النقب «هـ ـ نجب»، وهي اليوم قرية «النقب» في رجال ألمع وليست أبدا صحراء النقب بفلسطين العربية.

٦ ـ ومن النقب «هـ ـ نجب» رحل إبراهيم وقومه إلى بلدة «مصريمة» التي ليست هي دولة مصر القديمة التي تبعد عنها آلاف الكيلومترات بل هي قرية «المصرمه» الحالية التي تقع بين مدينة «أبها» ومدينة «خميس مشيط»، يلفظها السكان المحليون باسم «المصرامة» وفي هذه البلدة استطاع إبراهيم عليه السلام أن يجمع ثروة كبيرة، وربما كان ذلك عن طريق التجارة بالمواشي وأصوافها، إلا أن إبراهيم عليه السلام واجه مشاكل وصعوبات جمة مع حاكم أو ملك المصرمه الملقب بلقب فرعه أو آل فراعه أو فرعون.

٧ ـ ومن المصريمة عاد إبراهيم مرة أخرى إلى منطقة النقب «هـ ـ بجب» في رجال ألمع ثم إلى بلدة بيت أيل مرة ثانية أي إلى البتيلة.

٨ ـ ومن بلدة بيت أيل «البتيلة» رحل إبراهيم عليه السلام ليستقر في حرش «ممرا» قرب بلدة «حبرون» وفي الواقع أن بلدة حبرون هذه ليست مدينة الخليل الواقعة في جنوب أراضي الضفة الفلسطينية لنهر الأردن، وإنما هي في الوقت الحاضر بلدة «النمرة» القريبة من «الخربان» في منطقة «المجاردة» المجاورة، وبالقرب من بلدة «النمرة» وفي منطقة «القنفدة» بالذات، توجد هناك إلى يومنا هذا، مجموعة من أربع قرى، ولا شك أن هذه المجموعة من القرى الأربع هي قرية أو قريات أربع «قريت عربع» التي ذكرها في التوراة، وفي قرية أربع التوراتية كانت تقيم زوجة إبراهيم الأولى ساراي «سارة» عند وفاتها،

وفي الجوار ذاته توجد إلى الآن قرية مغلقة تعرف باسم «مكفيلة» التي اشترى فيها إبراهيم عليه السلام الأرض التي دفن فيها زوجته سارة بعد وفاتها، ومما لا شك فيه أنه ليس ثمة علاقة تربط هذه القرية بمغارة «المكفيلة» الواقعة في مدينة «الخليل» العربية الفلسطينية (٧٢).

ثانيا: بني إسرائيل

إسرائيل هو اسم عربي كنعاني قديم، وكان اسما لمدينة عربية تقع في الشمال الفلسطيني، وفي المصادر الإسلامية فإن كلمة إسرائيل تعني «عبد الله» كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وورد في تفسير القرطبي، ثم أصبحت هذه الكلمة لقبا لنبي الله يعقوب «إسرائيل» عليه السلام، وفيما بعد أصبح هذا اللقب اسما لقبائل أو أسباط بني إسرائيل، ثم اسما لشعب «شعب إسرائيل» ثم اسما للمملكة اليهودية الشمالية المزعومة «إسرائيل» في فلسطين العربية، وأخيرا اسما للكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية.

أما كيف تحول اسم نبي الله يعقوب عليه السلام إلى «إسرائيل»، فتروي التوراة قصة غريبة كافية وحدها كشاهد على مدى التشويه الذي لحق بالديانة اليهودية، وتدل على فساد عقائدهم، فقد جسد كتبة التوراة الذات الإلهية على صورة رجل يصارع يعقوب في الليل، ولما لم يتمكن من صرعه اكتفى بتبديل اسمه من يعقوب إلى إسرائيل! ورد في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخلق أو التكوين ما يلي:

- «وبقي يعقوب وحده، فصارعه رجل إلى مطلع الفجر، ورأى أنه لا يقدر عليه فلمس حق وركه فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أتركك حتى تباركني، فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب، قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل، لأنك روست عند الله وعلى الناس أيضا تستظهر» (٧٣).

وورد في معجم اللاهوت الكتابي عن كلمة إسرائيل ما يلي:

- إسرائيل = رؤوس عند الله «صارع الله» (٧٤)!.

ويتباهى اليهود بالقوة الأسطورية التي ورثوها عن يعقوب «إسرائيل» عليه السلام،

وكيف لا؟ فإسرائيل هو مصارع الرب وقاهره حسب معتقداتهم الفاسدة!

ووفقا للروايات التوراتية فقد تزوج يعقوب «إسرائيل» عليه السلام من أربع نساء هن كالتالي:

١ ـ ليقه ابنة خاله «لابان» وأنجب منها كل من: روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون.

٢ ـ راحيل «راشيل» ابنة خاله لابان أيضا وأخت «ليقه» وأنجب منها يوسف عليه السلام وبنيامين.

٣ ـ زلفة جارية ليقه وأنجب منها كل من جاد وأشير.

٤ ـ بلهه جارية راحيل وأنجب منها دان ونفتالى.

وبني إسرائيل هم أبناء وأحفاد وذرية نبي الله يعقوب «إسرائيل» عليه السلام، ويقول الدكتور كمال الصليبي أنه بعد الظهور التاريخي لبني إسرائيل، لم يعد تعبير «عبراني» يستخدم إلا نادرا للإشارة إليهم وتحديدا في الأسفار التاريخية، وذلك لتمييز بني إسرائيل أثنياً عن شعوب أخرى عاشوا أو وجدوا بينهم (٧٥)، وكما ذكرنا سابقا، فإن بني إسرائيل ينحدرون بجذورهم العرقية من شبه جزيرة العرب، فهم ينتمون أصلا لشعوب العرب البائدة، أي لشعوب الجاهلية الأولى.

وفي الحقيقة أن بني إسرائيل الأوائل أقاموا بأرض مصرايم أو مصريم الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب، وليس في دولة مصر القديمة أو الفرعونية كما هو السائد والدارج والمتعارف عليه استنادا للقراءة الحالية الخاطئة لتاريخ الشرق الأدنى القديم والتفسير التعسفي لنصوص التوراة، ولقد أقام بنو إسرائيل بأرض مصرايم الواقعة في وادي «بيشة» بغرب شبه جزيرة العرب مدة ٤٣٠ عاما كما ورد في التوراة، وفي أرض «مصرايم أو مصر التوراتية» تكاثر بنو إسرائيل حتى أصبحوا شعبا كثير العدد بلغ تعداده ٦٥٠ ألف نسمة على حد زعم التوراة، وهذا الرقم لا يمكن أن يكون صحيحا، فمن غير المعقول أن يكون بني إسرائيل قد تكاثروا بهذه السرعة الأرانبية ليصل عددهم إلى ذلك الرقم الفلكي، أن عدد بني إسرائيل الذين رحلوا إلى أرض مصرايم «مصريم» مع نبي الله يعقوب «إسرائيل» عليه السلام كان بحدود ٧٠ نسمة فقط بين رجل وامرأة وشيخ وطفل!!

ومن الغريب أن هناك تعتيم توراتي شديد على أخبار بني إسرائيل في أرض مصرايم «مصريم» بعد وفاة نبي الله يوسف عليه السلام، وقد ظل هذه التعتيم التوراتي قائما حتى أيام موسى عليه السلام، وعندما بعث موسى عليه السلام نبيا في بني إسرائيل بدأت مشاكلهم مع حاكم أو ملك المصرمه «مصرايم» الأمر الذي حدا بموسى وقومه للخروج من أرض مصريم إلى الصحراء وتاهوا فيها لمدة أربعين عاما، وبعد انقضاء سنوات التيه والضياع في البراري والقفار، قاد موسى عليه السلام قومه إلى مشارف أرض كنعان الواقعة في جنوب أرض الحجاز (٧٦)، وأرض كنعان التوراتية ليست هي أرض فلسطين العربية كما هو السائد نتيجة للقراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم.

ثالثا: نبي الله موسى عليه السلام

من المتعارف عليه لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث، وواسع الرواج والانتشار أيضا ين العرب واليهود معا وعلى حد سواء، أن نبي الله موسى عليه السلام ولد في دولة مصر القديمة، وبعد أن ألقته أمه في اليم، التقطته زوجة ملك مصر القديمة وقررت احتضانه، ونشأ وتربى وعاش وتلقى تعليمه في قصر هذا الملك، وعندما كبر واشتد عوده عمل في البلاط الملكي لملك مصر القديمة، وربما كان قائدا عسكريا لديه، ولكن موسى عليه السلام اضطر للفرار من أرض مصر القديمة خشية من بطش ملكها به بعد قتله للمصري، وتوجه إلى أرض مديان «مدين» وقضى فيها نحو عقد من عمره تزوج خلالها بامرأة من أرض مديان «مدين»، ثم عاد موسى عليه السلام إلى أرض مصر القديمة مرة أخرى ليخرج بني إسرائيل منها إلى صحراء سيناء، وفي هذه الصحراء واجه موسى وقومه صعوبات كثيرة، وعناء شديدا، وضرب الله عليهم الضياع والتيه في الصحراء لمدة أربعين عاما.

وبعد انقضاء سنوات التيه في الصحراء تمكن موسى عليه السلام من قيادة قومه إلى مشارف فلسطين العربية، ولكنه توفي هو وشقيقه هارون عليهما السلام في أرض «مؤاب» الواقعة شرقي نهر الأردن دون أن تطأ أقدامها قط أرض فلسطين كما تذكر التوراة، وبعد وفاة موسى عليه السلام، تذكر التوراة أن يوشع بن نون تولى قيادة بني إسرائيل من بعده، وقد استطاع يوشع بن نون القيام بغزو عسكري مدمر لفلسطين

العربية واحتلها ودمر مدنها وقراها وأحرقها وأباد جميع من فيها من سكان وطهرها تطهيرا عرقيا تاما من أصحابها العرب، وأحل في محلهم أسباط بني إسرائيل الاثني عشر. إلى هنا تنتهي قصة نبي الله موسى عليه السلام حسب القراءة المخيالية العربية الاستشراقية الكولونيالية لأحداث تاريخ الشرق الأدنى القديم، وفي الحقيقة أن هذه الرواية تصادف رواجا كبيرا بين الناس بغض النظر عن مصداقيتها.

إلا أن الدراسات التاريخية الحديثة تكذب هذه الرواية وتدحضها، فموسى عليه السلام لم يولد في دولة مصر القديمة أو مصر الفرعونية ولم يعش في مصر كلها، ولم تطأ أقدامه قط أرضها في يوم من الأيام، والخروج الموسوي لم يكن منها على الإطلاق.

فالدراسات التاريخية الحديثة تشير إلى أن موسى عليه السلام كان رجلا عبرانيا مجهول الأبوين، ولد وعاش في أرض مصرايم «مصريم التوراتية» وربما في مدينة مصرايم نفسها، أي بلدة «المصرمه» الحالية الواقعة بالقرب من مدينة خميس مشيط بغرب شبه جزيرة العرب، وكان عليه السلام مقربا من الطبقة الحاكمة في تلك المدينة، إلا أن هناك ما يشير إلى أنه كان في صفوف المعارضة في مصرا يم، واضطر للفرار إلى أرض مديان «مدين» خشية من بطش حاكمها أو ملكها به، وأرض مديان «مدين» هي اليوم بلدة «المدينة» الواقعة في وادي تثليث إلى الشرق من المصرمه، فلما انتصرت المعارضة في مصرايم «مصريم ـ المصرمه»، وقتل ملكها أو حاكمها هو وجميع أتباعه، وجلس في مكانه حاكم أو ملك جديد، تمكن موسى عليه السلام من العودة إلى أرض مصرايم ثانية (٧٧).

الخروج الإسرائيلي من مصرايم

في الحقيقة أن الخروج الإسرائيلي بقيادة نبي الله موسى عليه السلام لم يتم من دولة مصر القديمة أو مصر الفرعونية، فموسى عليه السلام لم يعش فيها ولا بني إسرائيل أيضا، وإنما تم الخروج الإسرائيلي من أرض مصرايم أو مصريم التي ورد اسمها في التوراة وفهمت خطأ أنها دولة مصر القديمة، وأرض مصرايم هي الآن بلدة «المصرمه» الحالية الواقعة بجوار مدينة أبها الحجازية، أو في وادي «بيشة» بغرب شبه جزيرة العرب، وفي مصرايم أو المصرمه حاليا، ولد موسى عليه السلام، ونشأ وتربى وأقام فيها، وكان مقربا من حاكمها أو ملكها، وعمل في بلاطه، وعندما بعث موسى نبياً، حدثت المشاكل

المعروفة بينه وبني إسرائيل من ناحية، وحاكم مصرا يم «مصريم» وأهلها من ناحية ثانية وعندما سمح حاكم مصرا يم «المصرمه» لموسى وقومه بالخروج منها، وضع له شرطا وهو أن يتجه وقومه شرقا باتجاه نجد ووادي اليمامة، وقد احتاط حاكم مصرايم للخروج الإسرائيلي من أرضه بأن وضع قوات عسكرية تابعة له عند المخارج الشرقية لحوض وادي بيشة، ومن ضمنها قوات عند «الخماسين» بوادي الدواسر، وقوات أخرى من منطقة «حبونا».

مسار الخروج الإسرائيلي من مصرا يم

١ ـ في بادئ الأمر تجمع بنو إسرائيل في قرية «آل سكوت» من سراة «بلقرن» حيث كانوا يعملون بالسخرية.

٢ ـ ثم سار بنو إسرائيل من «آل سكوت» إلى قرية «الريمة» في نفس المنطقة ثم انحدروا من هناك باتجاه «الخماسين» وعندما تعذر عليهم الخروج من تلك الناحية، اتجهوا جنوبا حيث نزلوا أمام مدخل «الحواضر» الواقع بين «القلعة» و«يام» أماما بأعلى «صفن»، ومن ذلك المكان استعد الشعب الإسرائيلي للنزول في بلاد «يام» التي هي البادية التي تفصل وادي نجران عن رمال بحر صافي من رمال الربع الخالي (٧٨).

وفي الواقع أن منطقة وادي نجران وما يحاذيها من الأودية من الشمال والجنوب، هي أكثر مناطق شبه جزيرة العرب تعرضا للسيول الجارفة، وهناك لحق حاكم مصرايم أو مصريم «المصرمه حاليا» بني إسرائيل على رأس جيوشه وفرسانه ومركباته وأدركهم وهم نازلون بأعلى «صفن» وهي اليوم قرية «الصفن» بين وادي حبونا ووادي نجران.

سارع بنو إسرائيل بالخروج من هناك إلى بلاد «يام» وفي ذلك الوقت كان هناك سحاب كثيف يحول دون ترقب أهل مصرايم «المصرمه» لبني إسرائيل، وينذر بسيل عرم، وفي اليوم التالي تبع أهل مصرايم «مصريم ـ المصرمه» بني إسرائيل إلى وسط بلاد يام وليس إلى وسط البحر كما هو الاعتقاد السائد، ثم لاحظ أهل مصرايم قدوم السيل نحوهم فتوقفوا عن ملاحقة بني إسرائيل، إلا أن السيل الرهيب لحق بهم هناك وأهلكهم جميعهم ولم يتبقى منهم أحد على قيد الحياة (٧٩)، أما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة والماء يحيط بهم عن يمينهم «سيل وادي نجران» وعن يسارهم «سيل وادي حبونا».

٣ ـ بعد هلاك حاكم أو ملك مصرايم وجميع أتباعه في الماء، زال خطرهم عن

بني إسرائيل الذين استمروا في السير إلى بلاد يام ثم إلى رمال بحر صافي، ثم ارتحلوا إلى منطقة «شور» التي هي اليوم قرية «شرى» بوادي «خب» الذي يقع على مسافة ١٢٠ كيلومترا تقريا إلى الجنوب من وادي حبونا، ومن هذا الوادي رحل بنو إسرائيل باتجاه اليمامة (٨٠).

٤ ـ إلا أن بني إسرائيل غيروا خط سيرهم واتجهوا جنوبا نحو وادي خب، ومن هناك إلى مرتفعات اليمن، وتوقفوا هناك عند عين ماء اسمها «إيليم»، ومن ذلك المكان إلى برية «سين» وفي النص التوراتي فإن برية سين كان موقعها بين إيليم وسيني، وسيني هذه ليست هي صحراء سيناء بدولة مصر القديمة كما هو الدارج، وإنما هي منطقة في جبل «التعكر» إلى الجنوب من بلدة «أب» حيث يوجد إلى اليوم قرية اسمها السيانس «سيني».

أما برية سين فهي اليوم وادي «سيان أو سين» بناحية جبل ألهان حيث مسرح قصة نبي الله موسى عليه السلام (٨١).

٥ ـ ولكن بني إسرائيل لم يمكثوا طويلا في برية سين، إذ أنهم انتقلوا من هناك إلى موقع «رفيديم» بناحية «العارضة» بمنطقة جيزان، وهناك اصطدموا بأهالي «عماليق» الذين رفضوا استقبالهم أو قبولهم بينهم، وفي هذا المكان لم يجد بنو إسرائيل ماء للشرب، فضرب موسى عليه السلام بعصاه صخرة في مكان اسمه «حوريب» أو حرب، فانبجست منها الماء، ثم سار موسى عليه السلام قومه إلى مشارف أرض كنعان الواقعة في سراه «زهران»، وليس فلسطين العربية أو أرض كنعان الشامية كما هو متعارف عيه في القراءة الحالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، إلا أن موسى عليه السلام توفي قبل أن يدخل هذه الأرض.

رابعا: الأرض الموعودة:

تزعم التوراة أن الأرض الموعودة التي وعدها الرب «يهوه» لإبرام العبراني كانت تمتد من نهر «مصريم» إلى النهر الكبير «فرت» كما ورد في الفقرة الثامنة عشر من الإصحاح الخامس عشر من سفر الخلق «التكوين» وبحسب تفسير علماء التوراة لهذين النهرين وأيضا بحسب القراءة الحالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، فإن نهر مصريم

التوراتي اعتبر على أنه نهر النيل بدولة مصر القديمة، أما نهر «فرت» التوراتي أخذ على أنه نهر الفرات الذي يمر بوادي الرافدين!!، وبالتالي فإن الأرض التي وعدها الرب لإبرام كانت تمتد من نهر النيل بدولة مصر القديمة، وحتى نهر الفرات بدولة العراق الحالية، وهذا في الحقيقة تصور خيالي غربي استشراقي كولنيالي يرمي إلى سيطرة الصهاينة على أرض شرق المنطقة العربية، ووضعها تحت هيمنتهم ونفوذهم.

وحسب ما ورد في التوراة أيضا ?فإن وعد الرب لإبرام قد تكرر ليعقوب «إسرائيل»، ثم لموسى عليهما السلام، وأخيرا ليوشع بن نون خليفة نبي الله موسى عليه السلام في قيادة بني إسرائيل، ومن الغريب أن وعد الرب لهؤلاء الأنبياء لم يتحقق لهم ولو لمرة واحدة على مدى التاريخ القديم كله!! وهناك شبه إجماع بين علماء الدراسات التوراتية أن سفر الخلق «التكوين» الذي ورد فيه وعد الرب لإبرام العبراني بملكية الأراضي التي تقع بين نهر مصرايم ونهر فرت لم يدون إلا بعد وفاة إبرام العبراني بفترة زمنية طويلة جدا، ومن التناقض التوراتي أن الأرض التي وعدت لموسى عليه السلام كانت أكثر اتساعا وامتدادا من الأرض التي وعدت لإبرام، فالأرض الموعودة لموسى شملت إضافة إلى ما وعد به إبرام جميع أرض كنعان وتخومها كما ورد في الفقرة الثانية من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر العدد.

ولكن.....

- هل كان هناك أرض موعودة لأنبياء بني إسرائيل؟

- وهل كانت فلسطين العربية هي الأرض الموعودة لبني إسرائيل دون غيرهم من الشعوب الأخرى؟

وللإجابة نبدأ بالسؤال الأول، ففي الواقع أنه لا يوجد ما يشير إلى أن الله تعالى وعد بأرض بعينها لأحد من عبيده أو لشعب من الشعوب، وفي البداية لا بد لنا من تحديد ملكية الأرض!

- أهي ملك لله تعالى، أم للشر؟

وفي هذا السياق سوف نستعين بالنصوص التوراتية لتحديد ملكية الأرض، ولو أن فيها تناقضات متعددة!!.

١ ـ تقرر التوراة أن الأرض لله وحده وليست للبشر، وهي لا تباع وتشترى كما ورد في سفر اللاوين:

- «والأرض لا تباع بته لأن الأرض لي وأنتم غرباء ونزلاء عندي» (٨٢).

٢ ـ أن الرب وضع آدم عليه السلام في الجنة ليعملها ويحفظها، لا ليتملكها ويتحكم فيها ويظلم عبيد الله، كما ورد في النص التوراتي التالي:

- «في جنة عدن ليعملها ويحفظها» (٨٣).

٣ ـ ويؤكد سفر أرميا على أن الرب أتى بالإنسان إلى الأرض ليستفيد منها وليس لكي يدمرها وينجسها:

- «وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها، فأتيتم ونجستم أرضي وجعلتم ميراثي رجسا» (٨٤).

٤ ـ وبالرغم من النصوص التوراتية الصريحة سالفة الذكر، إلا أن الرب ظهر لإبراهيم في قرية أربع ليؤكد له وعده الذي أعطاه إياه من قبل ولكن بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض:

- «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكير، القينيين والقنزيين والقدمونيين، والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرشانيين واليبوسيين» (٨٥).

وهكذا أصحت الأرض الممتدة من نهر مصر إلى النهر الكبير ملكا خالصا لإبرام ولنسله من بعده، وجميع الشعوب التي في هذه الأرض ملك لهم أيضا.

٥ ـ ومن الغريب أن إبرام رغم ملكيته لتلك الأراضي الشاسعة، نراه عند وفاة زوجته الأولى ساراي «سارة» يذهب إلى بني حث في قرية أربع، ويطلب منهم أن يعطوه ملك قبر لديهم حتى يدفن زوجته سارة، وقال لهم بصريح العبارة أنه غريب ونزيل عندهم:

- «أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر لأدفن ميتي من أمامي» (٨٦)

فكيف يستوي ذلك مع وعد الرب له ملكيته تلك الأراضي؟

وبالرغم من أن الدين لا يمكن أن يكون مستندا قانونيا لتملك الأرض أو أي شيء آخر، إلا أن اليهود يعتقدون أن الرب أعطاهم أرض كنعان ردحا من الزمن، وعندما طردوا منها لكثرة ما اقترفوا من معاصي وآثام، وعدهم على لسان أنبياء بني إسرائيل بالعودة إليها ثانية في الوقت المناسب!!

فهل أرض كنعان التوراتية هي أرض فلسطين العربية؟

وهنا نأتي للإجابة عن السؤال الثاني.

لا يبدو أن فلسطين العربية هي الأرض التي وعدها الرب لبني إسرائيل، هذا ما سلمنا جدلا بأن هناك أرض موعودة لهم فعلا!! وأرض كنعان التوراتية هي بلا أدنى شك ليست أرض كنعان الشامية أو فلسطين العربية، فأرض كنعان التوراتية كانت تقع في غرب شبه جزيرة العرب، بينما تقع أرض كنعان الشامية «فلسطين العربية» في أقصى غرب قارة آسية وعلى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وليس على شواطئ البحر الأحمر.

وأرض كنعان التوراتية كانت تقع في غرب شبه جزيرة العرب كما ورد في سفر العدد، وقد جرى ضبط حدود أرض كنعان التوراتية من قبل الدكتور كمال الصليبي موجب جغرافية شبه جزيرة العرب، وكانت حدود تلك الأرض كما يلي:

١ ـ الحد الشرقي:

آ ـ كانت الحدود الشرقية للأرض الموعودة لبني إسرائيل تبدأ من «عينين» في حرة «القوم»، وتتجه جنوبا إلى جضاير «الثقن» قارن مع شفم التوراتية التي تطلق عليها التوراة اسم «شفام» والواقعة في وادي «تثليث».

ب ـ ومن شفام تسير الحدود الشرقية للأرض الموعودة إلى محله ربله «هربل» شرقي «عين» وعين هذه ليست العين المجاورة لهربل الواقعة في منطقة خميس مشيط، وإنما هي قرية أخرى تقع إلى الشمال منها، وهي من قرى واحة «خيبر» في وادي بيشه.

ج ـ ومن هربل تنطلق هذه الحدود شرقا إلى «قطف» الواقعة غرب «قرينا» التي هي واحة في وادي الدواسر بلاد «يام» وتنتهي الأرض الموعودة في غرب الرمال ـ أي في بلاد «يام» غرب رمال الربع الخالي.

٢ ـ الحد الغربي:

الحد الغربي للأرض الموعودة لبني إسرائيل كان هو سواحل البحر الكبير أو البحر الأحمر.

٣ ـ الحد الشمالي:

آ ـ أما الحد الشمالي للأرض الموعودة لبني إسرائيل فكان يبدأ عند شواطئ البحر الأحمر، ثم يتابع صعودا مارا جبل «هور» الذي هو الآن موقع قرية «الهرة» على حرف سراة زهران عند حدود بني مالك في منطقة الطائف.

ب ـ ثم تمتد الحدود الشمالية للأرض الموعودة داخل منطقة الطائف مرورا بـ «الحماطة» في بلاد بني مالك.

ج ـ ثم تنعطف الحدود الشمالية إلى الداخل لتنتهي عند واحة أو حاضرة «عينين» في حرة البقوم.

٤ ـ الحد الجنوبي:

آ ـ تبدأ الحدود الجنوبية للأرض الموعودة لبني إسرائيل من برية زين «صين التوراتية»، وهي قرية في وطن «الموقجة» بمنطقة نجران، ومن هناك تمتد الحدود الجنوبية باتجاه الغرب، وفي جهة أبعد غربا تمر الحدود الجنوبية عبر برية زين «صين» وفي التوراة هي صين أخرى، وهي حاليا منطقة الزين بالتعريف في جوار ظهران الجنوب.

ب ـ ثم تتابع الحدود الجنوبية مسارها عبر ما تسميه التوراة «أدر» أو حصر أدارة، وهناك قبيلة إلى اليوم تسمى أداره، كما في التوراة.

ج ـ وبعد ذلك تمر الحدود الجنوبية عبر آل عصمان «ءل عصمن» لتصل إلى وادي المصرم أي وادي «ليه» في جنوب منطقة جيزان.

د ـ ومن تلك النقطة تسير الحدود الجنوبية للأرض الموعودة خلال وادي ليه ثم وادي «تعشر» حتى تصل للبحر الأحمر (٨٧).

كان فيما تقدم وصف تصوري لحدود الأرض الموعودة لبني إسرائيل ـ إذا ما كان لهم أرض موعودة أصلا ـ وهذا الوصف هو في الواقع كما تخيله الدكتور كمال الصليبي، وتبقى هذه الفرضية مجرد نظرية تصورية وتخيلية إلى الحين الذي يتم فيه

التأكد منها، وتوثقها بأي وسيلة من الوسائل، واختصارا لحدود الأرض الموعودة لبني إسرائيل كما تصورها الدكتور كمال الصليبي هي كالتالي:

١ ـ من حافة الرمال إلى البحر الأحمر شرقا.

٢ ـ البحر الأحمر غربا.

٣ ـ من جوار الطائف شمالا.

٤ ـ حدود اليمن جنوبا (٨٨).

خامسا: إسرائيل ويهوذا:

ورد في الروايات التوراتية أن المملكة اليهودية الموحدة المزعومة في فلسطين العربية، انقسمت إلى مملكتين بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام، مملكة شمالية اسمها إسرائيل، وأخرى جنوبية اسمها يهوذا، ولكن في الحقيقة لا توجد أدلة تاريخية أو ديموغرافية أو آركيولوجية تدعم هذا الزعم وتؤيده، وإذا ما كانت هاتان المملكتان قد قامتا الفعل، فإن وجودهما لم يكن أبدا في فلسطين العربية، وإنما في مكان ما من غرب شبه جزيرة العرب أو في بلاد اليمن القديم، وإذا ما أردنا تناول مملكة إسرائيل التوراتية ومملكة يهوذا التوراتية بحسب نتائج الدراسات الأثرية والتاريخية، فمن الممكن تناولها كما يلي:

١ ـ مملكة إسرائيل التوراتية

حسب المفهوم التقليدي لمملكة إسرائيل التوراتية، فإنها كانت تقع شمالي الأراضي الفلسطينية وإلى الشمال من مملكة يهوذا التوراتية، وكانت هذه المملكة أكثر اتساعا من مملكة يهوذا.

ولكن...

ـ هل وجدت مملكة إسرائيل التوراتية على أرض فلسطين العربية في يوم من أيام التاريخ القديم؟

في الحقيقة أن المؤرخين والباحثين وعلماء الآثار استندوا إلى ما ورد على أحد أوجه

مسلة الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني (١٢٥٨ - ١٢٣٨ قبل الميلاد) من ذكر لإسرائيل، واعتبروه دليلا أثريا كافيا يشير إلى وجود مملكة إسرائيل التوراتية في فلسطين العربية في التاريخ القديم، وأطلقوا على ما عثروا عليه اسم «لوحة إسرائيل».

ومسلة الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني عبارة عن مسلة من الجرانيت طولها ٢، ٢٥ مترا، اكتشفها في العام الميلادي ١٨٩٦ عالم الآثار «فليندرز بتري» بين أطلال معبد ومقبرة الفرعون مرنبتاح في منطقة طيبة الغربية بصعيد مصر أو مصر العليا، وقد نقش على أحد أوجه هذه المسلة منظومة شعرية مؤلفة من ثمانية وعشرين سطرا، وقد ورد في هذه المنظومة الشعرية عبارة تقول:

«إسرائيل دمرت أصبح هباء، لم تعد له ذرية».

وفي ذلك الحين هلل الصهاينة وسروا وابتهجوا لأنهم اعتقدوا أنهم عثروا على دليل حاسم من علم الآثار يدعم موقف التوراة، ويؤكد صحة رواياتها، إلا أن فرحة الصهاينة لم تدوم طويلا، وتبخرت أحلامهم وتلاشت أمانيهم، إذ أن الدراسات الأثرية الحديثة، والتاريخية أيضا أثبتت أن المقصود بإسرائيل التي وردت على مسلة الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني ليس هو مملكة إسرائيل المزعومة في فلسطين العربية، وإنما المقصود بها مدينة عربية فلسطينية اسمها «إسرائيل» كانت تقع في شمال أراضي فلسطين العربية، وكانت هذه المدينة ثائرة على الحكم المصري الفرعوني فيها، الأمر الذي دفع الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني إلى غزو فلسطين العربية، واقتحام مدينة «إسرائيل» الفلسطينية، ودمرها وأباد جميع سكانها، وهذا في الواقع يتماشى مع الأحداث التي كانت جارية في منطقة الشرق الأدنى القديم في تلك الأزمنة الغابرة، إذ أن الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني قام بغزو فلسطين العربية، ودمر مدينة «إسرائيل» العربية التي ربما قد أنشأت تمجيدا للإله الكنعاني «إيل» وفي الوقت نفسه قامت جيوش الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني بغزو الأراضي الليبية، وأراضي بلاد النوبة.

أما الزعم الذي يذهب إلى أن إسرائيل التي ورد ذكرها على مسلة الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني هي مملكة إسرائيل التوراتية، فلا تؤيده أحداث ووقائع تاريخ الشرق الأدنى القديم، ولا النصوص المنقوشة على مسلة الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثاني، ولا يوجد علاقة بين مدينة إسرائيل الفلسطينية، ومملكة إسرائيل التوراتية.

وإذا ما وجدت مملكة إسرائيل التوراتية في يوم غابر من أيام التاريخ القديم، فإنها بلا أدنى شك لم توجد إطلاقا على أرض فلسطين العربية، وإنما كان وجودها في غرب جزيرة العرب، أو في اليمن القديم.

٢ ـ مملكة يهوذا التوراتية:

يهوذا: هو الابن الرابع لبني الله يعقوب «إسرائيل» عليه السلام في المعتقدات اليهودية، ويهوذا هذا هو الذي تولى بالعنف والإرهاب قيادة بني إسرائيل بعد وفاة والده، ولا أحد يستطيع أن يجزم أنه كان لنبي الله يعقوب عليه السلام ابن اسمه يهوذا، وحسب وصف التوراة له، فقد كان يهوذا رجلا سيء الخلق وفاسد الطباع، فقد زنا بزوجة ابنه المتوفى شيله، واسمها «ثامار» وهو في عمر متقدم يتوجب عليه أن يعف فيه وتترفع جوارحه عن الخطايا والآثام.

فقد ورد في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر الخلق «التكوين» ما يلي:

● «ولما طال الزمان، ماتت ابنة شوع زوجة يهوذا، ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنه هو وصاحبه العدلامي، فأخبرت ثامار وقيل لها: هو ذا حموك صاعد إلى تمنه ليجز غنمه، فخلعت عنها ثياب ترماها وتغطت ببرقع وتلفلفت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنه، فنظر يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها، فمال إليها على الطريق وقال: هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته، فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل علي؟

فقال: إني أرسل جدبي معز من الغنم، فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله؟ فقال ما الرهن الذي أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها. فحبلت منه ثم قامت ومضت وخلعت برقعها ولبست ثياب ترملها، فأرسل يهوذا جدبي المعز بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة، فلم يجدها، فسأل أهل مكانها قائلا: أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق؟ فقالوا: لم تكن هنا زانية.

فرجع إلى يهوذا وقال: لم أجدها وأهل المكان قالوا لم تكن هنا زانية، فقال يهوذا: لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة، إني أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها. فلما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له: قد زنت كنتك ثامار، وها هي حبلى من الزنا، فقال:

أخروها فتحرق، أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي له أنا حبلى؟ وقالت: حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه؟ فتحققها وقال: هي أبر مني، لم أعطها لشيله ابني، فلم يعد يعرفها أيضا».

وقبيلة يهوذا هي أحد أسباط بني إسرائيل الجنوبية التي ينتمي إليها نبيا الله داود وسليمان عليهما السلام حسب زعم التوراة، ويهوذا أيضا هو اسم المملكة اليهودية الجنوبية التي قامت في فلسطين العربية حسب القراءة الحالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وقد قامت هذه المملكة بعد انقسام المملكة اليهودية الموحدة المزعومة في فلسطين العربية (مملكة داود وسليمان التوراتية)، وتزعم التوراة أن القائد البابلي «نبوخذ نصر» دمر هذه المملكة في العام ٥٨٦ قبل الميلاد.

وبحسب القراءة الأوروبية الخيالية الاستشراقية الاستعمارية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، فإن أراضي مملكة يهوذا كانت تقع في الضفة الفلسطينية لنهر الأردن، أو في ما يسمى في الوقت الحاضر باسم الضفة الغربية لهذا النهر، ولكن الحقيقة غير ذلك تماما، فمملكة يهوذا التوراتية مثلها مثل مملكة إسرائيل اليهودية في الأزمنة التوراتية، لم تكن في فلسطين العربية على الإطلاق، ولا تمت لها بصلة، ومن المحتمل أن تكون هذه المملكة إن وجدت فعلا، فإن أراضيها كانت تشمل الجانب البحري من أرض عسير الجغرافية كما يعتقد الدكتور كمال الصليبي، وكانت أراضيها تمتد من الشق المائي لامتداد السراة، وحتى تهامة الساحلية بغرب شبه جزيرة العرب (٨٩). إلا أن الأستاذ فاضل الربيعي يعتقد أن مملكة يهوذا مثلها مثل مملكة إسرائيل التوراتية كانت تقع على أرض اليمن القديم.

ومن المدهش والمثير أن علماء الآثار اكتشفوا مدينة تقع شمالي الأراضي السورية اسمها «يهوذا» ومن المؤكد أن اليهود لم يصلوا في تاريخهم كله لشمالي الأراضي السورية، وقد كانت مدينة أو مملكة يهوذا السورية من المناطق الثائرة على الحكم المصري الفرعوني في بلاد الشام، الأمر الذي دفع الفراعنة إلى مهاجمة هذه المدينة واحتلالها عسكريا، وإذا ما ورد اسم «يهوذا» في الوثائق والمدونات الفرعونية، وتلك المتعلقة بأثر وادي الرافدين، فإن المقصود بيهوذا هنا، هو مدينة أو مملكة يهوذا السورية، وليس مملكة يهوذا التوراتية في فلسطين العربية كما يزعمون، إلا أن الباحثين التوراتيين اليهود والأجانب اعتقدوا دون إجراء المزيد من الدراسات، أن مدينة يهوذا السورية هي ذاتها

مملكة يهوذا التوراتية الواقعة كما يزعمون في منطقة القدس العربية، وبنوا جميع حساباتهم على هذا الاعتقاد الخاطئ والخيالي!!

سادسا: الأسر البابلي:

تزعم التوراة أن القائد البابلي «نبوخذ نصر» قام بأسر اليهود من مدينة القدس العربية وساقهم كأسرى وعبيد إلى عاصمته بابل، ويبدو أن قضية الأسر البابلي وبتأثير من الكتابات التوراتية هي قضية محورية في العقائد اليهودية الحالية، وفي الواقع أنه قبل المسرحية الهزلية التي تحمل عنوان «الأسر البابلي» المزعوم من مدينة القدس العربية، كانت كلمة يهوذا وبالتالي يهود تطلق على كل من أتى من مقاطعة يهوذا بفلسطين العربية ـ هذا إذا كان هناك مقاطعة في فلسطين العربية تحمل هذا الاسم أصلا ـ ولم يكن لكلمة يهوذا هذه أية دلالات عرقية أو دينية أو سياسية، مثلما يقال في الوقت الحاضر هذا: حيفاوى أو خليلي أو غزاوي دون تحديد هوية الشخص العرقية والدينية والسياسية والاجتماعية، ولكن بعد عودة اليهود المزعومة من الأسر البابلي إلى مقاطعة يهوذا بفلسطين العربية!! صبغت هذه العودة بصبغة دينية وقومية وسياسية، وغدت كلمة يهود تطلق على العائدين من الأسر البابلي، وأطلق أيضا اسم «اليهودية» على العقائد اليهودية المتداولة، ونسجت حول العودة المزعومة من الأسر البالي المئات من الأوهام والأساطير حتى أصبح اسم يهوذا اسم خاص باليهود واليهودية، بالرغم من أن كلمة يهوذا هي كلمة عربية كنعانية قديمة مثلها مثل المئات وربما آلاف من الكلمات العربية الكنعانية التي يستخدمها اليهود حاليا في ما يسمى اللغة العبرية مثل كلمات صهيون وأورشليم على سيل المثال فقط، والحقيقة أن التوراة تطلق على اللغة التي يتكلمها اليهود اسم «سفت كنعن» أي لغة ولسان كنعان.

ونعود ثانية إلى القائد البابلي «نبوخذ نصر»، فمن المعروف تاريخيا أن هذا القائد لم يغز فلسطين العربية سوى مرة واحدة في حياته، وفي هذه المرة لم يتمكن نبوخذ نصر من اقتحام مدينة القدس العربية، لأن القوات الضاربة المصرية الفرعونية تصدت له ومنعته من اجتياح المدينة، وبالتالي لم يدخل نبوخذ نصر مدينة القدس العربية، ولم يدمرها، ولم يهدم المعبد اليهودي الأول فيها أو هيكل سليمان المزعوم حسب زعم

التوراة، ولم يقم أيضا بأسر شرائح واسعة ومتنوعة من أبناء الشعب العربي الفلسطيني كان من بينهم يهود المدينة على حد زعم التوراة، ثم قام بنقلهم إلى عاصمته بابل.

وبناء على ما تقدم، لم يتم الأسر البابلي لليهود من مدينة القدس ولا من أي مدينة أخرى في فلسطين العربية.

ـ فمن أين كان الأسر البابلي لليهود؟

تشير الدراسات التاريخية الحديثة أن السبي البابلي لليهود ومن قبله الأسر الأشوري لهم كان من شبه جزيرة العرب، إلا أن الحملة العسكرية التي قادها القائد البابلي العظيم «نبوخذ نصر» على القبائل العربية وقبائل بني إسرائيل، تعرضت كما يقول الأستاذ فاضل الربيعي إلى التباس جغرافي مدمر للحقيقة في الرواية السائدة والمتداولة بين الناس عن قصة الأسر البابلي لليهود، وفي نفس الوقت ممزق لعناصر الصدقية والاقناع فيها، ومصدر هذا الالتباس هو القراءة الحالية الأوروبية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وقد شكلت هذه القراءة التي هيمنت على كل قراءة أخرى مضادة، الأساس الذي نهضت عليه الدراسات التاريخية في الجامعات والمعاهد البحثية وفي كتب التاريخ أيضا (٩٠)، وملخص هذه القراءة أن الأسر البابلي لليهود، تم من مدينة القدس بفلسطين العربية.

حقيقة الأسر البابلي:

في الواقع أن القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية الكولنيالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، هي التي قادت الباحثين بطريقة خاطئة إلى تصوير أرض فلسطين العربية كمسرح لقصص التوراة، ولذلك جرى تركيب الرواية التوراتية والتلاعب بها لتتلائم مع أسماء المواضع والأماكن في فلسطين (٩١). إلا أن الحقيقة غير ذلك تماما، ففي المصادر التاريخية العربية القديمة يوجد وصف دقيق للحملة العسكرية البابلية التي قادها القائد «نبوخذ نصر» على قبائل شبه جزيرة العرب، فقد غزا هذا القائد بلاد العرب، وهاجم عرب الحجاز وتهامة، وخرب ديارهم وشردهم، وأسر عددا منهم، ولقد كتب الأستاذ فاضل الربيعي نقلا عن الجغرافي العربي القديم «الحسن الهمداني»، في موضوع حملة نبوخذ نصر العسكرية على شبه جزيرة العرب ما يلي:

«أما حديث عبد الله بن عباس في جزيرة العرب، فأنه ما نقل إلينا عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

ـ أولاد نزار بن معد هم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار، ومنازلهم مكة وما والاها من تهامة، انتشروا في أنحاء البلاد، وتنافسوا في المنازل والمحال، وأرض العرب يومئذ خاوية ليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها أحد، لخراب بخت نصر «نبوخذ نصر» إياها، وإجلاء أهلها إلا من اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها، ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليهما أحد (٩٢).

وفي النص السابق للجغرافي العربي القديم الحسن الهمداني، لا توجد إشارات عن احتمال أن يكون الغزو العسكري البابلي كان موجها لفلسطين العربية، لأنها كانت في ذلك الوقت تحت السيطرة الأشورية والمصرية الفرعونية، لا يوجد أيضا في المصادر التاريخية القديمة الأخرى ما يدل على ذلك.

وتشير الدراسات التاريخية الحديثة أن الأسر البابلي لليهود في زمن القائد نبوخذ نصر «بخت نصر» كان من سلسلة جبليه تدعى «اليهودية» إذا ما أخذنا برأي الأستاذ فاضل الربيعي عن أصل اليهود القدماء، وسلسلة جبال «اليهودية» بشبه جزيرة العرب اسم يعرفه الإخباريون القدماء كرديف لمنطقة «سرو حمير» ومن هذا المكان جرت أحداث الأسر البالي لليهود، وفي الحقيقة أنه لا توجد في فلسطين العربية سلسلة جبلية تعرف باسم «اليهودية» أما ما يدعى باسم مملكة يهوذا المزعومة أو الضفة الفلسطينية لنهر الأردن في الوقت الحاضر، فهو اصطلاح توراتي حديث لا يقوم على دليل جغرافي، وبالطبع يستحيل العثور على كركميش أو مستئيم أو عنه أو حورون على الطريق إلى مدينة القدس، إذا ما اعتبرنا أن هذه المدينة هي مدينة أورشليم (٩٣).

ومن البديهي أن عودة القبائل العربية ومن ضمنها بني إسرائيل إلى ديارهم التي أسرت منها بعد انقضاء سنوات الأسر البابلي، كانت بلا أدنى شك إلى شبه جزيرة العرب، إلا أن القراءة الخيالية الغربية الاستشراقية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، ولأهداف استعمارية خالصة في فلسطين العربية، جعلت من هذه العودة.. عودة إلى مدينة القدس بفلسطين العربية بدلا من شبه جزيرة العرب، وجعلوها أيضا قاصرة على اليهود فقط بموجب مرسوم ملكي أصدره القائد الفارسي «قورش الثاني» الذي ربما كان يجهل

جهلا تاما أدنى شيء عن اليهود، وأحاطوا هذه العودة بهالات دينية زائفة، وصبغوها صبغة قومية وسياسية وعنصرية، لا أساس لها من الصحة.

سابعا: أوهام التاريخ اليهودي

من المعروف أن أحداث ووقائع التاريخ تخضع لديالكتيكية أثيرة في نفوس بعض المؤرخين والباحثين، ولكن يبدو أحيانا أن أحداث التاريخ ووقائعه غارقة في السخافات والمتناقضات والأوهام والأساطير، وخصوصا فيما يتعلق بالتاريخ القديم، وهذا الأمر يجعل من دراسة هذا التاريخ دراسة موضوعية ونزيهة تبدو في غاية الصعوبة إن لم تكن مستحيلة استحالة مطلقة، ولا يمكن إخضاعه لأي ديالكتيكية، وفي الواقع أن سخافة التاريخ اليهودي ومتناقضاته وأساطيره وأوهامه حيرت عقول عباقرة شعب الله المختار أنفسهم، وبلبلت أفكارهم!!

ـ فكيف يكون الحال مع غيرهم؟

ومرد ذلك في الحقيقة يعود إلى إدراك اليهود أن التاريخ قد انتزع من بين أيدهم وسحب البساط من تحت أقدامهم وهم يشاهدون بأم أعينهم أن ابن العاهرة (السيدة مريم العذراء) حسب مفاهيمهم التوراتية والتلمودية، انبثق عنه النور الذي أضاء جنبات المسكونة، وأن أحفاد الجارية السيدة هيجر «هاجر» قد أتوا برسالة سماوية راقية المضمون، إنسانية النزعات وعالمية الأبعد، سرعان ما انتشرت كانتشار النار في الهشيم في يوم عاصف في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يزالون يزدادون يوما إلى يومنا هذا. فأصيب اليهود بالدهشة وخيبة الأمل معا، وارتكبوا ارتباكا شديدا، وأصابهم الذهول المزمن.

وبدلا من أن يتبع اليهود الديانات السماوية الجديدة، ومن قبيل الغيرة والحقد والحسد، اجتمع حكماؤهم، وتداولوا الأمر فيما بينهم على مدى سنين طويلة ثم خرجوا بنتيجة واحدة، وهي التمسك الشديد بالمنظومة اليهودية الدينية والقومية والتاريخية والعنصرية البالية المهترئة التي أكل عليها الزمن وشرب، والمؤلفة من عدة مفاهيم متزمتة ومتحجرة كالتالي:

١ ـ الخصوصية الدينية.

٢ - التفوق العنصري.

٣ - أزلية الوعد.

٤ - ألوهية التوراة.

٥ - قدسية الهيكل.

٦ - الانفراد عن باقي الشعوب بالتمتع بالحقيقة المطلقة (٩٤).

وانطلاقا من هذه المنظومة اليهودية العفنة، يعتقد اليهود أنهم كما يلي:

١ - الشعب الذي وحده يحمل على عاتقه الشريعة والناموس رغم وجود ديانات أخرى تحملها أيضا، وعلى كاهل هذا الشعب تقع مسؤولية هداية البشرية جمعاء.

٢ - التفوق العرقي لليهود، فهم وحدهم شعب الله المختار، الذي اختاره الرب واصطفاه وفضله على جميع شعوب الأرض. ولا تحل بركة الرب ونعمه إلا على شعبه المختار وبه، ولولا اليهود لما كان هناك مطر ولا زرع ولا ضرع، وقد أدت أسطورة شعب الله المختار إلى عدة مفاهيم عنصرية خاطئة من أهمها ما يلي:

آ - إن الأرض وما عليها وما بها من ثروات، هي ملك خالص لشعب الله المختار!

ب - إن أي ديانة غير الديانة اليهودية هي ديانة وثنية فاسدة!

ج - إن أي سلطة غير السلطة اليهودية، هي سلطة غاصبة للحق الطبيعي لشعب الله المختار!

د - إن رب شعب الله المختار «يهوه» أمر اليهود بعدم الرحمة والشفقة مع غير اليهود!

٣ - أزلية الوعد الإلهي الذي قطعه الرب «يهوه» لإبرام التوراتي بملكية جميع أرض كنعان التوراتية وتخومها.

٤ - يحاول اليهود إقناع العالم وخصوصا العالم المسيحي الغربي بإلوهية التوراة المتداولة بين الناس، وأنها كتاب مقدس ومنزل من السماء، رغم أنهم يعرفون أكثر من غيرهم أن كهنتهم قد وضعوها بأيديهم بعد مرور قرون طويلة على وفاة نبي الله موسى عليه السلام.

٥ ـ يؤمن اليهود بقدسية هيكل سليمان أو المعبد اليهودي الأول الذي يزعمون أنه قد أقيم في مدينة القدس العربية. وأن طقوس العبادات اليهودية يجب أن تتم في بيئتها الطبيعية داخل هذا الهيكل أي هيكل أورشليم، والحقيقة إن مدينة القدس العربية لم تشهد على مدى تاريخها كله مثل هذا البناء «هيكل سليمان المزعوم» فيها، ولا توجد أدلة تاريخية أو آركيولوجية تؤكد على وجود فيها في يوم من أيام التاريخ الغابرة.

وهذه المنظومة العنصرية اليهودية المهترئة هي التي بلورت في الواقع أبعاد الشخصية اليهودية الحاقدة والمعقدة ونزعاتها البراغماتية والميكافيلية، ولقد حاول اليهود بجميع الوسائل، وبأي ثمن ومهما كلفهم الأمر، وعن طريق الغش والخداع والتزوير استعادة التاريخ لصالحهم وانتزاعه من أيدي المسيحيين والمسلمين،، إظهاره وكأنه تاريخ عظيم عريق ومغرق في القدم، وأعرق وأقدم وأعظم من التاريخين المسيحي والإسلامي، ومن هنا بدأت سلسلة أوهام التاريخ اليهودي التي لا تنتهي أبدا، وقد ساعد اليهود على ترسيخ أوهامهم في نفوس الناس وأخذها على محمل الجد وكأنها حقائق مؤكدة ثلاثة أمور هي كالتالي:

١ ـ أدخل اليهود وقائع وأحداث التاريخ اليهودي المزعوم إلى مادة أسفار كتاب العهد القديم، فلا يخفى على أحد المكانة المقدسة لهذا الكتاب لدى اليهود والنصارى معا، فهم يعتبرونه كتابا منزلا من السماء، وما ورد فيه من نصوص هي نصوص مقدسة ينسبونها لله تعالى.

٢ ـ الثورة الدينية التي حدثت في العقائد والمفاهيم المسيحية بعد الثورة البروتستانتية التي قادها القس «مارتن لوثر» داخل الكنيسة الكاثوليكية في القرن الميلادي السادس عشر، فقبل هذه الثورة كانت الكنيسة الكاثوليكية تنظر لليهود باعتبارهم خونة ومارقين وقتلة ابن الرب عيسى بن مريم بالمفهوم اللاهوتي المسيحي، وبعد الثورة البروتستانتية داخل الكنيسة الكاثوليكية، أصحت المفاهيم والمعتقدات والأوهام اليهودية من صميم الفكر الديني البروتستانتي، وصادفت رواجا واسعا بين أتباع الطائفة المسيحية البروتستانتية، الأمر الذي ساعد بلا أدنى شك اليهود على نشر أوهامهم وأساطيرهم وأكاذيبهم في الغرب المسيحي بل وكسب دعم وتأييد هذا العالم وتسخيره إلى تحقيق أهدافهم الصهيونية الرامية إلى اغتصاب فلسطين العربية من أصحابها.

٣ - القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وللنصوص التوراتية بما فيها من إفتراءات وأكاذيب وأساطير سخيفة، وقد تمخض عن هذه القراءة مجموعة كبيرة من الأوهام المتعلقة التاريخ اليهودي، وأوهام التاريخ اليهودي كثيرة لا تعد ولا تحصى، وسنكتفي هنا ذكر أهمها:

١ - يتوهم اليهود أن تاريخهم هو تاريخ قديم جدا ويرجعونه إلى سام بن نوح، والأمر الذي يدعو إلى السخرية أنهم ينسبون تاريخهم إلى فترة زمنية أقدم من ذلك بكثير، إذ أنهم يرجعونه أحيانا لهابيل بن آدم بالرغم من أن اليهود ظهروا بعد زمن هابيل بآلاف السنين.

٢ - يتوهم اليهود أنهم ينحدرون بجذورهم من ذرية أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب «إسرائيل» عليهم السلام، ولا توجد أدلة تؤكد هذا الزعم، بل ويذهب بعض المؤرخين للقول إنه لا جدوى لليهود من التعلق بأنبياء الله وخصوصا إبراهيم عليه السلام لتأكيد عراقة نسبهم وقدم تاريخهم.

٣ - من الغريب أن دور نبي الله إسحاق عليه السلام في التاريخ اليهودي قد انتهى بإنجابه ليعقوب «إسرائيل» عليه السلام الذي أطلق على نسله لقب «بني إسرائيل»، والحقيقة أن بني إسرائيل كانوا من الشعوب العربية البائدة، وهم لم يعمروا طويلا، فقد بادوا في عمر مبكر من تاريخهم.

٤ - وأكبر وهم من أوهام التاريخ اليهودي هو أن فلسطين العربية هي موطنهم الأصلي وأرض أجدادهم وآبائهم الغابرين، ومهد الديانة اليهودية، والبيئة الطبيعية للتوراة، بالرغم من أن موسى عليه السلام لم يدخل قط أرض فلسطين العربية، ولم يعش فيها على الإطلاق.

٥ - وثاني أكبر وهم من أوهام التاريخ اليهودي هي أن الزعم الذي يذهب للقول بأن بني إسرائيل أقاموا في دولة مصر القديمة أو دولة مصر الفرعونية مدة تبلغ ٤٣٠ عاما وفقا لحسابات التوراة. وفي الحقيقة أن مصر التوراتية أو مصرايم «مصريم» التي كانت تقع في غرب شبه جزيرة العرب هي التي أقام فيها بنو إسرائيل، ولم يقيموا إطلاقا في دولة مصر القديمة أو الفرعونية كما هو السائد في الرواية المألوفة.

٦ - والخروج الموسوي بالتالي لم يتم بكل تأكيد من دولة مصر القديمة، وإنما تم

بعكس الرواية السائدة من أرض مصرايم أو مصريم التوراتية الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب.

٧ ـ والموطن الأصلي لبني إسرائيل وبالتالي لليهود لم يكن أبدا في فلسطين العربية، وإنما كان في بلاد عسير بغرب شبه جزيرة العرب، وربما كان في اليمن القديم.

٨ ـ وبنو إسرائيل لم يتوجهوا إلى صحراء سيناء المصرية كما هو متعارف عليه، فهم لم يقيموا أصلا في دولة مصر القديمة، وإنما قاموا بالتوجه بعد خروجهم من مصرايم «مصريم» إلى برية «سين» التي كان موقعها بين إيليم وسيني، وسيني بالطبع ليست صحراء سيناء المصرية بل هي منطقة جبل «التعكر» إلى الجنوب من بلدة «إب».

٩ ـ بعد انقضاء سنوات تيه وضياع بني إسرائيل في صحراء سين الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب، قام نبي الله موسى عليه السلام بقيادتهم إلى مشارف أرض كنعان التوراتية الواقعة في غرب شبه جزيرة العرب، وليس إلى أرض كنعان الشامية أو فلسطين العربية، وهنا يجب التفريق بين الأرضيين، أرض كنعان التوراتية وأرض كنعان الشامية، فالأولى كانت تقع بغرب شبه جزيرة العرب، وأما الثانية فتقع على سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية بغرب قارة آسية.

١٠ ـ ومن أوهام التاريخ اليهودي قيام يوشع بن نون بغزو عسكري مدمر لأراضي فلسطين العربية، واحتلالها، وإبادة جميع سكانها العرب، ووضع في مكانهم أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وفي الواقع أن يوشع بن نون لم يدخل فلسطين العربية ولو لمرة واحدة في حياته، وبالتالي لم يقم بغزوها غزوا عسكريا مدمرا أو غير مدمر، وإذا ما قام يوشع بن نون بأي غزو عسكري ـ وهذا مستبعد بالطبع ـ فإنه غزا أرض كنعان التوراتية، وليس أرض كنعان الشامية أو فلسطين العربية.

١١ ـ لم يكن في فلسطين العربية مملكة يهودية موحدة كما تزعم التوراة، ليس هذا وحسب بل وأن نبيا الله داود وسليمان عليهما السلام لم يقيما أصلا على أرضها.

١٢ ـ لم توجد في فلسطين العربية في أي مرحلة من مراحل تاريخها مملكة يهودية شمالية «إسرائيل» ومملكة يهودية جنوبية «يهوذا» بعد انقسام المملكة اليهودية الموحدة، وإنما كانت هاتان المملكتان في غرب شبه جزيرة العرب.

١٣ ـ أما بالنسبة لأوهام الحركة اليهودية المكابية وانتصاراتها الهائلة على السلطات

اليونانية السلوقية في مدينة القدس العربية، فلا توجد مصادر تاريخية مستقلة تؤكد هذه المزاعم، وجميع أخبار هذه الحركة مستوحاة من أسفار كتاب العهد القديم وخصوصا سفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثاني، إضافة إلى كتابات المؤرخ اليهودي المغرض «فيلافيوس يوسيفوس» الذي عاش في القرن الميلادي الأول، والذي يتفق معظم المؤرخين والباحثين على عدم مصداقية ونزاهة رواياته.

١٤ ـ ومن أوهام اليهود أيضا أن علاقتهم بفلسطين العربية هي علاقة فريدة من نوعها، ولم تنقطع منذ أيام الرومان ومن المعروف تاريخيا أن الرومان طردوا اليهود نهائيا من فلسطين العربية، وانقطعت صلتهم بها لنحو ألفي عام متواصلة من عمر التاريخ، وهناك دلائل تشير إلى أن اليهود غادروا فلسطين العربية ورحلوا عنها قبل سنوات طويلة من الاحتلال الروماني لها.

١٥ ـ والوهم الأخير من أوهام التاريخ اليهودي زعمهم أنهم عادوا إلى فلسطين العربية، وتمكنوا من إنشاء دولة لهم فيها، في العام الميلادي ١٩٤٨، إنما هو دلالة على رضا الرب عنهم، وغفرانه لآثامهم وذنوبهم ومعاصيهم، وتنفيذا للنبوءات التوراتية الزائفة لأنبياء بني إسرائيل والتي تقضي بعودة اليهود لفلسطين العربية في الوقت المناسب!!

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٤

اليهود المعاصرون

يروج اليهود المعاصرون لفكرة أنهم ينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة سام نوح، أي أنهم من أصل «سامي» مثلهم في ذلك مثل شعوب أخرى يطلق عليها خطأ اسم الشعوب السامية ومن بينهم الشعب العربي، وفي الواقع أن جميع الشعوب السامية وكما يقول المؤرخ الألماني «سبرنجر» هم أصلا من العرب، وكان موطنهم الأصلي يقع على سواحل البحر الأحمر وشواطئ الخليج العربي الغربية، إضافة إلى جنوب شبه جزيرة العرب ووسطها.

ويستند اليهود في زعمهم بأنهم ينحدرون من أصول سامية على الأسطورة التوراتية التي وردت في سفر الخلق أو التكوين التي تروي قصة ستر سام ويافث ابنا نبي الله نوح عليه السلام لعورته، وغضبه الشديد على ابنه الثالث «حام» لأنه لم يساعدهم في ذلك، وطال غضب نوح التوراتي ابن حام الطفل الصغير وكان اسمه «كنعان» فقد ورد في سفر الخلق «التكوين» ما يلي:

«وابتدأ نوح يحرث الأرض وغرس كرما، وشرب من الخمر وتكشف داخل خبأه، فرأى حام أبو كنعان سوءه أبيه، فأخبر أخويه وهم خارجا، فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على منكبيها ومشيا مستدرين فغطيا سوءه أبيهما ووجههما إلى الوراء، وسوءه أبيهما لم يرياها. فلما أفاق نوح من خمره، علم ما صنع به الصغير فقال: ملعون كنعان عبدا يكزن لعبيد أخونه» (٩٥).

وإذا ما سلمنا جدلا وهزلا بصحة هذه الرواية التوراتية:

ـ فلماذا انصب غضب نوح التوراتي على طفل غرير هو «كنعان بن حام» وهو كان لا يزال طفلا صغيرا لا يدري بما يدور حوله، ولا حول له ولا قوة؟

ومن المفترض أن هذه الرواية التوراتية الكاذبة وقعت أحداثها في عهد نوح التوراتي، أي قبل الظهور التاريخي لإبراهيم عليه السلام، وقبل مولد إسحاق ويعقوب «إسرائيل»، وموسى عليهم السلام، ومن المؤكد أنها حدثت قبل ظهور الديانة اليهودية بقرون طويلة!

ـ فما علاقة كل هؤلاء باليهود؟

ولا تفسير لذلك سوى أن اليهود يحاولون خلق تاريخ وهمي لهم مغرق في القدم.

ثم أنه من المستحيل الجزم أنه كان لنوح التوراتي ثلاثة أبناء هم: سام وحام ويافث، أو أنه كان له حفيد اسمه «كنعان بن حام»، ومن الاستحالة بمكان أن تكون هذه الرواية التوراتية الفظيعة قد حدثت، فهي تتهم نبي الله نوح عليه السلام بشرب الخمر حتى يفقد وعيه ويتعرى أمام أولاده، وهذا لا يليق بمقام هذا النبي الكريم، الذي يتقول عليه كتبة التوراة تقولا بشعا، لا ذوق فيه ولا أخلاق ولا احترام لهذا النبي العظيم الذي هو كسائر أنبياء الله عليهم السلام معصوم عن ارتكاب الخطايا والآثام والمعاصي، ولا يخفى على أحد أن كتبة التوراة يرمزون بكنعان للشعب العربي الكنعاني الشامي الصاحب الأصلي لفلسطين العربية، حتى يفقد هذا الشعب مودة واحترام العالم، ويخلو الجو للصهاينة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية في فلسطين العربية كما حدث فعلا في العام الميلادي ١٩٤٨.

على أية حال فإن الأسطورة التوراتية سالفة الذكر رسخت في أذهان الناس في كل زمان ومكان وجود ثلاث سلالات بشرية وهمية تنحدر من ذرية نوح التوراتي لا يوجد دليل واحد تاريخي أو علمي على وجودها في الزمن الغابر، ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة علم الأجناس البشرية، ولا قوانين الوراثة والجينات المعقدة، إلا أن التوراة تحدد هذه السلالات البشرية الوهمية كالتالي:

الأولى:: سلالة سام بن نوح.

الثانية: سلالة يافث بن نوح.

أما السلالة الثالثة المغضوب عليها من قبل نوح التوراتي فهي: سلالة حام بن نوح!

وإذا ما كان بنو إسرائيل الأوائل واليهود القدماء جاؤوا أصلا من بلاد عسير أو من بلاد اليمن القديم بشبه جزيرة العرب حسبما تشير إليه الدراسات التاريخية الحديثة، وكما بينا في الفصل السابق:

- فمن أين أتى اليهود المعاصرون؟

- وما هو موطنهم الأصلي؟

في الحقيقة أن جل الدراسات التاريخية تشير إلى أن السواد الأعظم من يهود هذه الأيام، لا يمتون بصلة من قريب أو من بعيد لبني إسرائيل الأوائل واليهود القدماء الذين تتحدث عنهم أسفار كتاب الهد القديم، وأولئك في الواقع بادوا وزالوا عن الوجود منذ أمد بعيد ولم يبق لهم أثر، كما وأن هذه الدراسات تقضي بأن قلة من اليهود القدماء هم في الأصل من سكان المنطقة العربية، أما البقية العظمى الباقية من يهود اليوم فينتمون لواحدة من الفئات الثلاث التالية:

١ - يهود الخزر.

٢ - اليهود الأشكنار.

٣ - اليهود السفارد.

أولا: يهود الخزر:

شعب الخزر هو من الشعوب القوقازية التي كانت ديارها تقع ما بين بحر الخزر أو بحر قزوين الآن، والبحر الأسود، وشعب الخزر من الشعوب المتركه غامضة الأصل ويصنفهم البعض تحت بند «الأتراك المغول» في حين يرجعهم البعض إلى بدايات الجنس «الآري»، وهم في الواقع أوثق انتماءا من الناحية الوراثية لقبائل «الهون والبوجر»، وتؤكد ذلك المراسلات التي تمت بين «حسداي بن شيروط» الذي كان رئيسا للوزراء لدى خليفة «قرطبة» وهو يهودي الديانة وبين الملك «يوسف» ملك الخزر، وتلك الرسائل تعرف باسم «المراسلات الخزرية» حيث تضمنت الرسائل قائمة من الرسائل عن دولة الخزر وشعبها ونظام حكمها وقواتها المسلحة، كما تتضمن أسئلة عن السبط الذي

ينتمي إليه الملك يوسف، ولما كان هذا الملك الخزري غير منحدر من سلالة يهودية، فقد أورد في إجابته على رسائل حسداي بن شيروط سلسلة أنساب من نوع مغاير!!

وتبدأ رواية يوسف ملك الخزر بذكر مناقب سلفه الملك «بولان» الذي طرد الوثنيين والمشعوذين من بلاده، بعد أن ظهر له ملاك يدعوه للإيمان، ووعده أن الله سيبارك ويثمر نسله! وسيوقع أعداءه بين يديه وسيجعل مملكته تدوم أبدا، وبالتالي فإن يهود الخزر بدورهم يزعمون مقولة «الشعب المختار» الذي عقد مع الله عقدة الخاص.

وبينما كان حسدى بن شيروط رئيسا لوزراء قرطبة، أدعى في رسالة إلى ملك الخزر أن اليهود مضطهدون حيث قال: إني أشعر نزوع إلى معرفة الحقيقة، هل حقا ثمة مكان فوق هذه الأرض، يستطيع الإسرائيلي المضطهد أن يحكم فيه نفسه حيث لا يكون خاضعا لأي إنسان، وإذا قيض لي أن أعلم أن هذه هي الحقيقة بالفعل فلن أتردد أن أهجر كل مظاهر التكريم حتى أبلغ المكان الذي يحكم فيه مولاي الملك.

ورغم أن إجابات ملك الخزر كانت تنم عن تعصب وهوس ديني لكنه لم يجرؤ على الإدعاء أنه يعود بأصله إلى جذور شرقية، بل ما جاء على لسان الملك نقض لمقولة توراتية هامة تدعى أن اليهود من نسل سام بن نوح، حيث يقول ملك الخزر، أنه يرجع نسبه إلى يافث بن نوح وليس إلى سام، كما تقول التوراة، أو بمزيد من التحديد إلى «توجرمة» حفيد يافث، فقد جاء في إحدى الرسائل وبأسلوب استعلائي قوله: لقد وجدنا في السجلات العائلية لآبائنا أن توجرمه كان له عشرة أبناء، وأن أسماء ذريته كما يلي: يوجار، دورسو، آفار، هون، باسيلي، تارنياح، خزر، زاجور، بلغار، سابر، ونحن أبناء خزر!! (٩٦).

وحسداي بن سيروط هذا الذي يزعم اضطهاد اليهود، كان في زمن «المراسلات الخزرية» يعيش حياة كريمة معززا مكرما في الأندلس، ولا يعاني من أي اضطهاد بل وكان يشغل منصب رئيس الوزراء في قرطبة في ظل الدولة الإسلامية المتسامحة والبعيدة كل البعد عن التعصب والعنصرية في جميع أشكالها.

يستفاد مما تقدم أن شعب الخزر الآسيوي ليس من الشعوب السامية، وإنما ينحدر بجذوره العرقية من سلالة يافث بن نوح، وبالتحديد من ذرية «توجرمة» بن يافث بن نوح، وهذا يدحض المزاعم اليهودية التي تذهب للقول أن جميع اليهود ينحدرون من سلالة سام بن نوح خسب التقسيم التوراتي لشعوب العالم القديم.

الموطن الأصلي لشعب الخزر:

كانت بلاد الخزر تقع على ضفاف نهر الفولجا وحول مصبه في بحر الخزر أو بحر قزوين في الوقت الحاضر، وأيضا على ضفاف نهر الدون، وقبل القرن الميلادي السادس لم يكن لشعب الخزر الآسيوي أي ذكر على مسرح الأحداث والتاريخ، وربما كان ذلك بسبب تنامي القوة التركية في المنطقة، وفي القرن الميلادي السابع، كان شعب الخزر لا يزال تحت سيطرة الأتراك الغربيين، إلا أنه بعد هذا التاريخ تمتع شعب الخزر بنوع من الاستقلال الذاتي التام.

ديانة شعب الخزر قبل تهوده:

كان شعب الخزر قبل تهوده شعبا وثنيا يؤمن بالديانة «الشامانية» وهذه الديانة عبارة عن ديانة وثنية بدائية قديمة كانت منتشرة خلال الأزمنة القديمة في شمال قارتي آسية وأوروبة، وتؤمن الديانة الشامانية بوجود عالم من الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وبأن العالم كله يقع تحت سيطرة «الشامان» أو الكاهن الذي يستخدم السحر ويلجأ إليه للكشف عن الغيب والسيطرة على مجريات الأمور في العالم، وإضافة إلى ذلك كان شعب الخزر يعبد أشياء شاذة وغريبة كعبادته العضو التناسلي للذكر على سبيل المثال!!

تهود شعب الخزر:

في القرن الميلادي الثامن وبحدود العام ٧٢٠، وإبان ولاية الخليفة العباسي «هارون الرشيد»، والإمبراطور ا لبيزنطي «شارلمان». وفي أكبر عملية تهود شهدها التاريخ، تهود شعب الخزر عد اعتناق الملك الخزري «بولان» للديانة اليهودية، وتبعه شعبه في ذلك، يقول المؤرخ اليهودي المجري «أرثر كوستلر» ما يلي:

«على الأرجح في العام الميلادي ٧٤٠، اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة، الديانة اليهودية، وأصبحت الديانة اليهودية الدين الرسمي لدولة الخزر» (٩٧).

ويبدو أن الديانة اليهودية قد وصلت إلى ملك الخزر عن طريقين:

الأولى: يهود الخزر أنفسهم، فشعب الخزر وقتئذ لم يكن معظمه شعبا وثنيا، وإنما كان من بينه بعض النصارى والمسلمين أيضا.

والثانية: عن طريق بقايا التجار اليهود الذين كانوا يجوبون أصقاع الأرض النائية بحثا عن مصادر جديدة للاستغلال وامتصاص دماء الشعوب من أجل تخزين الأموال والثروات والذهب والفضة في خزائنهم.

تأسيس إمبراطورية الخزر:

تمكن القائد الخزري «بولان» من تأسيس إمبراطورية خزرية يهودية في آسية وأوروبة الشرقية كانت أراضيها تمتد على مساحات شاسعة تبلغ نحو ٨٠٠ ألف كيلو متر مربع، عرفت باسم «خزرايا» وكانت عاصمة هذه الدولة هي مدينة «إتل»، وقد توصل الملك الخزري «بولان» إلى استنتاج بأن حكمه وسلطانه ونفوذه سوف يتلاشى ويختفي، إذا هو اعتنق ديانة إحدى القوتين العظيمتين في العالم حينذاك وهما دولة الخلافة الإسلامية العباسية في بغداد، والإمبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية «بيزنطة» في القسطنطينية، ففضل الملك الخزري «بولان» اعتناق الديانة اليهودية لكي يرضي طموحه وتطلعاته الإمبراطورية، على أمل أن يؤسس إمبراطورية يهودية ضخمة على غرار الإمبراطورية العربية الإسلامية، والإمبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية أو بيزنطة.

وبالرغم من اعتناق شعب الخزر للديانة اليهودية، وأصبحت هذه الديانة الدين الرسمي لبلاد الخزر، إلا أن هذا الشعب ظل متمسكا بعاداته وثقافته الوثنية البدائية، وأيضا بلغته الصقالبية، ولم يتكلم هذا الشعب إطلاقا بما يسمى باللغة «العبرية».

ويبدو أن مملكة أو إمبراطورية الخزر اليهودية «خزاريا» كان لها شأن عظيم في العالم القديم، فقد كتب المؤرخ اليهودي المجري «أرثر كوستلر» يقول ما يلي:

«في الوقت الذي توج فيه «شارلمان» إمبراطورا على الغرب، كانت تحكم أوروبة الشرقية الممتدة بين القوقاز ونهر الفولجا، دولة يهودية كانت تعرف اسم «إمبراطورية الخزر»، وقد لعبت هذه الدولة في أوج سلطانها من القرن الميلادي السابع إلى القرن الميلادي العاشر، دورا هاما في تشكيل أقدار أوروبة في العصور الوسطى وبالتالي في العصور الحديثة أيضا، وقد شغلت بلاد الخزر (وهم شعب من أصل تركي)، موقعا استراتيجيا رئيسيا في المدخل الحيوي بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث وقفت القوات الشرقية في ذلك العصر وجها لوجه، وكانت بلاد الخزر بمثابة حاجز حمى

بيزنطية من غارات البرابرة الأشداء أهل السهوب الشمالية من بلغار ومجريين وبشنج، ثم الفاينكج والروس» (٩٨).

ويستخلص من التراث الفكري والتاريخي العري القديم، أن العرب المسلمين تعرفا على بلاد الخزر في وقت مبكر من تاريخها، وأشاروا إلى تهودهم في كتاباتهم، وقد ترك العديد من المفكرين والكتاب العرب القدماء انطباعاتهم عن شعب الخزر ربما كان من أشهرها ما كتبه المسعودي (٩٩) في مؤلفه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» حيث قال ما يلي:

«في هذه المدينة وهي (إتل) عاصمة دولة الخزر على نهر الفولجا خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية، فأما ملك اليهود وحاشيته من جنسه (وكان تهود ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد) وقد أضيف له خلق من اليهود وردوا إليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم، وذلك أن الملك في وقتنا هذا وهو (أرمانيوس ليكابينوس) نقل من كان عنده من اليهود إلى دين النصرانية» (١٠٠).

أما الجغرافي العربي «ياقوت الحموي» فقال في مؤلفه «معجم البلدان» ما يلي:

«الخزر اسم إقليم من قصبة تسمى «إتل»، وإتل اسم لنهر (نهر الفولجا حاليا)، بجري إلى الخزر من الروس والبلغار، ويسمى الملك (يلك)، وقصر الملك هو البناء الوحيد المبنى من الآجر، والملك يدين باليهودية.

وبلاد الخزر لا يجلب منها شيء، وكل ما يرتفع فيها هو مجلوب إليها مثل الدقيق والعسل والشمع والخزر والأوبار، أما ملك الخزر فاسمه (الخاقان الكير)، ومساعده يسمى (خاقان به)، ويخلف خاقان به رجل يقال له (كندر يخلف)، ويخلق هذا رجل يقال له (جاويشغر)، والخزر وملكهم كلهم يهود، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعتهم».

وقال أيضا في معجمه:

«الخزر اسم إقليم في قصبة تسمى (إتل)، وإتل اسم نهر يجري إلى الخزر من الروس والبلغار، وإتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم المدينة.

والإتل قطعتان، قطعة على غربي النهر المسمى إتل وهي أكبرهما، وقطعة على

شرقيه، والملك يسكن الغربي منها، ويسمى الملك بلسانهم (يلك) ويسمى أيضا (باك)، الخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبده الأوثان، وأقل الفرق هناك هم اليهود، على أن الملك وخاصته يهود.

ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية، ولا يشاركه لسان فريق من الأمم، والخزر وملكهم كلهم في طاعته، ويخاطبهم بالعبودية ويدينون له بالطاعة» (١٠١).

ويستفاد مما تقدم ما يلي:

١ ـ أن دولة الخزر كانت بلادا متخلفة لا تنتج شيئا على الإطلاق، وجميع ما فيها كان مستوردا من خارجها.

٢ ـ لم يكن شعب الخزر كله من اليهود، وإنما كان من مكونات المجتمع الخزري أعداد غير قليلة من المسلمين والنصارى وعبده الأوثان.

٣ ـ أن ملك بلاد الخزر وحاشيته وخاصته وقادته كانوا على دين اليهودية بالاعتناق، ولا يمتون بصلة ليهود بني إسرائيل.

٤ ـ يبدو أن الروم أرغموا اليهود على التحول إلى دين المسيحية، أما من لم يقبل بذلك، فقد قاموا بطرده من بلادهم، فرحل هؤلاء إلى بلاد الخزر، وقد قال «الدمشقي» في كتابه ما يلي:

«مما حكاه ابن الأثير أن صاحب قسطنطينية أيام هارون الرشيد، أجلى من كان في مملكته من اليهود، فقصدوا بلاد الخزر، فوجدوا قوما عقلاء ساذجين، فعرضوا عليهم دينهم فوجدوه أصلح مما هم عليه، فانقادوا إليه».

٥ ـ يبدو أنه لولا الضعف الذي أصاب البلدان المجاورة لبلاد الخزر، ما كان بالإمكان قيام دولة الخزر، فلما قويت تلك البلدان وبخاصة روسية، قضوا على إمبراطورية الخزر نهائيا.

وفي التراث الفكري العربي القديم المزيد عن شعب الخزر، فهذا «ابن فضلان» يقول ما يلي:

«فأما ملك الخزر واسمه (خاقان) فإنه لا يظهر إلا مرة واحدة كل أربعة أشهر متنزها، ويقال له (خاقان الكبير)، ويقال لخليفته (خاقان به)، وهو الذي يقود الجيوش

ويسوسها، ويدبر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو، وله يذعن الملوك الذين يصاقبونه، ويدخل كل يوم إلى خاقان الأكبر يظهر الأجنات والسكينة، ولا يدخل إلا حافيا وبيده حطب، فإذا سلم عليه أوقد بين يديه الحطب، فإن فرغ من الوقود جلس مع الملك على سريره عن يمينه، ويخلفه رجل يقال له (كندر خاقان)، ويخلف هذا رجل يقال له (جاوشيغر).

ورسم الملك الأكبر أن لا يجلس للناس ولا يكلمهم، ولا يدخل عليه أحد غير من ذكرنا، والولايات في الحل العقد والعقوبات وتدبير شؤون المملكة على خليفته (خاقان به).

ورسم الملك الأكبر إذا مات أن يبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتا، ويحفر له في كل بيت قبر، وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل وتفرش فيه وتطرح النوراة فوق ذلك، وتحت الدار نهر، والنهر نهر كبير يجري، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر، ويقولون حتى لا يصل إليه الشيطان ولا إنسان ولا دود ولا هوام.

وإذا دفن ضربت أعناق الذين يدفنونه حتى لا يدري أين قبره من تلك البيوت، ويسمى قبره (الجنة)، ويقولون قد دخل الجنة، وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب.

ورسم ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه، يأخذونها طوعا أو كرها، وله من الجواري والسراري لفراشه ستون، ما منهن إلا فائقة الجمال، وكل واحدة من السراري والحرائر في قصر مفرد، له قبة مغشاة بالساج، وحول كل قبة مضرب، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها في بيتها أسرع من لمح الصر حتى يجعلها في فراشه، ويقف الخادم على باب قبة الملك، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف، ولم يتركها بعد لحظة واحدة.

وإذا ركب هذا الملك الكبير، ركبت سائر الجيوش بركوبه، ويكون بينه وبين المواكب ميل مسافة، فلا يراه أحد من رعيته إلا خر لوجهه ساجدا له، لا يرفع رأسه حتى يجوزه.

ومدة ملكهم أربعون سنة، إذا جاوزها يوما واحدا قتلته الرعية وخاصته وقالوا: هذا نقص عقله واضطرب رأيه.

وإذا بعث سرية لم تول الدبر بوجه لأي سبب، فإذا انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها، وأما القواد وخليفته متى انهزموا، أحضرهم واحضر نسائهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون، كذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم، وربما قطع كل احد منهم قطعتين وصلبهم، وربما علقهم بأعناقهم في الشجر، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسة.

وللملك الخزر مدينة عظيمة على نهر (إتل) وهي جانبان، في أحد الجانبين: المسلمون، وفي الجانب الآخر: الملك وأصحابه، وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يقال له (خز) وهو مسلم، وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مرده إلى ذلك الغلام المسلم، لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره.

وللمسلمين في هذه المدينة مسجد جامع يصلون فيه الصلاة، ويحضرون فيه أيام الجمع، وفيه منارة عالية وعدة مؤذنين، فلما اتصل بملك الخزر في سنة عشر وثلثمائة، أن المسلمين هدموا الكنيسة التي كانت في دار (البابونج)، أمر بالمنارة فهدمت، وقتل المؤذنين وقال:

- إني أخاف أن لا يبقى في بلاد الإسلام كنيسة إلا هدمت لهدم المسجد.

والخزر وملكهم كلهم يهود، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبودية، ويدينون له بالطاعة، وقد ذهب بعضهم إلى أن يأجوج ومأجوج هم الخزر» (١٠٢).

ومن الروايات الأخرى عن شعب الخزر في التراث الفكري والتاريخي العربي القديم الهائل ما رواه «الاصطخري»، وورد في روايته هذه ما يلي:

«وأما الخزر فإنه اسم الإقليم، وقصبته تسمى (إتل) /وإتل اسم النهر الذي يجري إليه من الروس والبلغار، وإتل قطعتان: قطعة على غربي النهر المسمى إتل، وهي أكبرها، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن في الغربي منها، ويسمى الملك بلسانهم (بك) ويسمى أيضا (باك)، وهذه القطعة مقدارها في الطول نحو فرسخ، ويحيط بها سور، إلا أنه مفترش البناء، وأبنيتهم (خركاهات لبود) إلا شيئا يسيرا بني من طين، ولها أسواق وحمامات، وفيها خلق من المسلمين يزيدون عن عشرة آلاف مسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجدا.

وقصر الملك بعيد من شطر النهر، وقصره من آجر، وليس لأحد غيره، ولا يسوغ لأحد أن يبني بالآجر، ولهذا السور أبواب أربعة، منها إلى ما يلي النهر، ومنها إلى ما يلي الصحراء على ظهر هذه المدينة، وملكهم يهودي يقال أن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود وفيهم عبدة الأوثان، وأقل الفرق اليهود، وأكثرهم المسلمون والنصارى، إلا أن الملك وخاصته يهود.

والأغلب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم، وأحكام خصوا بها على رسوم قديمة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى، وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل، وإذا مات لهم رجل أقيم آخر مكانه، وليست لهم جراية داره، إلا نزر يسير يصل إليهم في المدة الطويلة، إذا كانت لهم حرب أو حزبهم أمر يجتمعون عليه.

وأبواب مال هذا الملك من الأرصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر، ولهم وظائف على أهل المحال والنواحي من كل صنف مما يحتاج إليه من طعام وشراب وغير ذلك، وللملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان، وإذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه، وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء، وبين الملك سفير يراسلونه فيما يجري من الأمر وينتهون إليه، فيرد عليهم أمرهم ويمضونه.

وليس لهذه المدينة قرى إلا مزارعهم مفترشة، يخرجون في الصيف في الزروع نحو عشرين فرسخا ليزرعوا ويجمعوا بعضه على النهر، وبعضه على الصحارى، فينقلون غلاتهم بالعجل وفي النهر، والغالب على قوتهم الأرز والسمك، وهذا الذي يحمل منهم من العسل والشمع إنما يحمل إليهم من ناحية الروس وبلغار، وكذلك هذه الجلود والخزر التي تحمل ناحية لغار والروس وكويابه (كييف)، ولا تكون في شيء من الأقاليم فيما علمته.

والنصف الشرقي من عاصمة الخزر فيه معظم التجار والمسلمين والمتاجر، والغربي خاص للملك وحاشيته وجنده والخزر غير لسان الترك والفارسية، ولا يشاركه لسان فريق من الأمم.

وأما نهر (إتل) فإنه ما بلغني يخرج من قرب (جرجيز)، فيجري بين (الكيماكية)

و(الغزية)، وهو الحد بين الكيماكية والغزية، ثم يذهب غربا على ظهر بلغار ويعود راجعا إلى ما يلي المشرق حتى يجوز على الروس، ثم يمر على بلغار، على برطاس حتى يقع في بحر الخزر، ويقال أنه يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا، ويبقى عمود النهر يجري على الخزر حتى يقع في النهر، ويقال أن هذه المياه إذا كانت مجموعة في نهر واحد أعلاه يزيد على (جيحون)، ويبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهي إلى البحر، فتجري في البحر داخلا مسيرة يومين، وتغلب على مياه البحر حتى يجمد في الشتاء لعذوبته وحلاوته، ويبين ذلك في البحر.

وللخزر مدينة تسمى (سمندر) فيما بينها (العاصمة) وبين باب الأبواب لها بساتين كثيرة، ويقال أنها تشتمل على أربعة كروم إلى حد السرير، والغالب على أثمارها الأعناب، وفيها خلق من المسلمين ولهم فيها مساجد، وأبنيتهم من خشب قد نسجت، وسطوحها مسنمة، وملكهم من اليهود قرابة ملك الخزر، وبينهم بين السرير فرسخان، وبينهم وبين صاحب السرير هدنة.

والسرير: هم النصارى، ويقال أن هذا السرير كان لبعض ملوك الفرس، وهو سرير من ذهب، فلما زال ملكهم حمل إلى السرير، وحمله بعض ملوك الفرس، بلغني أنه من أولاد (بهرام جوبين)، والملك إلى يومنا هذا فيهم، ويقال أن هذا السرير عمل لبعض الأكاسرة في سنين كثيرة، وبين السرير وبين المسلمين هدنة، وأن كل واحد منهم يحذر صاحبه، ولا أعلم في عمل الخزر مجمع ناس سوى (سمندر).

وبرطاس: هم أمة متاخمة للخزر، ليس بينهم وبين الخزر أمة أخرى، وهم قوم مفترشون على وادي أتل، وبرطاس اسم الناحية، وكذلك الروس والخزر والسرير للمملكة لا للمدينة ولا للناس.

والخزر لا يشبهون الترك، وهم سود الشعر وهم سمر يضربون لشدة السمرة إلى السواد، كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهرو الحسن والجمال، والذي يقع من رقيق الخزر هم أهل الأوثان الذين يجيزون بيع أولادهم واسترقاق بعضهم بعضا، فأما اليهود منهم والنصارى فأنهم تدين بتحريم استرقاق بعضهم بعضا مثل المسلمين.

وبلد الخزر لا يرتفع منه شيء يحمل إلى الآفاق غير الغري، وأما الدقيق والعسل والشمع الخز والأوبار فمجلوب إليها، ولباس الخزر وما حواليها القراطق والأقبية، وليس

يكون عندهم شيء من الملبوس، وإنما يحمل إليهم من نواحي جرجان وطبرستان وأرمينيا وأذربيجان والروم.

وأما سياستهم وأمر مملكتهم، فإن عظيمهم يسمى (خاقان خزر)، وهو أجل من ملك الخزر لأن ملك الخزر هو الذي يقيمه، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاؤوا ه فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب نفسه أن ينقطع، قالوا له: كم تشتهي مدة الملك؟

فيقول كذا وكذا سنة، فإن مات دونها كانت له، وإلا قتل إذا بلغ تلك السنة، ولا تصلح الخاقانية عندهم إلا في أهل بيت معروفين، وليس له من الأمر والنهي سيء إلا أنه يعظم ويسجد له إذا دخل إليه، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومن في طبقته، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة، فإذا دخل عليه تمرغ في التراب وسجد وقام من بعد، حتى يؤذن له بالتقرب، وإذا حزبهم حزب عظيم أخرج فيه خاقان، فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيما له، وإذا مات ودفن لا يمر بقبره أحد إلا ترجل وسجد، ولا يركب ما لم يغب عن قبره. ويبلغ من طاعتهم لملكهم أن أحدهم يجب عليه القتل ويكون من كبرائهم، فلا يجيز الملك أن يقتله ظاهرا، فيأمره أن يقتل نقسه، فينصرف إلى منزله ويقتل نفسه.

والخاقانية في قوم معروفين ليس لهم مملكة ويسار، فإذا انتهت الرئاسة إلى أحدهم عقدوا ولم ينظروا إلى ما عليه حاله، ولقد أخبرني من أثق به أنه رأى بعضهم شابا يبيع الخبز، كانوا يقولون أن خاقانهم إذا مات فليس أحد أحق منه بالخاقانية، إلا أنه كان مسلما ولا تعقد الخاقانية إلا لمن يدين باليهودية والسرير والقبة، الذهب التي لهم، لا تضرب إلا لخاقان ومضاربه إذا برزوا فوق مضارب الملك، ومنزله في البلد أرفع من منزل سكن الملك.

برطاس: اسم للناحية، وهم أصحاب بيوت خشب، وهم مفترشون، وبشجرات (البشكير) هم صنفان، صنف في آخر الغزية على ظهر بلغار، ويقال أن مبلغهم نحو ألفي رجل ممتنعون في مشاجر لا يقدر عليهم، وهم في طاعة بلغار، وبشجرات آخرهم متاخمون لينجاك (بشناق) وهم وبنجناك أتراك وهم متاخمون للروم، ولسان بلغار آخر، وكذلك لسان الروس غير لسان الخزر وبرطاس.

وبلغار: اسم مدينة وسكانها مسلمون، وفيها مسجد جامع، وبقربها مدينة أخرى

تسمى (سوار) فيها أيضا مسجد، وأخبرني من كان يخطب بها أن مقدار الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة ألاف رجل، ولهم أبنية خشب، يأوون إليها في الشتاء، وفي الصيف يفترشون في الخركاهات، وأخبرني الخطيب فيها أن الليل عندهم لا يتهيأ أن يسير فيه الإنسان أكثر من فرسخ في الصيف، وفي الشتاء يقصر النهار ويطول الليل حتى يكون نهار الشتاء مثل ليالي الصيف.

والروس: هم ثلاثة أصناف، فصنف أقرب إلى بلغار، وملكهم يقيم بمدينة تسمى كويابه (كييف) وهي أكبر من بلغار، وصنف أبعد منهم يسمون (الصلاوية) أي السلاف، وصنف يسمون (الأرثانية) وملكهم مقيم بأرثا والناس يبلغون في التجارة إلى كويابه، أما أرثا فإنه لا يذكر أن أحدا دخلها من الغرباء، لأنهم يقتلون كل من وطئ أرضهم من الغرباء، وإنما ينحدرون في الماء، يتجرون بشيء من أمورهم ومتاجرهم، ولا يتركون أحدا يصحبهم ولا يدخل بلادهم، ويحمل من إرثا السمور الأسود والرصاص، والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا، وتحرق مع مياسرهم الجواري بطيبة من أنفسهم، وبعضهم يحلق اللحى، وبعضهم يطلقها مثل الذوائب، ولباسهم القراطق التامة، وهؤلاء الروس يتجرون إلى الخزر، ويتجرون إلى الروم وبلغار الأعظم، وهم متاخمون للروم في شمالها، وهم عدد كثير، ويبلغ من قوتهم أنهم ضربوا خراجا على ما يلي بلادهم من الروم، وبلغار الداخل هم نصارى» (١٠٣).

صفات بلاد الخزر وأهلها:

أما عن صفات بلاد الخزر وأهلها، فقد قال «ابن سعيد المغربي عن أبي جرير الطبري ما يلي:

«أما بالنسبة للخزر فهم يسكنون إلى يسار المسكونة، تجاه الإقليم السابع، يتألق فوق رؤوسهم برج الدب الأكبر، وأرضهم باردة طيبة، ولذلك فإن بشرتهم بيضاء وعيونهم زرقاء وشعورهم حمراء مسترسلة، وأجسامهم كبيرة وطبيعتهم باردة، ومنظرهم على العموم وحشي».

وأوضح ابن سعيد المغربي أن هذا الوصف وصف مألوف لأمة من الأمم الشمالية،

وهو لا يقدم لنا أي مساندة للرأي القائل بوجود بعض وشائج النسب بينهم وبين الشركس.

والحقيقة أن أبا جرير الطبري عمم على الخزر أنهم يملكون بشرة بيضاء وعيونا زرقاء وشعورا حمراء، في حين قال الأصطخري أن بينهم سمر البشرة مائلة إلى السواد كالهنود، ومنهم من هو أبيض البشرة.

ويبدو أن شعب الخزر كان وثني الطباع والأخلاق بالرغم من تهوده في القرن الميلادي الثامن، وكان في الواقع شعبا بدائيا متخلفا لا حضارة ولا مدنية له، رغم ما يزعمه المؤرخون من أن إمبراطورية الخزر كانت دولة قوية جدا وأقوى من جميع جيرانها باستثناء دولة الخلافة الإسلامية، والإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة)، والأمر الذي يدحض مقولة أن دولة الخزر كانت دولة قوية جدا هو الموارد المحدودة لهذه الدولة، الأمر الذي حدا بـ (المقدسي) أن يقول عن سهوب الفولجا ما يلي:

«إنها جرداء جافة، بلا ماشية أو ثمار».

وتعويضا عن ذلك راجت التجارة في بلاد الخزر، ويعتمدون عليها في مواردهم المادية إضافة إلى بعض الصناعات المتواضعة.

والحقيقة أن اعتناق شعب الخزر للديانة اليهودية وأصبحت هذه الديانة هي الدين الرسمي لبلاد الخزر، إلا أن تهود شعب الخزر لم يكن متطورا وعن اقتناع كامل، وكان كثير من أفراد هذا الشعب يدينون الديانة المسيحية والإسلامية، إضافة إلى عبدة الأصنام.

ويبدو أن يهود شعب الخزر كانوا همجا دمروا بلادهم، وكانوا على شيم وأخلاق وطبائع سيئة شاذة وغير قويمة، فقد قال (ابن حوقل) عن يهود الخزر التالي:

«يهود الخزر قوم همج، دمروا بلادهم وتركوها خرابا بلقعاً».

أما عبد الله بن المقفع فقال:

«الترك كلاب ضالة، قلنا الخزر، قال بقر سائبه» (١٠٥)

أما القيصر الروسي (بطرس الأكبر) فوصف يهود الخزر قوله:

«إنهم أشرار غشاشون».

الحروب الإسلامية ـ الخزرية

يذكر المؤرخون والباحثون أن حروبا اندلعت بين العرب المسلمين من ناحية، والجيش الخزري من ناحية ثانية، ويقسمون تلك الحروب إلى قسمين، الأول يعرف باسم الحرب العربية ـ الخزرية الأولى، والثاني باسم الحرب العربية ـ الخزرية الثانية، وسوف نتناول هنا هذه الحروب باختصار شديد:

١ ـ الحرب العربية ـ الخزرية الأولى:

روى أو جرير الطبري في تاريخه أن العرب المسلمين غزو (بلنجر) في العام الثاني والثلاثين للهجرة الموافق للعام ٦٤٢ للميلاد، دون أن تلحق بهم أي خسارة حتى أن فرسانهم توغلوا حتى (البيضاء) على مسافة مائتي فرسخ من بلنجر (١٠٦).

إلا أن البعض يعترض على ما ورد في رواية الطبري هذه لأن اسم (البيضاء) اسم أطلقه العرب في هذه الحقبة المبكرة على (أتل الخزر) عاصمة بلاد الخزر الواقعة على نهر الفولجا، وبحسب ما ورد في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي، فقد جرى تحويل عاصمة بلاد الخزر من مدينة (سمندر) إلى مدينة (أتل) على نهر الفولجا.

٢ ـ الحرب العربية ـ الخزرية الثانية:

في العام الميلادي ٧٢٢ هاجمت جيوش الخزر (اللان)، والتقوا بالجيش الإسلامي بقيادة (ثبيت النهراني) في مرج الحجارة في أرمينية، وقد تمكن الجيش الخزري من النيل من الجيش الإسلامي في هذه المعركة وحققوا انتصارا كبيرا عليه، فغضب الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ ـ ٧٢٤) غضبا شديدا لأن الجيش الخزري بدأ في احتلال الأراضي التي أخلاها الجيش الإسلامي، وفي الواقع أن الجيش الإسلامي فشل في تحقيق انتصارات كبيرة على الخزر، وربما كان ذلك بسبب انشغال القوات الضاربة للجيوش العربية ـ الإسلامية في القتال على جبهات أخرى مهمة.

نهاية دولة الخزر:

يبدو أن دولة الخزر كانت دولة قوية جدا، ولكن من الناحية العسكرية فقط، وكانت أقوى عسكريا من جميع جيرانها باستثناء دولة الخلافة الإسلامية والدولة البيزنطية، أما الانحطاط والضعف الذي لحق بدولة الخزر، وتدني الأحوال فيها، فلم

يكن مرده في الحقيقة إلى التركيبة الفسيفسائيه للنسيج الاجتماعي المؤلف لمجتمعهم، ووجود أعداد كبيرة من المسلمين بين صفوف جيوشهم، أو لهزيمة عسكرية لحقت بهم على أيدي جيوش الإمبراطورية العربية ـ الإسلامية، وجيوش الإمبراطورية الرومانية الشرقية «بيزنطة»، وإنما كان ذلك على ما يبدو راجعا إلى قلة مواردهم وإمكانياتهم، وتدهور الحالة الاقتصادية في بلادهم، وندرة ما بين أيديهم من أموال وثروات، الأمر الذي أثر على جميع مجالات حياتهم.

وفي القرن الميلادي العاشر ـ أي بعد نحو قرنين من قيام دولة الخزر ـ تمكن الروس من توجيه ضربة ساحقة وقاضية لهذه الدولة لم تقم لها من بعدها قائمة، واحتلوا جميع أراضيها وضموها لدولتهم، وبذلك انتهى إلى الأبد الدور السياسي ليهود الخزر في خزاريا، ولقد أقام الروس في بلاد الخزر الكثير من المستوطنات الروسية من أجل صبغ شعب الخزر بصبغة روسية خالصة من النواحي الفكرية والثقافية والدينية والاجتماعية.

وبالرغم من ذلك استطاع شعب الخزر الاحتفاظ بكيان اجتماعي هزيل خاص بهم في بلادهم حتى القرن الميلادي الثالث عشر عندما اضطروا للرحيل عن ديارهم فرارا من هول الصدام الدامي مع القبائل المغولية المقاتلة بقيادة القائد المغولي الكبير «جنكيزخان» ومن بعده ولده «أوكتاي»، وبهذه النتيجة المأسوية تشتت شعب الخزر في كافة أرجاء الإمبراطورية الروسية، وبلدان أوروبة الشرقية المختلفة ثم إلى دول أوروبة الغربية ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد اكتشافها في القرون الوسطى، ومن الغريب أن بعض الشعوب التي كانت واقعة تحت سيطرة دولة الخزر مثل «جورجيا» على سبيل المثال، لا تزال موجودة على خارطة العالم حتى يومنا هذا، في حين زالت وبادت دولة الخزر واختفت عن الوجود.

ومن هؤلاء الخزر المتهودين الذين لا يمتون بأي صلة لبني إسرائيل ولليهود القدماء، تنحدر الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين، يقول «بنيامين فريدمان» في مؤلفه الذي يحمل عنوان «يهود اليوم ليسوا يهودا» ما يلي:

«إن من يزعمون أنهم يهودا هم منحدرون تاريخيا من سلالة شعب الخزر، ويشكلون أكثر من ٩٢٪ من جميع من يسمون أنفسهم يهودا في كل مكان من العالم اليوم، والخزر المتهودون الذين أنشؤوا مملكة الخزر في أوروبة الشرقية أصبحوا يسمون

أنفسهم يهودا بالتحول والاعتناق في العام الميلادي ٧٢٠، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ كتاب العهد القديم، هذه حقيقة لا تقبل جدلا» (١٠٧).

وفي الواقع أن هؤلاء الخزر المتهودين الذين لا يمتون من قريب أو من بعيد بأي صلة من أي نوع لبني إسرائيل الأوائل أو لليهود القدماء، وهم ليسوا من الشعوب السامية التي يزعم اليهود أنهم ينتسبون إليها، وإنما ينحدرون من سلالة توجرمة بن يافث بن نوح حسب التقسيم التوراتي لشعوب العالم القديم، لا يحق لهم المطالبة بحقوق دينية أو تاريخية في فلسطين العربية ولا في بلاد الخزر نفسها، لأن يهود الخزر بادوا وزالوا عن الوجود منذ قرون طويلة، ومن المؤكد أنه لا تنطبق بالتالي على يهود الخزر بأي حال من الأحوال، وتحت أي ظرف من الظروف البائدة ـ لو سلمنا جدلا بصحتها ـ والمتعلقة بالمقولات التالية:

١ ـ أسطورة الشعب المختار!! أو الشعب اليهودي المختار، الذي اختاره الرب «يهوه» واصطفاه وفضله على جميع شعوب الأرض قاطبة، ولا تحل بركة الرب ونعمه إلا على هذا الشعب المختار وبه.

٢ ـ أسطورة أن فلسطين العربية هي الموطن الأصلي لليهود، ومهد ديانتهم، والبيئة الطبيعية لتوراتهم.

٣ ـ أسطورة أن فلسطين العربية هي أرض «الميعاد»، التي يجب أن يعودوا إليها مهما طال بهم الزمن، ومهما امتدت فترة تشردهم وشتاتهم.

٤ ـ أسطورة نقاء الجنس اليهودي المضحكة والتي تدعو للسخرية، فمن المعروف جيدا أن اليهود على مدى تاريخهم كانوا أكثر الجماعات البشرية اختلاطا بالشعوب الأخرى عن طريق التزاوج والمصاهرة.

٥ ـ ألوهية التوراة التي كتبها الكهنة اليهود بأيديهم ومن بنات أفكارهم.

٦ ـ أسطورة المسيح اليهودي المنتظر، والمسيح الذي أتى قبل نحو ألفي عام لم يكن مسيح اليهود المنتظر، وإنما كان رجلا محتالا ما جاء إلا ليستفيد بني إسرائيل ويضلهم.

٧ ـ قدسية هيكل أورشليم أو هيكل سليمان المزعوم بمدينة القدس العربية.

وابتداء من القرن الميلادي الثامن عشر استولى يهود الخزر على اصطلاح «يهود» التاريخي، وعلى كل ما يتعلق به من مفاهيم دينية وقومية وتاريخية وعنصرية بائدة ومتحجرة ومتزمتة مثل اصطلاحات شعب الله المختار، والوعد الإلهي بملكية أرض كنعان، ومملكة داود وسليمان البائدة، وأرض الميعاد، وإسرائيل ويهوذا، وهيكل سليمان المزعوم أي المعبد اليهودي الأول في مدينة القدس العربية.

وهؤلاء الخزر المتهودين هم الذين رفعوا عاليا رايات الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في أواخر سنوات القرن الميلادي التاسع عشر، وتحمسوا لها جدا، وعملوا بكل همة ونشاط، وأنفقوا الأموال الطائلة والغالي والنفيس لتحقيق أهدافها الاستعمارية الرامية إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية من أصحابها الأصليين، وإنشاء دولة يهودية في فلسطين العربية كما حدث في العام الميلادي ١٩٤٨.

والحقيقة أن يهود الخزر أخفوا جذورهم الخزرية عن العالم كله وخاصة في أوروبة والولايات المتحدة الأمريكية، وفرضوا على ذلك حاجزا من التكتم الشديد والسرية التامة، ولم يسمحوا بانتشار حقيقة انحدارهم العرقي من سلالة شعب الخزر الآسيوية في جميع وسائل الإعلام المختلفة، حتى يظهروا أمام العالم المسيحي الغربي وخصوصا في أوروبة الغربية والولايات المتحدة وكأنهم امتداد عرقي نقي لليهود القدماء ولبني إسرائيل الأوائل، بل وينحدرون من قبيلة يسوع المسيح الإسرائيلية، ومما لا شك فيه أن العالم المسيحي الغربي انخدع بهذه الحيلة الماكرة. وحبا في رؤية السيد المسيح يظهر ثانية على الأرض حسب النبوءات التوراتية الزائفة، قام العالم المسيحي الغربي بمساعدة يهود الخزر ماليا وعسكريا وسياسيا وتكنولوجيا ومعنويا للوصول إلى فلسطين العربية، وإنشاء كيانهم الغاصب الحالي فيها، وضمان قوته واستمرار يته، وإبقائه أقوى من جميع جيرانه العرب إن صح التعبير.

وفي الواقع إن إنشاء الكيان الصهيوني الغاصب الحالي في فلسطين العربية، لم يكن بمشيئة الرب ولا إرادته كما يزعم الصهاينة، ولا تنفيذا للنبوءات التوراتية الزائفة التي يؤمن بها العالم المسيحي الغربي وخصوصا أتباع الطائفة البروتستانتية، وإنما كان ذلك بالغش والخداع والتزوير، وبالقوة العسكرية الفائقة والغاشمة ضد شعب مسالم وأعزل، وما الدولة الصهيونية الحالية في فلسطين العربية، إلا إحياء لمملكة الخزر اليهودية المبادة في التاريخ القديم.

ثانيا: اليهود الأشكناز «الأشكنازيم» أو اليهود الغربيون:

اسم اليهود «الأشكناز» هو اسم أطلق على اليهود الذين كانوا يقيمون في دولة ألمانية خلال القرون الوسطى، وبخاصة على أولئك الذين كانوا يعيشون في منطقة «ماينز وفورمر» الواقعة على ضفاف نهر «الراين»، ويعتقد بعض المؤرخين والباحثين أن اليهود الأشكناز ينحدرون بجذورهم العرقية من سلالة شعب الخزر أيضا، ولا ينتمون للجنس الجرماني، وهم بلا أدنى شك ينتمون للتشكيل الثقافي والحضاري الألماني ويشكلون جزءا ضئيلا منه.

ولقد كان اليهود الأشكناز يتكلمون لغة «اليدش» وهي في أساسها اللغة الألمانية التي كانت مستخدمة في القرون الوسطى، وقد وصف المؤرخ العربي الكبير الدكتور «أحمد سوسه» اليهود الأشكناز وصفا دقيقا، عندما كتب قائلا ما يلي:

«تنتسب طائفة الأشكناز إلى اليهود الألمان الذين ينحدرون من أصل ألماني، وعاشوا في القرون الوسطى في البلاد التي تتكلم الألمانية ثم امتدوا إلى الشرق والغرب، وفد حافظوا إلى عهد قريب على لغتهم «اليديش» وكانت في أساسها اللغة الألمانية المستعملة في القرون الوسطى» (١٠٨).

ثالثا: اليهود السفارد «السفارديم» أو اليهود الشرقيون:

تعبير اليهود السفا رد أطلق على اليهود الذين عاشوا في دولة إسبانية خلال القرون الوسطى، إضافة إلى اليهود الذين عاشوا في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط المختلفة، فضلا على أولئك الذين عاشوا في بلدان الشمال الأفريقي وغيرها من بلدان المنطقة العربية، وقد وصف المؤرخ أحمد سوسة يهود السفارد وصفا دقيقا أيضا بقوله ما يلي:

«السفارد هم اليهود الذين انحدروا من اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة

الأيبيرية خصوصا بعد فتح المسلمين لها في العام الميلادي ٧١١، وكان هؤلاء يتكلمون في إسبانية في أول الأمر باللغة العربية حتى القرن الميلادي الثالث عشر، ثم أخذوا يتكلمون باللغة الإسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، إذ كانوا في آخر عهدهم قبل أن يطردا من إسبانية في العام الميلادي ١٤٩٢ ثم في العام الميلادي ١٤٩٦، (مارينيين) أي يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعادات والطقوس اليهودية سرا، ثم عادوا إلى يهود بعد خروجهم من إسبانية، وقد هاجر هؤلاء إلى جنوب أوروبة وشمال أفريقية وبلدان الشرق الأوسط، وقد ذهب بعضهم إلى لندن وأمستردام وهامبورغ، وتعرف لغة السفارديين التي لا يزالون يتكلمونها باسم (اللادينو)» (١٠٩).

٥

المزاعم الصهيونية في فلسطين العربية

بحسب القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الكولونيالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، والتفسير المتعسف لنصوص الروايات التاريخية التوراتية، فإن فلسطين العربية هي كما يلي:

١ ـ الموطن الأصلي لليهود!

٢ ـ مهد الديانة اليهودية!

٣ ـ البيئة التاريخية الطبيعية للتوراة!

٤ ـ أرض المعبد اليهودي الأول أو «هيكل سليمان المزعوم» بمدينة القدس، والذي ينبغي أن تتم بداخله طقوس العبادات اليهودية!.

واستنادا إلى هذه القراءة المغرضة والمجحفة بحق الشعب العربي الفلسطيني، بدأ الصهاينة اليهود والمسيحيون معا وعلى حد سواء، في عمليات واسعة النطاق خطيرة جدا لتزوير وتزييف التاريخ الفلسطيني القديم برمته لصالح اليهود بالطبع حتى بدت فلسطين العربية أمام العالم كله وكأنها كما يزعم هؤلاء!.

وفي الحقيقة أن آلية تزوير التاريخ الفلسطيني القديم وتهويده لم تأخذ مجراها فقط عند ظهور الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في العام الميلادي ١٨٩٧، وإنما سبقتها في ذلك ما تعرف باسم «الصهيونية المسيحية» التي ظهرت بعد الحركة الدينية البروتستانتية التي قادها القس «مارتن لوثر» داخل الكنيسة الكاثوليكية في القرن الميلادي السادس عشر، والصهيونية بمعناها العام الذي يهدف إلى اغتصاب أرض فلسطين العربية

من أصحابها العرب ظهرت كاصطلاح استعماري لأول مرة على ما يبدو في كتابات الصحافي اليهودي النمساوي «ناثان بيرنباوم» الذي عاش بين الأعوام الميلادية ١٨٦٣و١٩٣٧، فقد ورد اصطلاح «الصهيونية» نسبة إلى جبل صهيون الواقع بمدينة القدس العربية في كتابه الذي أصدره باللغة الألمانية وحمل عنوان «الإحياء القومي للشعب اليهودي في وطنه لحل المشكلة اليهودية» (١١٠) الذي نشر في العام الميلادي ١٨٩٣، أي قبل أربع سنوات من ظهور الحركة الصهيونية الهرتزلية، بينما يعتقد العض أن بيرنباوم استعمل اصطلاح الصهيونية قبل هذا التاريخ بعدة سنوات، حيث أن هذا الاصطلاح ورد في مقال له نشر في العام الميلادي ١٨٨٦ عنوانه «التحرر الذاتي»، وذلك لتمييز الحركة الصهيونية التي كانت في طور التكوين وقتئذ، عن الجماعات التي أطلقت على نفسها اسم «أحباء صهيون» منذ ثمانينات القرن الميلادي التاسع عشر.

والحقيقة أن التاريخ القديم الحقيقي للشعوب هو ملك لتلك الشعوب فقط، ولا يجوز بل لا يحق إطلاقا لكائن من كان أن يزيفه أو يزوره أو يستبدله بتاريخ آخر تحت أي ظرف من الظروف، وإذا ما استطاع اليهود تزوير وتزييف وقائع وأحداث التاريخ الفلسطيني القديم الحقيقي، وصدقها العالم جهلا منه بهذا التاريخ، أو مجاملة لشعب الله المختار أو لوجود هذا التزوير في كتب أطلق عليها زورا وبهتانا صفة الإلوهية والنبوة والقداسة، إلا أن التاريخ القديم الحقيقي للشعب الفلسطيني مصيره للظهور جليا وواضحا في يوم من الأيام للعالم بأسره مهما كانت قوة التزوير ودقته وقدرته على الإقناع، فلا يستطيع أحد مهما كان نوعه وشأنه ومكانته أن يزور ويزيف حقائق التاريخ القديم الحقيقي لشعب معين بجرة قلم من بعض المؤرخين وخصوصا إذا ما كان هذا الشعب موجودا على وجه الأرض حتى يومنا هذا، ويملك ذاكرة قوية وحية ومتجددة.

ولا يخفي على أحد أن الكتابة في التاريخ القديم لشعب ما لا تعتمد إطلاقا على أهواء كاتبها وميوله ومصالحه التاريخية والدينية والقومية الخاصة، ولا على روايات متوارثة يغلب عليها الطابع الخيالي والخرافي والأسطوري، وتنقصها جميعها النزاهة والمصداقية والحيادية، ولا سند لها، ولا تمت بصلة من قريب أو من بعيد للواقع والحقيقة حتى ولو كانت هذه الروايات ذات طابع ديني مقدس في نظر البعض مثل الروايات التوراتية، وغني عن القول أن الكتابة في التاريخ القديم تستلزم من كاتبها أن يكون مطلعا اطلاعا تاما على الوثائق والمدونات التاريخية الأثرية القديمة التي تبرهن على صحة

ما يذهب إليه في كتاباته، فالتاريخ الكنعاني والفرعوني والأشوري والبابلي على سبيل المثال يحوي ما يكفي من أدلة قاطعة وحاسمة تثبت حدوث وقائعه في الزمن الغابر متمثلة في كميات ضخمة من الوثائق والمدونات التاريخية الأثرية القديمة، فضلا عن أعداد لا حصر لها من الآثار الموجودة على سطح الأرض، أو تلك التي كانت مطمورة في باطنها، وبدون هذه الأدلة الأثرية، فإن الكتابة في التاريخ القديم هي مجرد هراء وحديث خرافة، ولا يمكن قراءته إلا من باب الأعمال الأدبية الرخيصة التي لا قيمة تاريخية لها مثل الكتابة في التاريخ اليهودي المزعوم.

وعلى العكس تماما لما يردده الصهاينة ويروجون له في جميع وسائل الإعلام المتاحة وفي جميع المحافل الدولية من أن لهم حقوقا تاريخية ودينية وقانونية في فلسطين العربية، فإن الحقيقة غير ذلك، ففي الواقع أنه لا يوجد لليهود مثل هذه الحقوق بالمطلق للأسباب التالية:

١ ـ من المؤكد أن فلسطين العربية لم تكن في يوم من الأيام أرض اليهود ولا موطنهم الأصلي كما تشير الدراسات التاريخية الحديثة عن أصل اليهود، فموطن اليهود الأصلي كان يقع في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، وتحديدا في بلاد عسير أو في بلاد اليمن القديم.

٢ ـ لم تكن فلسطين العربية مهد الديانة اليهودية، وإنما كان مهدها في غرب شبه جزيرة العرب، حيث كان يعيش نبي الله موسى عليه السلام وقومه.

٣ ـ وبالتالي فإن فلسطين العربية لم تكن أبدا البيئة التاريخية الطبيعية للتوراة، فالتوراة في الحقيقة لم تنزل على موسى عليه السلام فيها، وإنما أنزلت عليه في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، وهذا المكان بدون أدنى شك كان البيئة الطبيعية للتوراة.

٤ ـ لم تكن فلسطين العربية أرض هيكل سليمان المزعوم في مدينة القدس العربية، وإنما كان موقع هذا الهيكل في غرب شبه جزيرة العرب الموطن الأصلي لليهود القدماء.

٥ ـ فشل علماء الآثار على مدى نحو قرنين من الزمن في العثور حتى ولو على أثر واحد ذي طابع يهودي في فلسطين العربية، الأمر الذي يدل على أنه لم يكن لليهود تاريخ مهم فيها ولا حتى وجود سكاني وسياسي ذو قيمة، وهذا في الواقع يبرهن على حقيقيتين واضحتين وضوح الشمس هما كالتالي:

آ ـ عدم صحة الروايات التاريخية التوراتية المتعلقة بوجود تاريخ يهودي قديم في فلسطين العربية.

ب ـ عدم وجود تاريخ سياسي يهودي في فلسطين العربية تمخض عنه مملكة يهودية فيها منذ نحو ثلاثة آلاف عام.

ونظرا لحالة العقم والجدب التاريخي والحضاري التي يعاني منها اليهود، فليس من المستبعد أن يلجأ الصهاينة في يوم من الأيام إلى تزوير آثار معينة لدعم موقف الروايات التاريخية التوراتية، لاسيما وأن تزوير وتزييف الآثار أصبح ممكنا من الناحية العلمية في الوقت الحاضر، ثم يعلن الصهاينة بكل ثقة أنهم عثروا على آثار مهمة ذات طابع يهودي في فلسطين العربية، أو يتعمدون إلقاء بعض القطع النقدية المعدنية في أساسات بعض المباني هناك لكي يثبتوا أنه كان لديهم تاريخ في فلسطين العربية كما يحدث في الوقت الراهن!

ولكن.....

إذا ما حدث ذلك، فإنه من الصعب جدا إن لم يكن مستحيلا أن يصدق العالم الحر مثل هذه المزاعم، ويأخذها بعين الاعتبار ويقتنع بها وخصوصا وهو يعلم علم اليقين أن علماء الآثار اليهود والأجانب معا، فشلوا فشلا ذريعا على مدى فترة زمنية طويلة تبلغ أكثر من قرنين، في العثور على آثار ذات طابع يهودي في فلسطين العربية، والعالم في الواقع ليس من السذاجة بمكان حتى يصدق ويقتنع بأن الصهاينة عثروا بين عشية وضحاها على آثار يهودية في فلسطين العربية.

وفي الواقع أن عمليات تزوير التاريخ الحقيقي القديم لفلسطين العربية وتهويده، تجري على قدم وساق منذ عدة قرون وحتى يومنا هذا، وقد ازدادت هذه العمليات وتضاعفت منذ تأسيس الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية في أواخر سنوات القرن الميلادي التاسع عشر، والهدف من عمليات تزوير التاريخ الفلسطيني القديم، إنما قصد منه في الحقيقة ما يلي:

١ ـ خنق وإسكات بل وقتل التاريخ الفلسطيني القديم ودفنه ومحوه من ذاكرة التاريخ.

حتى لا يبقى عالقا في أذهان الناس على مستوى العالم كله، إلا ما يزعمه الصهاينة من تاريخ وهمي ومزور لهم في فلسطين العربية!.

٢ ـ خلق تاريخ يهودي قديم في فلسطين العربية وهمي ومزور، ولا يمت بصلة للحقيقة والواقع لا من قريب أو بعيد!.

٣ ـ استغلال هذا التاريخ اليهودي المزور في فلسطين العربية في صنع حاضر ومستقبل يهودي فيها مثل الكيان الصهيوني الغاصب الحالي الذي قام على الغش والخداع والتزوير والقوة العسكرية الاستعمارية الغاشمة.

وبعد أن تعرفنا في الفصلين الثالث والرابع من هذه الدراسة على الموطن الأصلي لليهود القدماء، وعلى البيئة التاريخية الطبيعية لتوراتهم، ثم تناولنا أيضا أصل اليهود المعاصرون وموطنهم الأصلي، سوف نستعرض في هذا الفصل الحجج والذرائع الضعيفة والواهية التي خيل للصهاينة أنها أسانيد بين أيديهم تخولهم تبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية، وطرد وتشريد أصحابها العرب منها، وروجوا لهذه الحجج والذرائع بحماس بالغ في كل مكان من العالم، وفي الواقع أن هذه الحجج والذرائع كثيرة ومتعددة، منها ما هو قديم، ومنها ما هو حديث، ومنها ما هو ديني أو تاريخي أو قانوني، إلا أننا هنا سنكتفي باستعراض أهمها وأكثرها رواجا بين الناس وهي:

أولا: الحجة الدينية.

ثانيا: الحجة التاريخية.

ثالثا: الحجة القانونية.

أولا: الحجة الدينية:

في الحقيقة أن هذه الحجة تقوم في الأساس على إبراز متعمد ومفتعل من جميع جوانبه لعدة مفاهيم من أهمها ما يلي:

١ ـ العلاقة التي تربط الديانة اليهودية بأرض فلسطين العربية، وتركز هذه العلاقة على الصلات الروحية التي تشد ة وتجذب أتباع هذه الديانة لفلسطين العربية باعتبارها أرض «إسرائيل»، والموطن الأصلي لليهود.

٢ ـ ويزعم أصحاب هذه الحجة أن فلسطين العربية هي مهد الديانة اليهودية، والبيئة الطبيعية للتوراة، وأن طقوس العبادات اليهودية يجب أن تتم بمجملها في فلسطين العربية، وأن عبادة الرب «يهوه» لا تتم إلا داخل هيكل سليمان أو المعبد الأول بمدينة القدس العربية.

٣ ـ ويزعم الصهاينة أن الرب أعطى وعدا لليهود بملكية أرض فلسطين العربية ومنحهم إياها ردحا من الزمن، وعندما طردوا منها وعدهم بالعودة ثانية إليها على لسان أنبياء بني إسرائيل عندما تكون الظروف مواتية لذلك!.

٤ ـ ويبدو أن مسألة عودة اليهود إلى فلسطين العربية مهما طالت فترة شتاتهم بالمفاهيم الصهيونية، هي مسألة جوهرية ومحورية في الفكر الديني اليهودي، ويضعها البعض منهم في منزلة الترتيب الإلهي للعالم والكون، وكيف لا؟ فهذه العودة تتم بمشيئة الرب وإرادته حسب نبوءات أنبياء بني إسرائيل!

٥ ـ اليهودية من وجهة نظر هؤلاء ليست مجرد ديانة فقط، وإنما هي قومية أيضا مثل غيرها من القوميات، ويزعمون أن نبي الله موسى عليه السلام هو أول صهيوني، وقد قال الحاخام «ميمون» أول وزير للشؤون الدينية في الكيان الصهيوني الغاصب ما يلي:

«إن الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد جميع الأمم إلى بلادها وأوطانها، فهو لدى تلك الأمم رباط سياسي علماني، ورباط خارجي وعرضي مؤقت، بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده كناية عن سر خفي من القداسة، فالشعب والأرض قد أنعم عليها بتاج القداسة حتى في زمن خرابها، والرباط الذي يشدها رباط سماوي، أبدي وأزلي» (١١١).

وقد ورد في إعلان قيام دولة إسرائيل الصادر ليلة الخامس عشر من أيار/مايو في العام الميلادي ١٩٤٨ ما يلي:

«أرض إسرائيل مهد الشعب اليهودي، هنا تكونت هويته الروحية والدينية والسياسية، وهنا أقام دولته أول مرة، وخلق قيما حضارية ذات مغزى قومي وإنساني جامع، وفيها أعطى العالم كتاب الكتب الخالد، وبعد أن نفى من بلاده عنوة، حافظ

الشعب على إيمانه بها طوال شتاته، ولم يكف عن الصلاة، أو يفقد الأمل بعودته إليها واستعادة حريته السياسية فيها» (١١٢).

وقد قال ثيودور هرتزل «الأب الروحي للحركة الصهيونية السياسية» قبل أكثر من خمسين عاما من قيام الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية ما يلي:

«نحن نشعر بالرابطة التاريخية فيما بيننا عن طريق إيمان الأجداد والآباء فقط... فالإيمان بوحدتنا، والمعرفة تحررنا» (١١٣).

وفي سياق التفضيل بين إقامة الدولة اليهودية المنشودة في فلسطين العربية أو في الأرجنتين، قال ثيودور هرتزل وهو الرجل العلماني غير المتدين ما يلي:

«إن فلسطين تستقطب الوقائع لمصلحتها صفة كونها المهد القديم لشعبنا الذي لم ينسها أبدا... إنها موطننا التاريخي الماثل في الذاكرة على مرور الزمن، واسمها المجرد يؤلف برنامجا في حد ذاته... إذ يكفي وحده لاجتذاب شعبنا قوة شديدة الدفق» (١١٤).

وقال هرتزل أيضا أمام المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بمدينة بازل السويسرية في العام الميلادي ١٨٩٧ ما يلي:

«الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح الرجوع إلى أرض الميعاد» (١١٥).

وهذه في الواقع دعوة ضمنية من ثيودور هرتزل ليهود العالم بوضع فكرة العودة إلى فلسطين العربية في إطارها الديني اليهودي، وهو الذي كان رجلا علمانيا يدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وعلى هذا الأساس يتبجح الصهاينة دوما أن إقامة دولة يهودية في فلسطين العربية قد تنبأت بها أسفار كتاب العهد القديم، ومن هذا المنطلق يزعم الصهاينة أن لهم حقوقا دينية في فلسطين العربية، بموجب الوعد الإلهي لهم بملكية جميع أرض كنعان وتخومها والذي أبرمه الرب مع أبرام التوراتي!

ولكن.....

١ ـ لمن كان الوعد الإلهي؟

٢ ـ وهل كان هذا الوعد وعدا أبديا وغير مشروط؟

٣ ـ وهل أرض كنعان التوراتية هي فعلا أرض فلسطين العربية؟

١ ـ امن كان الوعد الإلهي؟

ورد في سفر الخلق «التكوين» على لسان الرب لإبرام التوراتي ما يلي:

«في ذلك اليوم قطع الرب ميثاقا مع إبرام قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات» (١١٦).

وقد تكرر الوعد لكل من نبيي الله إسحاق ويعقوب «إسرائيل» عليهما السلام، ثم لنبي الله موسى عليه السلام حسب زعم الروايات التوراتية.

فالأرض إذا أعطيت لنسل إبراهيم، والافتراض السائد أن اليهود وحدهم هم نسل إبراهيم لا يتفق مع مدلول النص التوراتي، إذ أن اليهود يحاولون الاستئثار بالوعود الإلهية لنسل إبراهيم، وفي هذا تحريف للنص التوراتي، وتضييق متعمد له، فنسل إبراهيم لا يقتصر على إسحاق ويعقوب عليهما السلام، وإنما يشمل بالضرورة جميع المنحدرين من نسل إبراهيم، ولا يحق لليهود بأي حال من الأحوال استثناء نبي الله إسماعيل عليه السلام من نسل والده، وهو الابن البكر لإبراهيم عليه السلام والأب الروحي والجد الأكبر لكثير من القبائل العربية التي يفوق عددها أعداد اليهود في الوقت الحاضر بملايين المرات، إذ أن أعداد اليهود على مستوى العالم كله لا يتجاوز أربعة عشر مليونا، ولا يحق ولا يجوز لليهود إلغاء القسم الأعظم من نسل وذرية إبراهيم، لأن هذا النسل كل لا يتجزأ إطلاقا.

٢ ـ هل كان الوعد الإلهي لإبراهيم أبدا وغير مشروط؟

يقول الباحثون أن هناك سوء فهم أو عدم فهم لعبارة إلى الأبد أو «ملكا أبديا» في الترجمات الإنجليزية والعربية أيضا لهذه العبارة، فقد ترجمت هذه العبارة معنى For ever أو Lasting في اللغة الانجليزية، واعتبروها مرادفة لكلمة «عولام» التي وردت في النص العري للوعد الإلهي، ولكن هذه الكلمة لا تعني إلى الأبد أو ملكا أبديا، ولكنها في الواقع تعني الحين من الدهر أو الفترة من الزمن، وهذا دفع البروفيسور «ألفريد غليوم» الأستاذ بجامعة لندن ما يلي:

«إن أرض فلسطين لم يوعد بها اليهود دون سواهم في الأصل، والوعد كان غير

محدد نص الوعد «هذه الأرض»، ثم جرى توسيعه في وقت لاحق حتى بات يشمل شرقي الأردن وسورية ولبنان وأراضي البدو الممتدة حتى الفرات، فلم يكن على الإطلاق ثمة وعد غير مشروط ملك أبدي، وإن كان المقصود فترة طويلة غير محددة» (١١٧).

والوعد الإلهي في الحقيقة كان مشروطا بمدى التزام نسل إبراهيم بأوامر الله تعالى ونواهيه، أما إذا خالف نسل إبراهيم أوامر الله ومالوا إلى طريق الكفر والفجور والفساد، فمن الطبيعي أن يكون الوعد الإلهي لهم لاغيا إلغاء مطلقا.

وفي الحقيقة أن المزاعم الصهيونية في فلسطين العربية ليس لها أساس من الصحة، فاليهود ليس لهم حقوق دينية فيها، إذ أن الدراسات التاريخية الحديثة تشير إلى أن فلسطين العربية لم تكن أبدا كما يلي:

١ ـ الموطن الأصلي لليهود القدماء، وإنما كان موطنهم الأصلي في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، وتحديدا في بلاد عسير أو في بلاد اليمن القديم.

٢ ـ لم تنزل التوراة على نبي الله موسى عليه السلام في فلسطين العربية، وإنما أنزلت عليه فوق الجبل المسمى باسمه في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية.

٣ ـ وبالتالي لم تكن فلسطين العربية هي البيئة التاريخية الطبيعية للتوراة.

٤ ـ ولم تكن مراسم وطقوس العبادات اليهودية تقام في هيكل سليمان بمدينة القدس العربية، لأن هذه المدينة لم تشهد مثل هذا البناء في تاريخها كله، وإذا كان هذا الهيكل قد أقيم فعلا، فإنه في غرب شبه جزيرة العرب.

ومما لا شك فيه أن نبيي الله موسى وهارون عليهما السلام لم يولدا في فلسطين العربية ولم يعيشا فيها، ولم تطأ أقدامهما قط أرضها ولو لمرة واحدة طيلة سنوات حياتهما، ولم تحدث وقائع وأحداث التوراة جميعها على أرضها، ولا يكفي أن يقال أن نبي الله موسى عليه السلام مر مجرد مرور بفلسطين العربية لإعطاء اليهود حقوق دينية وتاريخية فيها، وقد أيد هذه الفرضية ودعمها عالم الآثار الإيطالي «باولو ماتييه» في سياق دحضه وتنفيذه لمزاعم عالم الآثار اليهودي الايطالي «مانويل آناتي» الذي زعم أن لليهود حقوقا تاريخية في فلسطين العربية.

وإذا ما سلمنا جدلا بصحة القراءة الغربية الحالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، فإن فلسطين العربية تبعا لهذه القراءة، ليست هي مهد الديانة اليهودية، وإنما كان مهد هذه الديانة في صحراء سيناء المصرية، وبالتالي فإن هذه الصحراء هي البيئة الطبيعية للتوراة، والمحيط الأصلي للديانة اليهودية حيث أنزلت التوراة على نبي الله موسى عليه السلام في هذه الصحراء، ومن الجدير بالذكر أن علماء الآثار إبان الاحتلال الصهيوني لصحراء سيناء المصرية عقب الحرب العربية - الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧، لم يتمكنوا من العثور حتى ولو على أثر واحد يدل على إقامة بني إسرائيل نحو أربعين عاما بعد خروجهم من مصر، وكون صحراء سيناء المصرية وفقا للقراءة الحالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم هي مهد الديانة اليهودية وبيئتها الطبيعية، فإن هذا لا يعطي لليهود حقوقا دينية فيها، ولا يجوز للصهاينة في الوقت الحاضر المطالبة بها بعد آلاف السنين من السيادة المصرية المطلقة عليها.

وإذا ما كانت الأمور بتلك البساطة التي يتصورها الصهاينة في المطالبة بأرض فلسطين العربية أو صحراء سيناء المصرية، فإنه يحق للمسلمين أيضا المطالبة في البوسنة وتركية والهند وباكستان على سبيل المثال وليس فقط المطالبة بأرض الحجاز، وأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة كونهم مهد الديانة الإسلامية وبيئتها الطبيعية الأصلية. وعندها يطالب المسيحيون في الغرب الأوروبي بأرض فلسطين العربية ومدينة القدس العربية كونها مهد الديانة المسيحية، ويوجد في مدينة القدس العربية قبر السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما في الفكر اللاهوتي المسيحي. وقد اندلعت الحروب الصليبية المدمرة التي أكلت الأخضر واليابس، ودامت نحو قرنيين من عمر الزمن، وهذه تعتبر أطول حروب ذات طابع ديني عرفها التاريخ، وبالتالي لا يجوز ولا يحق لأي أحد على وجه الأرض المطالبة بأرض سيناء المصرية، ولا فلسطين ومدينة القدس العربية، ولا أرض الحجاز ومكة المكرمة والمدينة المنورة كونهم مهد الديانات السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلامية سوى أصحابها الأصليين.

والديانة اليهودية الحالية كما نعرفها في يومنا هذا بفكرها وعقائدها وعباداتها وطقوسها ومراسمها المعروفة، فهي بلا أدنى شك تختلف اختلافا جوهريا عن الديانة الموسوية القيمة التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام في جنوب غرب شبه جزيرة

العرب، فالديانة اليهودية الحالية لم يبدأ التفكير في تدوينها إلا خلال سنوات الأسر البابلي لليهود من شبه جزيرة العرب مع قبائل عربية أخرى، فقد دون أصول التوراة الحالية الكهنة اليهود في بابل وليس في فلسطين العربية، وقد اكتمل تدوين التوراة الحالية بعد انقضاء أكثر من ١٥٠٠ عاما على وفاة نبي الله موسى عليه السلام، وقبل تدوين التوراة الحالية لم يكن للديانة اليهودية وللتاريخ اليهودي أيضا هيكل معروف، وربما لعبت فلسطين العربية دورا ما في إعادة صياغة أسفار كتاب العهد القديم ووصوله لصورته النهائية المعروف بها في الوقت الحاضر، إلا أن مؤامرات اليهود وألاعيبهم الدنيئة، وموعظة الجبل ومحاولاتهم قتل السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام صلبا، كانت أيضا على أرض فلسطين العربية.

وفي الواقع أن الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية التي أسسها ثيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) في العام الميلادي ١٨٩٧، كانت دوافعها بالدرجة الأولى تأثيره العميق بمحاكمة الجاسوس اليهودي الفرنسي (داريفوس) التي جرت في العام الميلادي ١٨٩٤، وحيث أن هرتزل كان مؤمنا ببراءة داريفوش من تهمة التجسس لحساب دولة ألمانية، فقد ولدت محاكمة هذا الجاسوس اليهودي في نفس هرتزل عدة مفاهيم من الممكن تلخيصها في التالي:

١ - أن اليهود يشكلون أمة واحدة لا انفصام بينها، بغض النظر عن البلدان التي يعيشون فيها.

٢ - أن اليهود في كل زمان ومكان كانوا هدفا للاضطهاد والكراهية الموجة ضدهم.

٣ - أن الدلائل كلها تشير إلى صعوبة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون بينها.

وقد توصل هرتزل للنتائج الهامة التالية كما لخصها الفيلسوف الفرنسي الكير الدكتور «روجيه غارودى» في مؤلفه (ملف إسرائيل - دراسة في الصهيونية السياسية):

١ - رفض الاندماج الذي لم تكن دول شرق أوروبة وخاصة الإمبراطورية الروسية تبيحه لليهود، على حين كانت دول أوروبة الغربية قد بدأت في تحقيقه، ولا سيما فرنسا حين تكشف الوجه المخزي للسامية بعد قضية داريفوس.

٢ ـ إنشاء دولة يهودية يتجمع فيها كل يهود العالم، ونبذ فكرة إقامة وطن قومي روحي، ومركز إشعاع للدين اليهودي والثقافة اليهودية.

كان القرن الميلادي التاسع عشر هو عصر القوميات، والدولة اليهودية ليست سوى صورة من صور القوميات على نمط غربي تماما، لقد ظهر المذهب القومي في ألمانية بشكل واضح، وكان أثره على هرتزل كبيرا، وهو جرماني الثقافة عميق كل العمق.

٣ ـ ينبغي إنشاء هذه الدولة في مكان شاغر، وهي فكرة مميزة للاستعمار السائد في ذلك العهد، ومعناها عدم إقامة أي اعتبار للسكان الأصليين، واستند هرتزل ومن بعده الزعماء الصهاينة إلى تلك الفكرة الاستعمارية التي ستهيمن على مستقبل المشروع الصهيوني وعلى دولة إسرائيل التي نشأت على أساسه (١١٨).

وفي الحقيقة أن أرض فلسطين العربية لم تكن تشغل بال هرتزل كثيرا في بداية التفكير في مشروعه الصهيوني، فهو لم يكن يهوديا متدينا يؤمن بأوهام وخرافات التوراة، وإنما كان يهوديا علمانيا وربما كان يميل إلى الجانب الإلحادي في نمط حياته وتفكيره الديني، وعلى هذا الأساس كان من الممكن أن يقبل أي مكان من العالم لكي تقاوم فيه الدولة اليهودية مثل الأرجنتين كما اقترح البارون اليهودي النمساوي «هيرش»، أو في أوغندة كما اقترحت الحكومة البريطانية، وهناك اقتراحات أخرى كانت على طاولة البحث بشأن إقامة الدولة اليهودية مثل إقامتها على سيل المثال في قبرص أو في شبه جزيرة سيناء أو في موزنبيق، إلا أن هرتزل اضطر في نهاية المطاف للرضوخ للضغوط الشديدة التي مارسها التيار الديني المتزمت داخل الحركة الصهيونية، وللمتدينين اليهود الذين يؤمنون بالأوهام والخرافات والأساطير التوراتية، وعقد العزم على إقامة الدولة اليهودية المنشودة في فلسطين العربية.

وعند هذه المرحلة الحاسمة، بدأ فلاسفة الصهيونية ومنظروها ومفكروها ومؤرخوها في التنقيب والبحث في أعماق النصوص التوراتية والحفر في مجاهلها النائية لاستخراج منها كل ما خيل لهم أنه يتعلق فلسطين العربية من نصوص، ويركزون في كتاباتهم على النبوءات التوراتية الزائفة التي تتنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين العربية. بعد طردهم نهائيا منها في العهد الروماني، متجاهلين تماما أن نبوءات أنبياء بني إسرائيل قد تمت فعلا بعودة اليهود من الأسر البابلي إلى موطنهم الأصلي الواقع في جنوب غرب شبه جزيرة العرب!

إلا أن هؤلاء جعلوا من حملة العودة من الأسر البابلي تتوجه إلى فلسطين العربية بدلا من شبه جزيرة العرب، وصبغوها بصبغة دينية خالصة، وألبسوها ثوب المشيئة والإرادة الإلهية التي دبرها الرب ورتب لها للعالم والكون، وبدأ الصهاينة أيضا في خلق تاريخ يهودي مزعوم وهمي ومزور في فلسطين العربية حتى يكون لهم حجة وذريعة لاغتصاب فلسطين العربية فيما بعد، ومما لا شك فيه، أنه لو وقع اختيار الصهاينة على بلد آخر ليقيموا دولتهم فيه، لكانوا أضافوا لنصوص كتبهم المقدسة نصوصا جديدة تفيد بتملكهم لتلك البلاد، ولخلقوا تاريخا يهوديا مزورا فيها بحسب وعد إلهي أبدي، ولساقوا الحجة تلو الحجة والذريعة تلو الذريعة لتبرير اغتصابهم له.

٣ ـ هل أرض كنعان التوراتية، هي أرض فلسطين العربية؟

سبق أن ذكرنا بأن أرض كنعان التوراتية ليست هي أرض فلسطين العربية، وإنما أرض كنعان التوراتية تفريقا لها عن أرض كنعان الشامية أو فلسطين العربية، التي تقع حسب ما تشير الدراسات التاريخية الحديثة في غرب شبه جزيرة العرب، وضمت هذه الأرض المنحدرات البحرية لبلاد عسير من قطاع «بلحمر» في الشمال مرورا برجال ألمع وحتى منطقة «جيزان» في الجنوب، ومعظم هذه المنطقة ضمنها.

وخلاصة القول أنه ليس هناك حقوق دينية في فلسطين العربية، فهي لم تكن أبدا موطنهم الأصلي، ولا مهد ديانتهم، وبالتالي فهي لم تكن البيئة التاريخية الطبيعية لتوراتهم، مهما حاول الصهاينة ومن يواليهم تزوير التاريخ الفلسطيني القديم وتزييفه.

ثانيا: الحجة التاريخية:

إذا ما كانت الحجة الدينية اليهودية في فلسطين العربية تقوم أساسا على إدعاءات باطلة مثل الوعد الإلهي الأبدي المزعوم في الأرض الموعودة انطلاقا من العقد المبرم بين الرب وإبرام التوراتي بإعطاء نسله تلك الأرض، فإن الحجة التاريخية الصهيونية في فلسطين العربية تقوم على معطيات غريبة وعجيبة تنطوي على الزعم بحقهم التاريخي فيها، على أساس أن أجدادهم الغابرين سكنوها ردحا من الزمن في التاريخ القديم، وأن علاقتهم بها لم تنقطع منذ أيام الرومان! وقد وصف ثيودور هرتزل فلسطين العربية بقوله:

إنها موطننا الماثل في الذاكرة على مرور الزمن!.

وقال دافيد بن غوريون أول رئيس لوزراء الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية ما يلي:

«لقد أنشأت دولة إسرائيل في بلاد قطنها المحتلون والغزاة العرب طيلة ١٣٠٠ سنة» (١١٩). وهذا المنطق الصهيوني الأعوج بجانبه الكثير من الصدق والحقيقة، فحوادث ووقائع التاريخ القديم تؤكد ما يلي:

١ ـ اليهود ليسوا في الحقيقة أول من وجد في فلسطين العربية من سكان، هذه حقيقة مؤكدة وثابتة ولا تقبل جدلا، فبمولد فجر الحضارة والتاريخ عرف العرب الكنعانيون كأول سكان لفلسطين العربية، وهم أيضا أصحابها الأصليون وليس كما يروج له اليهود والصهاينة بأن التاريخ القديم لفلسطين العربية يرتبط بهم وحدهم، ولقد سبق الوجود العربي الكنعاني في فلسطين العربية الوجود اليهودي الطارئ والمؤقت على أرضها بعدة آلاف من السنين، ويعود الوجود العربي فيها للألف السادس قبل الميلاد، ولقد استمرت سيادة العرب الكنعانيين على أرض فلسطين العربية بصفة دائمة ومستمرة ودون انقطاع لأكثر من ألفي عام متواصلة من عمر الزمن حتى عرفت البلاد باسمهم «أرض كنعان» الشامية باعتراف التوراة نفسها.

٢ ـ بحسب القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية الاستعمارية الحالية لتاريخ الشرق الأدنى القديم، وللنصوص التوراتية، فمن المعروف جيدا أن بني إسرائيل أتوا إلى فلسطين العربية من دولة مصر القديمة أو الفرعونية فرارا من بطش ملكهم بهم، وطلبا للمأوى والحماية وما يسدون به الرمق عد أن تقطعت بهم السبل وتاهوا في صحراء سيناء المصرية نحو أربعين عاما، وقد دخلوها كفقراء ومساكين وليس كفاتحين كما تزعم التوراة.

٣ ـ لم يكن لليهود آية جذور أو تاريخ في فلسطين العربية، وإذا ما أخذنا جدلا بصحة الرواية السائدة في التاريخ اليهودي القديم حسب ما وردت في التوراة والمتعلقة بهجرة نبي الله يعقوب «إسرائيل» عليه السلام، وكل بني إسرائيل من فلسطين العربية إلى دولة مصر القديمة، فتذكر التوراة بهذا الصدد أن جميع عدد نفوس بني إسرائيل الذين صحبوا نبي الله يعقوب عليه السلام إلى دولة مصر القديمة كانوا نحو سبعين

شخصا، هم جميع شعب بني إسرائيل! وفي الواقع أن هذا العدد الضئيل من البشر في بلد يعج بشعبه العربي الفلسطيني، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون له تاريخ في فلسطين العربية، أو يكون له جذور فيها. أليس زعم اليهود أن لهم جذورا وتاريخا في فلسطين العربية هو مجرد هراء وحديث خرافة؟

٤ ـ كان الوجود اليهودي الغابر في فلسطين العربية طارئا وعابرا ومتقطعا، ولم يكن وجودا طويلا ومستمرا ومتواصلا، وهذا ما يفسر بدون أدنى شك لماذا لم يعثر علماء الآثار على آثار ذات طابع يهودي فيها؟ فضلا على عدم وجود أدلة أثرية تشير إلى رواية الغزو العسكري الإسرائيلي لأرض فلسطين العربية في التاريخ القديم، فهذه الرواية قد سقطت سقوطا مدويا ولم يعد يعتمد عليها بل واستبعدت من جميع الحسابات التاريخية، واستنادا إلى ذلك فإن أسطورة المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية لم تعد قائمة هي الأخرى أيضا، فلا آثار تدل عليها، ولا وثائق ومدونات تاريخية تتحدث عنها ولا يوجد ذكر لها ولا لإشارة أو لمحة عابرة وحيدة ويتيمة في مدونات ووثائق الأمم العملاقة القديمة كالفراعنة والكنعانيين والأشوريين والبابليين، تلك الأمم التي لم تترك صغيرة أو كبيرة حدثت في الشرق الأدنى القديم إلا وسجلتها بتفصيل ودقة في سجلاتها.

ـ فكيف تتجاهل هذه الأمم قيام دولة من الطراز الأسطوري الذي تتحدث عنه التوراة؟ إلا إذا كان قيام مثل هذه المملكة المزعومة لم يحدث أصلا في الشرق الأدنى القديم!

٥ ـ كان الوجود السكاني القديم في فلسطين العربية عبارة عن مجموعة صغيرة جدا من المستوطنات محددة المساحة، تربط بينها ممرات ضيقة وسط محيط ضخم من السكان العرب، ولم يكن لهم وجود سياسي فيها متمثلا في مملكة مزعومة، ولا حتى مدن وقرى عامرة كما يزعمون.

٦ ـ في الواقع أنه توجد هناك حقوق مكتسبة لقوميات أخرى في فلسطين العربية بسبب ظروف الغزو والاحتلال العسكري لها، فقد تعرضت فلسطين العربية على مدى تاريخها الطويل للاحتلال العسكري الأجنبي لها عشرات المرات، وكانت علاقة هؤلاء الغزاة الأجانب بها أقوى وأمتن وأطول مدة من الوجود اليهودي الأجنبي فيها، ففي

التاريخ القديم احتلها كل من الفراعنة والآراميين والحوريين والأشوريين والباليين والفرس والإغريق والرومان والصليبيين والأتراك، ويجوز لهذه الأمم المطالبة بحقوق تاريخية أيضا في فلسطين العربية استنادا إلى تاريخ قديم فيها.

ـ فلماذا يصدق العالم ما يزعمه الصهاينة فقط بأن لهم تاريخا قديما في فلسطين العربية؟

٧ ـ لقد غادر اليهود فلسطين العربية ورحلوا نهائيا عنها بمحض إرادتهم وتشتتوا في شتى أرجاء العالم قبل الاحتلال الروماني لفلسطين العربية في العام ٦٣ قبل الميلاد، وطردهم لبقايا اليهود منها، والسبب في رحيل اليهود عن فلسطين العربية بسيط جدا:

ـ إذا كان اليهود يعيشون سويا في مكان واحد؟

ـ فدماء من يمتصون إذن؟

وفي القرن الميلادي التاسع عشر، كتب المؤرخ والروائي وعالم الاجتماع الانجليزي المشهور «هـ. ج. ولز» في مؤلفه «موجز التاريخ» قائلا ما يلي:

«كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار، ومن الأول للأخر لم تكن (مملكتهم) سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسورية وأشور وفينيقية، ذلك التاريخ الذي هو أعظم وأكبر من تاريخهم».

وفي التاريخ المعاصر، فقد قال الفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه غارودي تعليقا على مزاعم الصهاينة بأن لهم حقوقا تاريخية في فلسطين العربية بقوله ما يلي:

١ ـ العبرانيين ليسوا الشاغلين الأوائل لفلسطين، لأنهم كانوا فيها من بين كثيرين غيرهم من شعوب الهلال الخصيب.

٢ ـ ولا يستطيع اليهود بحال من الأحوال المطالبة بوضع استثنائي لهم في فلسطين العربية في سياق هذا التاريخ.

٣ ـ إلا أن الصهيونية تخضع أحداث الماضي للتلاعب والتحريف المنظمين حينما لا تستبقي في الكتب المدرسية الإسرائيلية، وفي مضامين الدعاية الخارجية سوى للأوقات العابرة والنادرة التي قيض للعبرانيين أن يؤدوا دورا ما فيها.

أما عالم الآثار الإيطالي المعروف «باولو ماتييه» - رئيس بعثة جامعة روما في سورية - فقد نقلت عنه الصحف الإيطالية رده على مزاعم عالم الآثار اليهودي «إيمانويل أناتى» التي يدعي فيها أن لليهود حقوقا تاريخية في فلسطين العربية، وفي هذا السياق قال باولو ماتييه ما يلي:

١ - إن مزاعم إسرائيل في امتلاك هذه الأرض منذ ألفي عام، تؤدي إلى إزالة ألفي عام من التاريخ، فهل نستطيع أن نمحو من ذاكرة الزمن والأرض والبشر ألفي عام متواصلة من التاريخ؟

٢ - هل نستطيع أن نلغي حق ساكن الأمس واليوم، وتقتلع شعبا ضرب جذوره في هذه الأرض، لأن جد اليهود - موسى - حسب زعمهم مر مجرد مرور في فلسطين منذ ألفي عام؟

٣ - إن الرومان سكنوا فرنسة ورومانية وشمال أفريقية وسورية، وفي فرنسة كانوا رومانا أكثر من الرومان وتكلموا باللاتينية الأصلية، فهل يحق لإيطالية الإدعاء بحقها في استرجاع فرنسة والاستيلاء عليها، أو العودة إلى شمال أفريقية وسورية والادعاء بحقها فيها؟

٤ - كما سكن شعب الفايكنج الذي جاء من السويد، سهول رومه، فهل يحق للسويد اليوم أن تدعي ملكية روما؟

٥ - وسكن العرب شبه الجزيرة الأيبيرية والصين وأسبانية، فهل يحق للعرب الادعاء بملكية هذه البلاد الواسعة وراء حدودهم والعودة إلى سيادتها؟

٦ - وهل للدول الأوروبية اليوم القيام بإعلان حقها في اقتسام القارة الأمريكية لأن أجداد سكانها الحاليين هم أوروبيون، وهم الذين اكتشفوها؟

وهل يحق لأسبانية اليوم استعادة سيادتها على أمريكة اللاتينية، ولانجلترا استعادة سيادتها على الولايات المتحدة؟

٧ - لنتصور الفوضى الحدودية، والحروب الطاحنة والدمار الذي سنصل إليه، إذا قام كل منا بالمطالبة بالأرض التي سكنها يوما غابرا من أيام التاريخ أحد أجداده البعيدين، هذا إذا سلمنا بأن موسى وداود وسليمان هم أجدادهم! مع أن الأمر ليس

كذلك إطلاقا، لأن المسيح ليس بجد لكافة المسيحيين في العالم، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس جدا لكافة مسلمي العالم، (١٢٠).

ثالثا: الحجة القانونية:

أدرك هرتزل في مرحلة مبكرة من عمر الحركة الصهيونية أن مسألة الحقوق الدينية والتاريخية لليهود في فلسطين العربية ليس لها قيمة على الإطلاق من الناحية القانونية العامة والدولية، فسعى جاهدا للحصول على ما يسمى (البراءة) التي تخول الصهاينة استيطان فلسطين العربية واستعمارها استعمارا إحلاليا استيطانا تاما، وقد حذا حذوه الزعماء الصهاينة في فترة العشرين عاما الواقعة بين انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في العام الميلادي ١٨٩٧ إلى صدور تصريح أو وعد بلفور في العام الميلادي ١٩١٧، وقد تحدث ثيودور هرتزل في خطابه الافتتاحي للمؤتمر الصهيوني الأول عن ضرورة توفير الأساس القانوني لاستعمار أرض فلسطين العربية، وكان هرتزل يأمل في الحصول على هذه (البراءة) من السلطان العثماني، وتقدم هرتزل بالصيغة الرسمية لهذه البراءة للمؤتمر الصهيوني الثالث الذي عقد في العام الميلادي ١٨٩٩ حيث قال ما يلي:

«تتجه مساعينا صوب الحصول على براءة من الحكومة التركية حيث تأتي هذه البراءة في ظل سيادة صاحب الجلالة العثماني، وحين تصبح هذه البراءة في حوزتنا، شرط أن تشتمل على الضمانات القانونية العامة اللازمة، يمكننا آنذاك الشروع في استعمار عملي واسع النطاق، وسوف نجلب للحكومة التركية منافع كبرى لقاء منحها إيانا هذه البراءة» (١٢١).

ولما لم يوافق السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) على منح الصهاينة براءة استعمار فلسطين العربية، باشر الصهاينة فورا بالاتصال بدول أخرى، إضافة إلى هيئات ومنظمات مختلفة حتى توجت جهودهم بإصدار الحكومة البريطانية لتصريح بلفور في العام الميلادي ١٩١٧، أي بعد نحو عشرين عاما من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول.

وبعد نحو خمسين عاما من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، أنشأ الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، وفي مسودة الإعلان عن قيام هذه الدولة جرى عرض الأحداث التي أدت إلى قيامها على النحو التالي:

١ ـ ثيودور هرتزل هو الأب الروحي للصهيونية.

٢ ـ أعلن المؤتمر الصهيوني الأول حق الشعب اليهودي في تحقيق بعثه القومي في وطن يهودي.

٣ ـ اعتراف تصريح بلفور بهذا الحق، وأكده من جديد صك الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم.

٤ ـ اعتراف كل من التصريح والصك على صعيد دولي بالأمرين التاليين:

الأول: الصلة التاريخية بين اليهود وفلسطين.

الثاني: حق الشعب اليهودي في إعادة تأسيس وطنه القومي.

٥ ـ أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام الميلادي ١٩٤٧ مشروع التقسيم الذي يدعو إلى إقامة دولة يهودية في «أرض إسرائيل» وناشدت سكان البلد اتخاذ الخطوات الكفيلة بوضع المشروع موضع التنفيذ.

٦ ـ يؤلف اعتراف هيئة الأمم المتحدة بحق الشعب اليهودي في إقامة دولته أمرا يتعذر الرجوع عنه أو إلغاؤه.

٧ ـ إن هذا الحق هو الحق الطبيعي للشعب اليهودي في أن يكون سيد نفسه ومصيره ويصبح أمة كالأمم الأخرى في دولته السيدة!.

ومما لاشك فيه أن النقاط الصهيونية سالفة الذكر اعتبرت من ضمن الحجة القانونية التي يستند إليها الصهاينة في قيام كيانهم الغاصب في فلسطين العربية، ولكن لا يوجد في الحقيقة لليهود أي حقوق قانونية فيها سوى اتفاقيات وتصاريح أو وعود وقرارات واهية وضعيفة ذات طابع استعماري بامتياز، وحديثة نسبيا قام بوضعها وصياغة نصوصها موظفون متخلفون عقليا، وغير متوازنين نفسيا من موظفي وزارات الخارجية في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة علاوة على موظفي هيئة الأمم المتحدة، وقد اتخذ الصهاينة من هذه التصاريح والصكوك والقرارات حججا وذرائع قانونية رغم ضعفها الشديد لتبرير اغتصابهم لأرض فلسطين العربية.

والآن...

هل يوجد في جعبة الصهاينة أدلة تدعم مزاعمهم بأن لهم حقوقا تاريخية وقانونية في فلسطين العربية من ناحية القانون العام والدولي؟

في البداية يجب أن نتعرف على المقصود بالحق التاريخي، فالمقصود به التالي:

«الحق التاريخي هو الذي اكتسبه نتيجة تقادم العهد بممارسته واستعماله، والحق التاريخي يصبح حقا نتيجة مباشرته فعلا خلال حقبة تاريخية طويلة، واستعمال الحق فعلا واستمرار ذلك الاستعمال مدة طويلة هو الذي يجعل من الحق حقا تاريخيا» (١٢٢).

- فهل ينطبق هذا التعريف على حالة الصهاينة؟

- لا اعتقد ذلك!

ففي الواقع لا يتوفر لدى الصهاينة ما يدعم مزاعمهم للأسباب التالية:

١ - إن القانون الدولي العام لا يعترف بالادعاءات القائمة أصلا على أسس دينية مثل: الوعد الإلهي الأبدي وشعب الله المختار وأرض الميعاد! فإن القواعد التي يستمدها القانون الدولي منذ أوائل القرن الميلادي التاسع عشر ترجع مصادرها إلى الأعراف والمعاهدات الدولية، وليس إلى التعاليم والقواعد الدينية الخاصة.

٢ - إن علاقة اليهود فلسطين العربية لا يمكنها الاستناد إلى حجج دينية وتاريخية كالتي يروج لها الصهاينة، بل تنطبق عليهم الأحكام التي يقرها القانون الدولي من حيث فقدان الإقليم من الناحيتين التاليتين»:

الناحية الأولى: الترك والتخلي عن الإقليم بقصد الانسحاب منه والتنازل عن السيادة عليه.

والناحية الثانية: إذا وضعت دولة يدها على إقليم دولة أخرى، واستمر ذلك فترة طويلة، يسقط عن هذه الدولة التي كان لها الإقليم الحق في هذا الإقليم (١٢٣).

وبحسب القراءة الخيالية لتاريخ الشرق الأدنى، فإن الوجود السياسي لليهود في فلسطين العربية، كان نحو سبعين عاما هي فترة حكم داود وسليمان عليهما السلام، هذا إذا كان داود وسليمان عاشا في فلسطين العربية من الأساس، والأمر لا يبدو كذلك على الإطلاق، ثم إن اليهود غادروا فلسطين العربية قبل سنوات طويلة من

الاحتلال الروماني لها ترجع إلى نهاية الحكم الفارسي فيها، والفترة القصيرة جدا التي قضاها اليهود في فلسطين العربية، لا تعطيهم أي حقوق من أي نوع فيها.

أما الحجج والذرائع القانونية الواهية التي استند إليها الصهاينة في العصر الحديث لتبرير اغتصابهم لفلسطين العربية، فهي ثلاث حجج كالتالي:

أولا: تصريح بلفور.

ثانيا: صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية.

ثالثا: قرار تقسيم فلسطين العربية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وقبل صدور هذه المستندات التي خيل للصهاينة أنها حجج وذرائع قانونية بين أيديهم تخولهم اغتصاب فلسطين العربية، مهدت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية لإصدارهم باتفاقية خطيرة جدا عرفت باسم اتفاقية «سايكس ـ بيكو» ومن المفيد التعرف على هذه الاتفاقية، ونتناولها بإيجاز قبل الحديث عن الأسانيد القانونية التي منحها الغرب المسيحي للصهاينة.

اتفاقية سايكس ـ بيكو

في الوقت الذي كان فيه الجيش العربي «جيش الشريف حسين أمير مكة المكرمة» يتدخل إلى جانب الحلفاء في معارك الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) الأمر الذي كان له أكبر الأثر في انفراج الموقف العسكري لقوات الحلفاء على الجبهة الشرقية بعدما كان متعثرا في بدايات هذه الحرب وكانت بريطانيا تفكر جديا بالانسحاب من جبهة قناة السويس، وفي ذات الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية تبذل الوعود السخية للشريف حسين وتمنيه بدولة عربية مستقلة يكون هو خليفة عليها! كانت تعقد في مدينة سان بطرس بورغ الروسية مفاوضات سرية بين مارك سايكس عضو البرلمان البريطاني، وجورج بيكو سفير فرنسا السابق في بيروت، بإشراف وزير خارجية روسيا القيصرية حينذاك المدعو «سوازنوف» وبموافقة حكوماتهم بالطبع، وقد توصل هؤلاء فيما بينهم إلى تقسيم المشرق العربي بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الأولى، وقد تم الاتفاق في هذه المعاهدة أو الاتفاقية على التالي:

١ - تخضع الأراضي العراقية والفلسطينية إضافة إلى أراضي شرق الأردن للانتداب البريطاني.

٢ - توضع أراضي سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

٣ - تترك لروسيا القيصرية حرية التصرف في أراضي الدولة العثمانية المتاخمة للحدود الروسية شرقي الأناضول، وعلى جانبي مضيق البسفور، إذا ما انتصرت قوات الحلفاء على قوات المحور في الحرب العالمية الأولى.

وفي التاسع من شهر أيار /مايو من العام الميلادي ١٩١٦، أرسل سفير دولة فرنسا في لندن رسالة إلى وزير الخارجية البريطاني قال فيها ما يلي:

«أمرت أن أبلغكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخرائط الموقعة من جانب السير مارك سايكس والمسيو جورج يكو، ورضيت بالمبادئ التي دارت عليها المفاوضات بينهما.

ثم أرفق السفير الفرنسي طي خطابه المعاهدة المشار إليها، والتوزيع المسطر على الخريطة والمثبت في مواد تعطى لكل دولة منطقة نفوذ، وتحصر الاستقلال العربي الخاضع لإشراف إحدى الدول على مناطق داخلية ضيقة (١٢٤).

ومن الجدير بالذكر أن معاهدة سايكس - بيكو تعتبر لاغيه من الناحية القانونية لأنها أبرمت في الوقت الذي كانت فيه فلسطين العربية لا تزال ولاية تابعة للدولة العثمانية، ولا يجوز لأي دول أخرى كانت من كانت أن تتصرف في أراضيها سوى السلطات العثمانية.

وتبعا لمعاهدة سايكس - بيكو حرم العالم العربي من التزود بالسلاح، ومنع من أن تكون لديه قوات عسكرية متقدمة وضاربة حتى يتسنى للصهاينة اغتصاب فلسطين العربية بسهولة ويسر فيما بعد، يقول صالح مسعود بويصر ما يلي:

«والحق أن بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول الأوروبية الصليبية قد حافظت على روح اتفاقية سايكس - يكو التي نفذت بكل اهتمام، وبمقتضى هذه الاتفاقية منع السلاح عن العرب، الأمر الذي ظهرت آثاره واضحة في العام الميلادي ١٩٨٤ /

١٣٦٨ هـ. حيث استطاع اليهود جلب السلاح من أوروبا ومن أمريكا، وفي الوقت الذي منعت فيه أوروبا (إنجلترا وفرنسا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا) السلاح عن العرب، وحين باعت بعض المصانع الإيطالية كميات من السلاح للعرب، كانت علة التساهل أن السلاح كان فاسدا ومدمرا لمستعمله لا لمن يوجه إليه» (١٢٥).

وعندما فضح أمر معاهدة سايكس ـ بيكو على يد البلاشفة في روسيا عقب وصولهم إلى سدة الحكم فيها، كتب الشريف حسين أمير مكة المكرمة في الثامن من شباط /فبراير من العام الميلادي ١٩١٨، للحكومة البريطانية يستفسر فيها عن هذه الاتفاقية، فأرسلت الحكومة البريطانية بخطاب تخبره فيه أن شيئا من هذا لم يحدث، وأن مثل هذه الاتفاقية لا وجود لها، وأن تلك الصورة المنشورة كانت مجرد مباحثات ومحادثات قبل قيام الحرب العالمية الأولى!

ـ وصدق الشريف!!!.

أما الحجج والذرائع القانونية الحديثة والزائفة التي لجأ إليها الصهاينة واستغلوها في اغتصاب فلسطين العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، إضافة إلى القوة العسكرية الغاشمة ضد شعب مسالم وأعزل، فهي كالتالي:

أولا: تصريح بلفور

قبل انتهاء العمليات العسكرية في الحرب العالمية الأولى، وفي اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني /نوفمبر من العام الميلادي ١٩١٧، وهو اليوم ذاته الذي استطاعت فيه قوات الحلفاء بقيادة الجنرال «اللنبي» هزيمة القوات العثمانية ـ الألمانية المشتركة وتدمير خط الدفاع العثماني الأول في معركة مدينة غزة الفلسطينية، أصدر وزير الخارجية البريطاني حينذاك اللورد «أرثر جيمس بلفور» تصريحه أو وعده المشهور، وبعث به إلى زعيم الطائفة اليهودية في بريطانية وقتئذ اللورد «روتشيلد» يبلغه فيه بموافقة الحكومة البريطانية على مشروع إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين العربية، علما بأن اللورد بلفور صاحب هذا التصريح لم يكن يهودي الديانة، وفور صدور تصريح بلفور، سر الصهاينة وابتهجوا وعبروا عن فرحتهم الغامرة صدور هذا التصريح لأنهم اعتبروه أول مستند قانوني بين أيديهم يخولهم حق استعمار فلسطين العربية واستيطانها، واعتبروه

بمثابة «البراءة» التي طالما سعوا إليها منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في العام الميلادي ١٨٩٧، وتأسيس الحركة الصهيونية السياسية الهرتزلية، وباشروا في السعي للحصول على اعتراف رسمي دولي بهذا التصريح.

وكما هو الحال في معاهدة سايكس ـ بيكو، فإن فلسطين العربية كانت وقت إصدار تصريح بلفور لا تزال تحت الحكم العثماني وتابعة في جزء منها لولاية الشام الكبرى، أما الجزء الآخر فكان تابعا لولاية بيروت العثمانية، وبالتالي لا يحق لأحد كائن من كان أن يتصرف بأرضها بوعد منح أو وهب، كما وأن بريطانيا لم تحاول إجراء أي استفتاء بين أبناء الشعب العربي الفلسطيني لمعرفة رأيه فيما تخطط له بالنسبة لبلاده، فقد تم إعداد وإصدار تصريح بلفور دون علمه ومعرفته.

وتصريح بلفور لا يزيد عن كونه تصريحا من طرف واحد تعهدت فيه دولة «بريطانيا» لم يكن لها أي حق في فلسطين العربية أبان صدور التصريح، بمنح أرضها لطرف ثان هو «الصهاينة»، والتي لا يملك هذه الأرض أحد من الطرفين، وإنما تخص طرفا ثالثا هو الشعب العربي الفلسطيني، وفي الواقع أن تصريح بلفور هو اتفاق بين طرفين غير مؤهلين قانونيا، كما وأن الصهاينة مثلوا الدور الأكبر في كتابة وإعداد هذا التصريح وصياغته الصيغة النهائية (١٢٦).

وفي الواقع أنه قد اختلفت وتعددت دوافع بريطانيا في إصدار تصريح بلفور، فهناك رأي يعتقد أن إصداره كان مصلحة إستراتيجية بريطانية لحماية المصالح البريطانية في المنطقة العربية إذا ما قامت فيها دولة يهودية، ورأي آخر يقول إنه كان مكافأة لليهود لاشتراك فيلق عسكري يهودي في معارك الحرب العالمية الأولى!

ولكن...

ألم يشترك جيش عربي بأكمله هو جيش الشريف حسين بن علي في معارك تلك الحرب؟ دون الحصول على أي مكافأة!!

وهناك رأي ثالث يقول إن إصدار تصريح بلفور كان مكافأة للزعيم الصهيوني الكيميائي «حاييم وايزمان» لتمكنه من استخراج مادة «الأسيتون» المهمة جدا في صناعة الذخائر الحربية من الحبوب المتوفرة بكميات كبيرة في بريطانيا مثل حبوب الذرة، وذلك بعد توقف تصدير مادة الأسيتون من الولايات المتحدة إلى بريطانيا بسبب ازدياد نشاط

وخطر الغواصات الألمانية التي كانت تجوب البحار والمحيطات بحثا عن أهداف بحرية للحلفاء.

وهناك اعتقاد من نوع آخر عن تصريح بلفور، وهو حقا رأي مهم ومثير، وهو أن الولايات المتحدة هي صاحبة هذا التصريح، أي أنه كان مصلحة وإرادة أمريكية بالدرجة الأولى، إلا أن الحكومة البريطانية تكلفت بإصدار ومتابعة تنفيذه نيابة عن الولايات المتحدة، وإذا ما صدق هذا الرأي رغم وجاهته لا يلغي إطلاقا المصالح البريطانية من إصداره.

ثانيا: صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية:

بعد احتلال القوات البريطانية خلال معارك الحرب العالمية الأولى لفلسطين العربية في العام الميلادي ١٩١٨، وضعتها تحت إشراف القيادة العسكرية البريطانية في الشرق الأوسط التي كان مقرها في مدينة القاهرة المصرية، وكان يرأسها الجنرال اللنبي، وبعد ذلك استبدلت بريطانيا حكمها العسكري لفلسطين العربية بإدارة مدينة وضعت على رأسها الصهيوني البريطاني المخضرم «هربرت صموئيل»، وفي العام الميلادي ١٩٢٢، أصدرت الحكومة البريطانية صك الانتداب على فلسطين العربية، ووضع هذا الصك حيز التنفيذ في العام الميلادي ١٩٢٣، ويعتبر صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية بمثابة الدستور الذي حكمت بريطانية فيه هناك طيلة استعمارها لها (١٩١٨ - ١٩٤٨)، وبموجب هذا الصك، وضعت الحكومة البريطانية فلسطين العربية في ظروف سياسية واقتصادية وإدارية أدت في نهاية المطاف إلى تهويدها وإقامة الوطن القومي اليهودي فيها.

وكما حدث في معاهدة سايكس - بيكو فإن الحكومة البريطانية لم تقم باستشارة الشعب العربي الفلسطيني فيما إذا كان يقبل أن تقوم دولة بريطانية بالانتداب عنه أو لا؟

كما ونصت مبادئ عصبة الأمم حينذاك، فقد ورد في الفقرة الأولى من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم ما يلي:

«وتختلف طبيعة هذه الوصاية باختلاف درجات هذه الشعوب في التقدم، وباختلاف موقعها الجغرافي وأحوالها العمرانية وما أشبه ذلك من الظروف، ولما كانت

بعض الشعوب الصغيرة التي كانت ضمن السلطة العثمانية قد بلغت من الرقي درجة يمكن أن يعترف مؤقتا بكونها مستقلة شرط أن تسترشد ولما كانت بعض الشعوب الصغيرة التي كانت ضمن السلطة العثمانية قد بلغت من الرقي درجة يمكن أن يعترف مؤقتا بكونها مستقلة شرط أن تسترشد إدارتها بنصائح مستمرة تستمدها من دولة منتدبة إلى أن تصبح أهلا للسير وحدها، على أن تحل رغبة هذه الشعوب باختيار الدولة المنتدبة محلها من الاعتبار».

ولكن الحكومة البريطانية ضربت عرض الحائط بالمادة رقم (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم، مع أنه جرى وضع صكوك الانتداب لكل من سورية ولبنان والعراق مع مراعاة الأسس التي تنص عليها المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم، وهذا يدل على أن الحكومة البريطانية كانت تسير قدما في تنفيذ تصريح بلفور وتحويل فلسطين العربية إلى الوطن القومي اليهودي.

ثالثا: قرار تقسيم فلسطين:

أما ثالث مستند قانوني الذي اتخذه الصهاينة وهم في طريقهم لاغتصاب فلسطين العربية فهو قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية وأخرى يهودية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرخ بتاريخ التاسع والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر من العام الميلادي ١٩٤٧، وبموجب هذا القرار خصص للدولة العربية ٤٥٪ من المساحة الكلية لفلسطين العربية، في حين حصلت الدولة اليهودية على مساحة أل ٥٥٪ المتبقية، ويعتبر إقدام الجمعية العامة للأمم المتحدة على إصدار قرار تقسيم فلسطين العربية مخالفا لجميع الأسس الديموقراطية المعروفة، فهذا القرار أتخذ دون استشارة الشعب العربي الفلسطيني، ودون أخذ موافقته على ما تخطط له الجمعية العامة للأمم المتحدة، والأدهى من ذلك أن الجمعية العامة للأمم المتحدة غير مؤهلة أصلا لإصدار قرارات بتقسيم الدول.

ويعتبر قرارها بتقسيم فلسطين العربية غير ملزم من الناحية القانونية.

ولقد جرى التصويت داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين العربية، وجاءت النتيجة لصالحه بأغلبية ٣٣دولة، واعترضت عليه ١٣دولة، في حين

امتنعت عشر دول عن التصويت كان من بينها دولة بريطانيا!!، وقد مارست الولايات المتحدة ضغوطا شديدة على الوفود المشاركة في التصويت، وأغرتهم بالهدايا الثمينة والرشاوى المالية الضخمة ليصلوا لصالح تقسيم فلسطين العربية.

وبعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى التي جرت في العام الميلادي ١٩٤٨، لم يكتف الصهاينة بالاستيلاء على نسبة أل ٥٥٪ من الأراضي الفلسطينية التي خصصها لهم قرار التقسيم، وإنما استطاعوا فرض سيطرتهم على ما نسبة ٧٦,٤٪ من المساحة الكلية لأرض فلسطين العربية، وفي الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة التي دارت رحاها في العام الميلادي ١٩٦٧، استطاع الصهاينة الاستيلاء على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية (الضفة الفلسطينية لنهر الأردن وقطاع غزة)، وبذلك يكونون قد استولوا على أرض فلسطين التاريخية جميعها، ولا تزال تلك الأراضي تحت السيطرة الإسرائيلية التامة بالرغم من قرارات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي بالانسحاب منها.

دولة إسرائيل الحالية

كثيرة هي الأوصاف التي يصف بها الصهاينة كيانهم الغاصب الحالي في فلسطين العربية، فهم يسوقون له على سبيل المثال بأنه دولة قومية ودولة دينية فضلا على أنه دولة حضارية في الشرق المتخلف، ودولة ديموقراطية في الشرق الديكتاتوري إلى آخر هذه السلسلة من الأوصاف الرنانة الزائفة، حيث أن جميع الأوصاف التي يصف بها الصهاينة كيانهم الغاصب في فلسطين العربية عارية عن الصحة، وبعيدة كل البعد عن الحقيقة والواقع ولا تمت لهما بصلة، وسوف نتناول بإيجاز هنا بعض الأوصاف التي يصف بها الصهاينة كيانهم الغاصب الجاثم على صدر فلسطين العربية وندحضه، وإظهار الوجه الحقيقي البشع لهذا الكيان.

أولا: إسرائيل ليست دولة قومية

في الواقع أن دولة إسرائيل الحالية ليست دولة قومية وليدة عصر القوميات الذي كان سائدا في أوروبة خلال القرن الميلادي التاسع عشر، وبخاصة في دولة ألمانية،

وكان ثيودور هرتزل ـ الأب الروحي للصهيونية تابعا للتشكيل الثقافي الجرماني، وكان مقتنعا بل ومتشعبا بأفكاره القومية، وإذا كانت صفة القومية من الممكن إطلاقها على المجتمع الألماني، فإن هذا لا ينطبق على حالة الصهاينة، فدولة إسرائيل الحالية ليست دولة قومية على الإطلاق، وذلك لافتقار الجماعات التي تمثلها هذه الدولة لمقومات القومية المتعارف عليها، فالصهاينة في الحقيقة جاؤوا إلى فلسطين العربية من أكثر من مائة دولة، وينتمون إلى عشرات القوميات، وأتوا إليها من خلفيات أثنية ولغوية وثقافية وحضارية وتاريخية متعددة متباينة وغير متجانسة بالمطلق، ولا يجمع بينهم سوى انتمائهم بدرجات متفاوتة لديانة واحدة هي الديانة اليهودية، ولا يكفي تجميع جميع هؤلاء في مكان واحد لإضفاء صفة القومية عليهم.

ثانيا: إسرائيل ليست دولة دينية

ودولة إسرائيل الحالية ليست دولة دينية، ولا هي امتداد لدولة إسرائيل التوراتية، لأن دولة إسرائيل التوراتية لم تقم أساسا في فلسطين العربية، وإنما في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، هذا إذا ما أنشأت هذه الدولة أصلا في التاريخ القديم، ودولة إسرائيل الحالية لم تنشأ في الأساس على معطيات دينية ولا تنفيذا للنبوءات التوراتية الزائفة، فالنبوءات التوراتية المزعومة حدثت في التاريخ القديم بعودة اليهود من الأسر البابلي إلى موطنهم الأصلي الواقع في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، وإنما أنشأ هذا الكيان الغاصب على شتى أصناف وأنواع وألوان الغش والخداع والتزوير، فضلا على القوة العسكرية المفرطة ضد شعب أريد له أن يكون أعزلا،

وفي الواقع أن الغالبية العظمى من الصهاينة في المجتمع الإسرائيلي الحالي هم من العلمانيين غير المتدينين وربما حتى يكونوا ملحدين أيضا، وفي الواقع إن الذين ينتمون للأحزاب الدينية الإسرائيلية منهم يشكلون شرائح ضيقة من أفراد المجتمع الإسرائيلي، الأعضاء على سبيل المثال في الحزب القومي الديني «المقدال» الذي تأسس في العام الميلادي ١٩٦٥ باتحاد حركتي همزراحي وبوعالي همزراحي، وحزب حراس التوراة الشرقيين «شاس» الذي نتج عن خروج اليهود الشرقيين عن حزب أغودات إسرائيل كما هو الحال في حزب «تامي» الذي انشق عن حزب المقدال، إلا أن بعض الأحزاب

والجماعات الدينية اليهودية معارضة للصهيونية مثل حزب «أغودات إسرائيل» وجماعة ناطورى «كارطا».

ثالثا: إسرائيل ليست دولة حضارية

يزعم الصهاينة أن كيانهم الغاصب في فلسطين العربية هو دولة حضارية في الشرق المتخلف!

ـ فما هي الحضارة؟

في الحقيقة أن هناك عدة تعاريف تبدو متشابهة للحضارة نختار منها التالي:

١ ـ فالفيلسوف الفرنسي الكبير «ول ديورانت» يعرف الحضارة كما يلي:

«الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في انتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عدة عناصر رئيسية هي الموارد الاقتصادية. والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية والعلوم والفنون».

ويضيف ديورانت:

«إن الحضارة تبدأ حينما تنتهي عصور القلق والاضطراب، أي إنها تبدأ في اللحظة التي يتخلص فيها من الخوف الكامن بداخله، وبالتالي تتحرر فيه دوافع التطلع للأمام، وتتدفق فيه عوامل الإبداع».

٢ ـ أما «هيجل» فيعرف الحضارة بأنها:

«مجموعة الحياة الموضوعية التي تنظم حياة مجموعة معينة من البشر، وهي نتاج الترابط بين الإنسان نفسه بصفته عضوا في المجتمع، وتفاعله مع البيئة البشرية والجغرافية من حوله، وينتج عن هذا الترابط والتفاعل شكلا معينا للحياة في إطار إقليم جغرافي معين، ويتحدر هذا الشكل بواسطة أفكار ودوافع ومبادئ وقيم معينة تعمل في ترابط وانسجام تامين».

٣ ـ وفي منتصف القرن الميلادي التاسع عشر عرف «غوستاف كليم» الحضارة بقوله:

«الحضارة هي مجموعة العادات والمهارات والديانة، والنظم السياسية والاقتصادية

والقانونية، إضافة لأوجه الحياة العامة في السلم والحرب، وتظهر الحضارة من خلال نقل تجارب الماضي جيلا بعد جيل».

- فأين موقع اليهود القدماء، ويهود اليوم من الحضارة؟

آ ـ اليهود القدماء:

يتفق معظم المؤرخين الباحثين والمفكرين على أن ثقافة وحضارة اليهود القدماء كانت ثقافة وحضارة متواضعة جدا، وأقل بكثير من المستوى العادي، وليس كما يحاول صهاينة اليوم تصويرها على أنها كانت حضارة رائدة وعملاقة، وفي الواقع أن أكثر معارف اليهود القدماء كانت مقتبسة من معارف الشعب العربي الكنعاني في أرض كنعان التوراتية الواقعة في جنوب غرب شبه جزيرة العرب، وإضافة إلى ذلك فإن اليهود القدماء لم يقدموا شيئا ذا قيمة للتاريخ الإنساني، ولم يتميزوا بمميزات بارزة ورفيعة المستوى، وإذا ما اعتبر البعض أن كتاب العهد القديم الذي قدمه اليهود للفكر الإنساني، فإن هذا الكتاب لم يدونه اليهود القدماء إطلاقا، وإنما دون أثناء الأسر البابلي واستمرت عمليات تحريره وتدوينه حتى عصور حديثة نسبيا، يقول المؤرخ «هنري جيمس بريستيد» ما يلي:

«ولا يخفي أن مدن الكنعانيين كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف وخمسمائة عام، ولديهم منازل متقنة حوت كثيرا من أسباب الراحة والرفاهية، وحكومة وصناعة وتجارة ومعرفة بالكتابة وديانة وحضارة اقتبسها هؤلاء العبرانيون السذج من الكنعانيين، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم، وقد أحدث اختلاط الطرفين تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم، سكن الخيام وشرعوا يبنون بيوتا كالكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية، ولبسوا عوضا عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية، وبعد زمن معين، لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين ممكنا في المظهر الخارجي ولا في المهنة ولا أسلوب المعيشة، لأنهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون إلى أمريكية هذه الأيام عادات الأمريكان وأخلاقهم وملابسهم» (١٢٧).

ويقول المؤرخ «فيليب حتي» ما يلي:

«ظل الناس حتى الفترة الأخيرة يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون للحضارة العبرية، واللغة والفنون وفن العمارة والأدب والزراعة والصناعة» (١٢٨).

ويقول الدكتور «سليم حسن» ما يلي:

«وقد نتج عن الاختلاط من جهة التزاوج والزراعة مع السكان الأصليين، أن أخذ العبرانيون من الكنعانيين الشعائر الدينية والعادات التي كان يعدها السكان الجدد ضرورة للخصب وضمان المحاصيل الطيبة، ومعنى ذلك أن العبرانيين قد اتخذوا مجموعة عظيمة من الشعائر والأحفال بما في ذلك تقديس العمد الخشبية التي تدعى (العشيرة) والمرتفعات وغيرها، ولا نزاع أن رقص داود أمام التابوت ليس إلا صدى للرقص الكنعاني الخاص بالخصب، ولا تزال بقايا هذا الرقص حتى يومنا هذا عند الدراويش» (١٢٩).

ويقول المؤرخ أنيس فريحه ما يلي:

«إن كثيرا من عناصر الحضارة الكنعانية حتى اللسان الكنعاني الذي أصبح لغة اليهود الرسمية، أصبحت جزءا لا يتجزأ من الحضارة اليهودية رغم عدائهم لها» (١٣٠).

ب ـ حضارة اليهود المعاصرون

واليهود المعاصرون فمن الممكن تقسيمهم إلى قسمين:

ـ قسم يعيش بصفة دائمة في الدول الأوروبية المختلفة والولايات المتحدة وغيرها، وهؤلاء في الواقع ينتمون أساسا للتشكيل الثقافي والحضاري الأوروبي والأمريكي والدول الأخرى التي يعيشون فيها.

ـ وقسم آخر يعيش داخل الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين العربية، فهؤلاء يتبعون للتشكيل الثقافي والحضاري للدول التي هاجروا منها إلى فلسطين العربية، فاليهود الغربيون «الأشكناز» هم أبناء الثقافة والحضارة الغربية، أما اليهود الشرقيون «السفارد» فهم أبناء الثقافة والحضارة الشرقية الخاصة بالدول الشرقية التي هاجروا منها إلى فلسطين العربية، وهي في معظمها دول عربية وإسلامية.

والحضارة الإسرائيلية الحالية هي حضارة مادية بحتة دون أي وجه روحي وإنساني وأخلاقي، وتعتمد هذه الحضارة أساسا على ما يقدمه العالم المسيحي الغربي من إمدادات مادية وسياسية وعسكرية وتكنولوجية لهذا الكيان، فضلا على الدعم المعلوماتي والاقتصادي والإعلامي والاستخباراتي، ففي الحقيقة إنه لا يوجد للصهاينة ثقافة وحضارة يتميزون بها سوى ثقافة وحضارة العدوان والقتل والتدمير والإرهاب.

رابعا: إسرائيل ليست دولة ديموقراطية

ودولة إسرائيل الحالية ليست دولة ديموقراطية على النمط الغربي كما يزعم الصهاينة، ولا هي واحة للديموقراطية في الشرق الديكتاتوري، فالديموقراطية ليست في الواقع تبديل الوجوه التي تجلس على قمة هرم السلطة في بلدانها عن طريق صناديق الاقتراع، وإنما الديموقراطية هي مدى التزام السلطات الحاكمة باحترام إنسانية شعوبها وإعطائها حقوقهم الكاملة بغض النظر عن قوميات مواطنيها ودياناتهم وميولهم واتجاهاتهم في جميع المجالات، والحال في الحقيقة ليست كذلك في الكيان الصهيوني، إذ أن هناك تفرقة عنصرية خطيرة بين المكونات الأساسية للمجتمع الإسرائيلي الحالي، فاليهود الغربيون «الأشكناز ـ الأشكنازيم» تجري الأمور لصالحهم ضد اليهود الشرقيين «السفارد ـ السفارديم» في جميع المجالات، رغم أنه ورد في وثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل الحالية، إن دولة إسرائيل ستكون مفتوحة أمام هجرة يهود العالم، وإنها ستضمن المساواة التامة في الحقوق الاجتماعية والسياسية لجميع مواطنيها دون التمييز بينهم بسبب المعتقد أو العرق أو الجنس.

ليس هذا وحسب بل هناك تفرقة وتمييز عنصري ضد العرب داخل الكيان الصهيوني والذين يشكلون نحو ٢٠٪ من العدد الكلي لسكان هذا الكيان، بالرغم من أن وثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل دعت العرب داخلها للقيام بدورهم في تطوير الدولة على أساس المساواة التامة في المواطنة!

خامسا: إسرائيل الحالية دولة استعمارية

ودولة إسرائيل الحالية دولة استعمارية امتياز، وهي في الواقع وليدة عهد الاستعمار القديم وهو في نزعة الأخير، وأبلغ دليل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها الأب

الروحي للصهيونية «ثيودور هرتزل» إلى التاجر الاستعماري «سيسل رودس» مؤسس دولة جنوب أفريقية، يستشيره فيها إذا ما كان يوافق على مشروعه الاستعماري في فلسطين العربية، ووجه هرتزل في رسالته سؤالا لرودس: لماذا يسأله هو بالذات، وأجاب هرتزل عن سؤاله بقوله «لأن مشروعي في فلسطين العربية هو مشروع استعماري أيضا!!»

سادسا: إسرائيل دولة عنصرية

ودولة إسرائيل الحالية دولة عنصرية من طراز أول، وتمارس التمييز والتفرقة العنصرية في أبشع صورها بحق المكونات البشرية الرئيسية التي تشكل منظومة المجتمع الإسرائيلي وخصوصا ضد العرب واليهود السفارد، وكان يجب على المجتمع الدولي أن يعامل الكيان الصهيوني كما عامل نظام التفرقة العنصرية والفصل العنصري الساق البائد في دولة جنوب أفريقية.

سابعا: إسرائيل دولة إرهابية

ودولة إسرائيل الحالية هي دولة إرهابية بل وتتربع هي الولايات المتحدة على قمة هرم الإرهاب العالمي، إذ إن الكيان الصهيوني يمارس الإرهاب المنظم يوميا على مستوى الدولة والأفراد ضد الشعب العربي الفلسطيني في الأراضي العربية المحتلة بحجج وذرائع تافهة وأبسط ما توصف به أنها نكات سخيفة، وما يجري في الوقت الراهن من إرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني في الأراضي المحتلة هو خير شاهد على ذلك، فالحرب القذرة التي تشنها في هذه الأيام الآلة العسكرية الإسرائيلية على قطاع غزة بهدف القضاء على حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ومنع إطلاق الصواريخ المتواضعة من قطاع غزة نحو البلدات الإسرائيلية الجنوبية هي في الأصل بلدات عربية، وعمليات القمع والتنكيل والقتل اليومي بل والإبادة الجماعية والتطهير العرقي لأبناء الشعب العربي الفلسطيني، وحصاره وتجويعه، أليس هذا وحسب، بل طال الإرهاب الصهيوني اليهود أنفسهم، وقصة إرهاب الصهاينة ليهود العراق قصة معروفة في التاريخ المعاصر، وكذلك قصة إرهاب الغنى الإسرائيلي السابق في مفاعل ديمونة المدعو «مردخاي فاعنونو» هي قصة معروفة هي الأخرى.

ثامنا: إسرائيل دولة عدوانية توسعية

ودولة إسرائيل الحالية دولة عدوانية توسعية قامت على أسس عسكرية بحتة، واعتمدت سياسة العدوان والتوسع والامتداد الجغرافي منهجا وأسلوبا لها، فهي لم تكتف بما اغتصبته من الأراضي العربية في العام الميلادي ١٩٤٨، وإنما تطمح دائما في ابتلاع المزيد من الأراضي العربية عن طريق الحرب الوقائية كما حدث في الحرب العربية ـ الإسرائيلية الثالثة في العام الميلادي ١٩٦٧.

٦

الملاحق

ملحـــق رقـــم (١)
وثيقة إعلان استقلال دولة إسرائيل
فـــي ١٤ أيـار/مـايـــو ١٩٤٨

كانت أرض إسرائيل محل ميلاد اليهود، ففيها ذاتيتهم الروحية والمدنية والوطنية، وفيها حققوا استقلالهم وخلقوا ثقافتهم ذات الأهمية الوطنية والعمالية، وفي هذه الأرض كتبوا الإنجيل وقدموه للعالم، وبقوا مخلصين لهذه الأرض رغم طردهم منها وتفرقهم في أصقاع العالم فلم ينقطعوا عن الصلاة لها ولم يضعف أملهم في العودة إليها، ولم يفتر إيمانهم في استرداد حريتهم الوطنية فيها مدفوعين بهذه الرابطة التاريخية.

بقي النضال اليهودي مستمرا طيلة السنين لتحقيق العودة لأرض آبائهم واستعادة دولتهم، وقد عادوا إليها في العقود الأخيرة بجموع غفيرة، فقاموا بإصلاح الصحاري، وأحيوا لغتهم، وعمروا المدن والقرى، وأسسوا فيها مجتمعا قويا ناميا ذا حياة اقتصادية وثقافية، وكانوا دعاة سلم دون أن يتخاذلوا عن حماية أنفسهم، محضرين معهم نعم التقدم لسكان البلاد جميعا.

وفي عام ١٨٩٧ تراءت لثيودور هرتزل الدولة الصهيونية في فلسطين، فأعلن عندها حق الشعب اليهودي في خلق وطنهم القومي في فلسطين.

وقد اعترف لهم وعد بلفور الصادر في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧ بهذا

الحق، ثم جاء انتداب عصبة الأمم مؤكدا له، فكان بمثابة اعتراف دولي ضمني لعلاقة الشعب اليهودي بفلسطين وحقهم في إنشاء الوطن القومي.

وقد أثبت الإرهاب النازي مرة أخرى شدة الحاجة للدولة اليهودية بعد أن حاق بالملايين منهم الشيء الكثير، هذه الدولة التي تحل مشكلة تشرد هذا الشعب وذلك بجمعها بيهود العالم وجعلهم في مصاف الشعوب الأخرى، وقد أعلن اليهود الناجون من نكبة أوروبا وغيرهم من يهود العالم حقهم في الحياة الكريمة الحرة العاملة البعيدة عن المصائب والصعاب، وعلى هذا الأساس استمروا يسعون للدخول إلى فلسطين.

ولقد قدم الشعب اليهودي نصيبه كاملا خلال الحرب العالمية الثانية مع غيره من الشعوب المحبة للحرية في النضال ضد البلاء النازي، وقد أكسبتهم تضحيات جنودهم وجهود عمالهم الحق في أن يكونوا متساوين مع الشعوب التي أوجدت الأمم المتحدة.

وقد تبنت الأمم المتحدة قرار تأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين في ٢٩ - ١١ ـ ١٩٤٧، ودعت السكان لاتخاذ الإجراءات الضرورية لتنفيذه.

واعتراف الأمم المتحدة بحق اليهود بتأسيس دولة مستقلة، اعتراف لا يقبل الفسخ، وبالإضافة إلى أنه حق صريح للشعب اليهودي في أن يعيش في دولة ذات سيادة كغيره من الشعوب العالم.

وعليه فنحن أعضاء المجلس الوطني الممثل لليهود في فلسطين وللحركة الصهيونية في العالم الموجودين في اجتماع اليوم المقدس يوم انتهاء الانتداب البريطاني، نعلن هنا بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي، وبموجب قرار الهيئة العامة للأمم المتحدة، تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين وتسمى «إسرائيل» ونعلن أيضا أنه اعتبار من منتصف ليل ١٤ أيار/مايو ١٩٤٨ حيث ينتهي الانتداب وإلى أن تقوم المنتخبة للدولة وفق دستور يوضع من قبل جمعية تأسيسية بتاريخ لا يتجاوز الأول من تشرين الأول /أكتوبر ١٩٤٨، فسيبقى المجلس الوطني يعمل كأداة مؤقتة، ويقوم بتشكيل حكومة مؤقتة لدولة إسرائيل.

وستفتح الدولة أبوابها لجميع يهود العالم، وسنسير بتطوير البلاد وفقا لمصلحة جميع سكانها على أسس العدل والحرية والسلام التي بشر بها أنبياء اليهود، وستحافظ

الدولة على المساواة السياسية والاجتماعية بين جميع المواطنين دون تمييز بين عرق أو مذهب أو جنس، وستضمن حرية التعبير والعبادة والتعليم والثقافة، وتحافظ على قداسة وحصانة جميع المعابد في الأماكن المقدسة لجميع الأديان، وتكريس نفسها لخدمة مبادئ الأمم المتحدة.

وتعلن دولة إسرائيل استعدادها للتعاون مع جميع منظمات وممثلي الأمم المتحدة لتنفيذ قرارها المتخذ في ٢٩ - ١١ - ١٩٤٧، وتتخذ الخطوات اللازمة لتحقيق الوحدة الاقتصادية لجميع فلسطين.

وإننا نرجو من الأمم المتحدة أن تساعد الشعب اليهودي في بناء دولته، وأن تقبل إسرائيل ضمن عائلة الأمم.

وفي غمرة هذا العدوان السافل ندعو عرب دولة إسرائيل ليشاركوا سلميا في بناء الدولة متمتعين بحقوقهم كمواطنين وممثلين في جميع المجالس المؤسسات المؤقتة والدائمة.

وإننا نعرض السلم والوحدة على جميع الدول المجاورة وشعوبها، وندعوهم ليتعاونوا مع الأمة اليهودية المستقلة بما فيه صالح الجميع.

ونناشد الشعب اليهودي في جميع أنحاء العالم أن يلم الشمل، ويقف إلى جانبنا لمؤازرة الهجرة وبناء الدولة، وأن يعمل معنا في النضال الكبير من أجل تحقيق حلم الأجيال - حلم إحياء إسرائيل - وبعد اتكالنا على الله القدير، نعلن تصديق هذه الوثيقة وذلك في اجتماع المجلس المؤقت لدولة إسرائيل المنعقد بمدينة تل أبيب في مساء الخامس من أيار ٧٥٠٨ - الرابع عشر من أيار ١٩٤٨.

من هذا القرار التاريخي نحصل على السرور والربح.

هذا السند وثيقة من أهم الوثائق التاريخية لجميع الأزمنة، فهو يشير إلى تحقيق النبوءة الإنجيلية، ويشير أيضا إلى نهاية سير شعب لمدة خمسة آلاف سنة نحو مصيره، وليس هناك من مثيل ذلك.

سيمد هذا السند التقدم الفعال في أحدث الديموقراطيات وأسرعها نموا بالقوة اللازمة لتستمر في سيرها، وبفضل هذا السند ستتسع مشاريع الري ومصانع الفولاذ

والألمنيوم، وستزداد مساحة الأرض المزروعة، وستبنى موانئ جديدة ودور ومصانع حديثة.

وبفضله أيضا سيتمكن شعب إسرائيل الحر ومئات الألوف الذين سينتظرون العودة أن يعيشا حياة منتجة، وفضل هذا المستند التاريخي إنما توظف أموالك لتعطيك ربحا حسنا، وبقيامك بهذا العمل إنما تحصل لقلبك وروحك على ربح ضخم جدا، وكلما أسرعت بالشراء، إنما تجعل إسرائيل تسرع بتحقيق هدفها في الاستقلال الاقتصادي.

ملحق رقم (٢)

إعلان استقلال فلسطين في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة بتاريخ ١ ـ ١٠ ـ ١٩٤٨

بناء على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال، هذا الحق المقدس الذي بذل في سبيله أزكى الدماء، وقدم من أجله أكرم الشهداء، وكافح من دونه قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وحالت بينه وبين التمتع به، فإننا نحن أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة هاشم نعلن هذا اليوم الواقع في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٧٦، الموافق أول تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٤٨ استقلال فلسطين كلها التي يحدها شمالا سورية ولبنان، وشرقا سورية وشرق الأردن، وغربا البحر الأبيض المتوسط، وجنوبا مصر استقلالا تاما، وإقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم، وتسير هي وشقيقاتها الدول العربية متآخية في بناء المجد العربي وخدمة الحضارة الإنسانية مستلهمين في ذلك روح الأمة وتاريخها المجيد، مصممين على صيانة استقلالنا والذود عنه، والله تعالى على ما نقول شهيد.

ملحق رقم (٣)

قرار مجلس الأمة الأردني بالموافقة على وحـدة الضـفـتـين ٢٦ ـ ٤ ـ ١٩٥٠

١) تأييد الوحدة التامة بين ضفتي الأردن الشرقية والغربية، واجتماعها في دولة واحدة هي المملكة الأردنية الهاشمية، وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين، وذلك على أساس الحكم النيابي الدستوري، والتساوي في الحقوق والواجبات بين المواطنين.

٢) تأكيد المحافظة على كامل الحقوق العربية في «فلسطين» والدفاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة، وبملء الحق وعدم المساس بالتسوية النهائية لقضيتها العادلة في نطاق الأماني القومية، والتعاون العربي والعدالة الدولية.

٣) رفع هذا القرار الصادر عن مجلس الأمة بهيئته الأعيان والنواب الممثل لضفتي الأردن إلى جلالة الملك عبد الله بن الحسين، واعتباره نافذا حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي.

٤) إعلان وتنفيذ هذا القرار من حكومة المملكة الأردنية الهاشمية حال اقترانه بالتصديق الملكي السامي، وتبليغه إلى الدول العربية الشقيقة والدول الأجنبية الصديقة بالطرق الدبلوماسية المرعية.

وتوجه أعضاء مجلس الأمة إلى قصر رغدان، وعرضوا على الملك عبد الله قرارهم

التاريخي فقال لهم: أشكر لمجلس الأمة ثقته، أما وقد صدر هذا القرار فلا يسعني إلا قبول إرادة الأمة، وصادق على القرار، وتولى وزير الخارجية «محمد الشريقي» تبليغه إلى الدول العربية والأجنبية.

ملحق رقم (٤)

عدد اللاجئين الفلسطينيين
في حرب عام ١٩٤٨ (١٣١)

إن إحدى نقاط الخلاف الرئيسية بين إسرائيل والعرب كانت وما زالت: عدد العرب الفلسطينيين الذين أصبحوا لاجئين خلال حرب عام ١٩٤٨ أو بسببها.

لقد اعتاد الناطقون العرب منذ عام ١٩٤٩ تحديد الرقم ٩٠٠٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠٠٠ لاجئ فلسطيني، بينما تحدث الناطقون الإسرائيليون عن ٥٢٠٠٠٠ لاجئ تقريبا، بينما حدد وفد الاستطلاع الاقتصادي التابع للأمم المتحدة، ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى «أونروا» التابعة للأمم المتحدة أيضا عدد اللاجئين الفلسطينيين بـ ٧٢٦٠٠٠ لاجئا، وهنالك أرقام لأعداد اللاجئين الفلسطينيين تقع بين ما تقوله الدول العربية وما تقوله إسرائيل فمثلا: في شباط /فبراير ١٩٤٩ قدر البريطانيون عدد اللاجئين الفلسطينيين ـ ٨١٠٠٠٠ نسمة منهم ٢١٠٠٠٠ في قطاع غزة، ٣٢٠٠٠٠ في الضفة الغربية، ٢٨٠٠٠٠ في لبنان وسورية والأردن.

أما مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية «إيتان» فقد ذكر في رسالة خاصة كتبها في أواخر عام ١٩٥٠. أن عدد اللاجئين الفلسطينيين المسجلين في قوائم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين في عام ١٩٤٩ هو ٧٢٦٠٠٠ نسمة، وقال أن هذا الرقم حسب رأيه دقيق جدا / مع أن الرقم الصحيح الحقيقي هو ٨٠٠٠٠٠ تقريبا، غير أن إسرائيل ظلت دائما متمسكة برقم أقل بكثير هو ٥٢٠٠٠٠ نسمة لأسباب مفهومة:

«إذا اعتاد الناس على الرقم الكبير واضطررنا في نهاية الأمر للموافقة على عودة اللاجئين، قد نواجه مشاكل وصعوبات في إقناع العالم بأن جميع هؤلاء اللاجئين كانوا

يعيشون داخل المناطق الإسرائيلية، على أية حال، يجب التقليل من هذه الأرقام بدلا من زيادتها.

كانت إسرائيل مؤمنة وواثقة من أن الأرقام التي حددها العرب والأمم المتحدة مبالغ فيها، ويعتقد أن سبب هذه الزيادة والمبالغة في أعداد اللاجئين هو أن هذا العدد من اللاجئين يشمل أيضا لاجئين من مناطق تقع خارج حدود إسرائيل، وكذلك أشخاصا معدمين «فقراء» أرادوا القفز إلى عربة الإغاثة التابعة للأمم المتحدة، بدلا من بقائهم في بيوتهم واستمرار المعاناة من الفقر.

لقد اعتاد اللاجئون أنفسهم المبالغة في عددهم: مثلا «عن طريق عدم تسجيل الوفيات» بهدف الحصول على أكبر كمية من حصص الإغاثة.

وفي آب أغسطس ١٩٤٨، أمر موشيه شريت موظف في وزارة الخارجية الإسرائيلية الاستعانة بخبراء لتقدير العدد الصحيح للاجئين الفلسطينيين، ورد هؤلاء الموظفون بأن الإحصائيين فشلوا في محاولاتهم تحديد عدد اللاجئين بدقة، وأنهم أنفسهم طلبوا من وزارة الخارجية تزويدهم بالإعداد الموجودة لديها.

وفي منتصف عام ١٩٤٩ /طلب شريت من مكتب الإحصاء المركزي في إسرائيل تقديم إحصائية رسمية للاجئين، وفي ٢ حزيران/يونيو، رد الدكتور هيلموت ميوزام، أحد أعضاء المكتب، أن عدد اللاجئين يصل إلى حوالي ٥٧٧٠٠٠ نسمة.

توصلت إحصائيات السلطات البريطانية، أنه كان يسكن في عهدهم ٧٢٢٠٠٠ نسمة من غير اليهود في المناطق التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة اليهودية بما فيها القدس الشرقية، وبما أن هذا الرقم زاد حسب المكتب الإسرائيلي عن الرقم الفعلي بنسبة ٦٪، يكون الرقم الحقيقي هو ٦٧٩٠٠٠ نسمة، ويجب خصم حوالي ١٠٢٠٠٠ نسمة هو عدد العرب الذين يعيشون حاليا في دولة إسرائيل، لذا العدد ٥٧٧٠٠٠ نسمة، هم اللاجئون حقا.

وعلى هذا الأساس توصلت وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى العدد الرسمي الذي يتراوح بين ٥٢٠٠٠٠ و٥٣٠٠٠٠ نسمة لاجئ فلسطيني، وادعت وزارة الخارجية الإسرائيلية أن ما بين ٣٠٠٠٠ و٤٠٠٠٠ عربي تسللوا عائدين إلى إسرائيل منذ الإحصاء السكاني الذي أظهر بأن ١٠٢٠٠٠ عربي يعيشون في إسرائيل، ويجب خصم هذا العدد من ٥٧٧٠٠٠ غير أن ميوزام تحفظ في إحصائيته بقوله: أن العدد

٦٧٩٠٠٠ الذي قال أنه عدد العرب في دولة إسرائيل لم يشمل العرب غير الشرعيين الذين عاشوا في البلاد، وبذلك لم تشملهم الإحصائية البريطانية، وكذلك تجمعات البدو في النقب سواء الذين بقوا في أماكنهم أو أولئك الذين هاجروا من دولة إسرائيل، وهاتان المجموعتان السكانيتان وعناصر إخرى مثلها، أخذت في الحساب في الإحصائية التي أجراها البريطانيون في أيلول /سبتمبر ١٩٤٩، وتوصلت وزارة الخارجية البريطانية إلى استنتاج أن عدد اللاجئين الفلسطينيين يتراوح بين ٦٠٠٠٠٠ و٧٦٠٠٠٠ نسمة.

وجاءت هذه الإحصائية ذات الهامش العريض، لأن وزارة الخارجية البريطانية اقتبست الإحصائية التي أجرتها دائرة الأبحاث التابعة لها وهي ٦٠٠٠٠٠ من جهة، وأخذت كذلك بالعدد الأعلى وهو ٧٦٦٠٠٠ الذي ورد في إحصائية اللجنة الفنية التابعة للجنة المصالحة، ولكنه حتى هذا العدد القليل كان أكثر بكثير من العدد الذي حددته مصادر رسمية إسرائيلية، وقد فسرت وزارة الخارجية البريطانية هذا الفرق بالمبررات التالية:

أولا: لم تأخذ إسرائيل بعين الاعتبار التكاثر الطبيعي لدى العرب في أرض إسرائيل منذ ٣١ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٧، الذي كان يجب أن تخصم منه عدد الخسائر التي تكبدها العرب في الحرب.

ثانيا: أخطأت إسرائيل عندما خصمت نسبة ٦٪ من العدد الذي أسفرت عنه إحصائية السلطات البريطانية وهو ٧٢٥٠٠٠ نسمة.

ثالثا: تجاهلت إسرائيل وجود ٩٥٠٠٠٠ بدويا، تحول معظمهم إلى لاجئين أثناء الحرب.

وعلى أساس هذه الاعتبارات توصل البريطانيون إلى استنتاج بأن العدد الأقرب ما يكون للحقيقة هو ٧١١٠٠٠ لاجئ فلسطيني، يستفاد من كل ما ذكر أعلاه، بأنه من غير الممكن تحديد إحصائية محددة وحقيقية بصورة مطلقة.

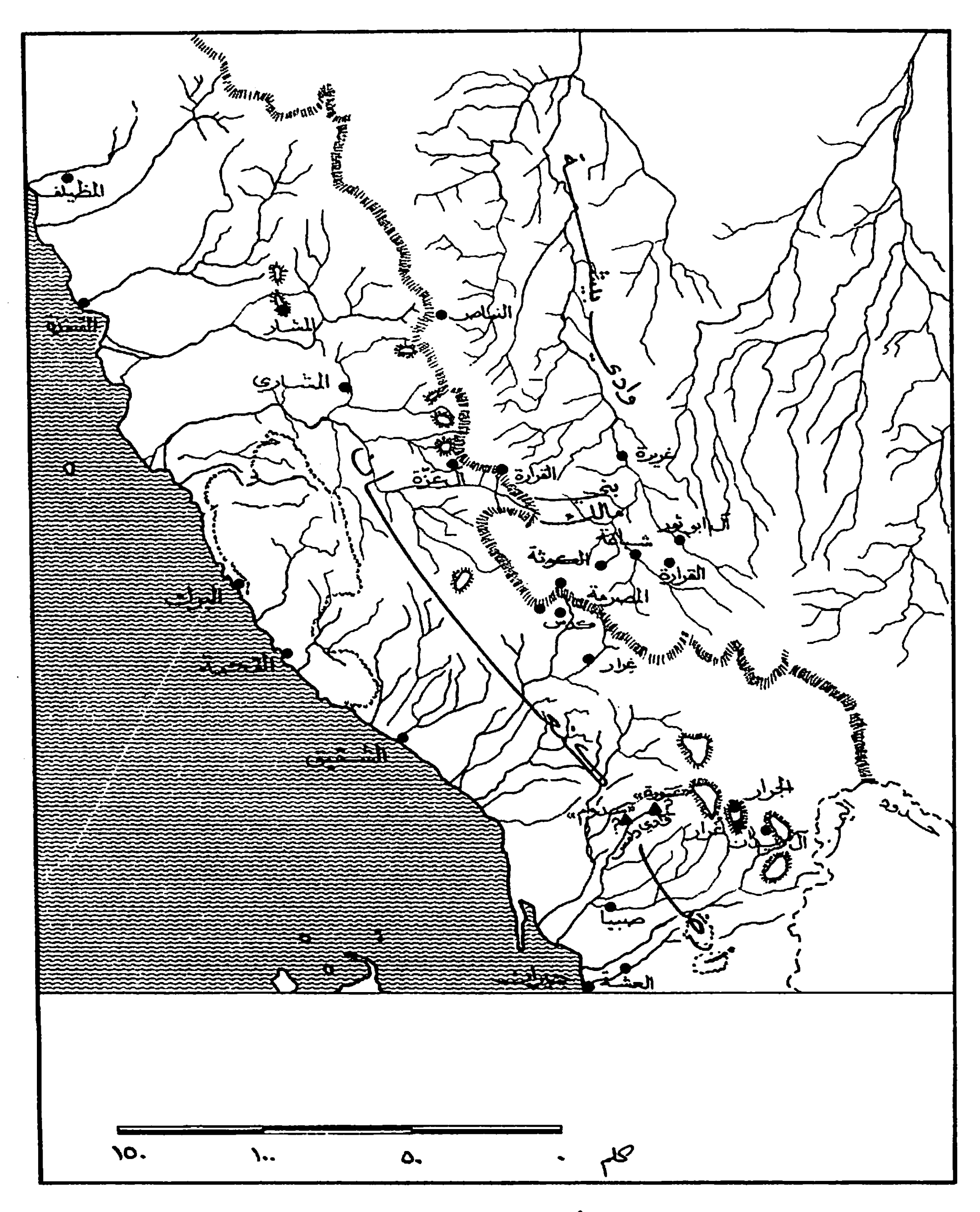
أما أنا فأميل إلى الاعتماد على الإحصائية البريطانية الأولى، التي اشتملت على هامش عريض، ومع ذلك تبدو الأكثر دقة، أي ما بين ٦٠٠٠٠٠ و٧٦٠٠٠٠ لاجئ عربي فلسطيني.

الخرائط



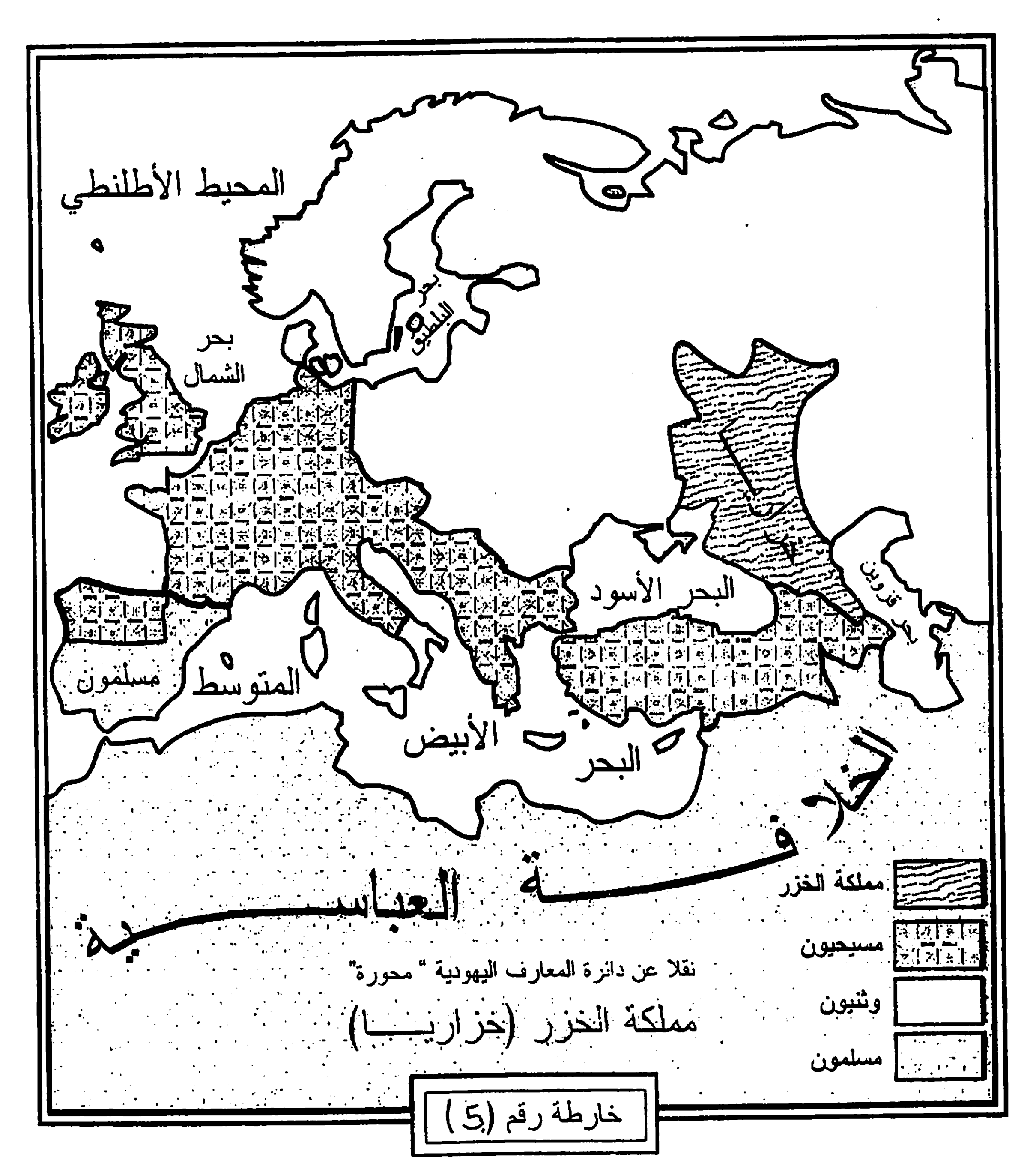
إسرائيل ويهوذا

عن فاضل الربيعي: «فلسطين المتخيلة، أرض التوراة في اليمن القديم»



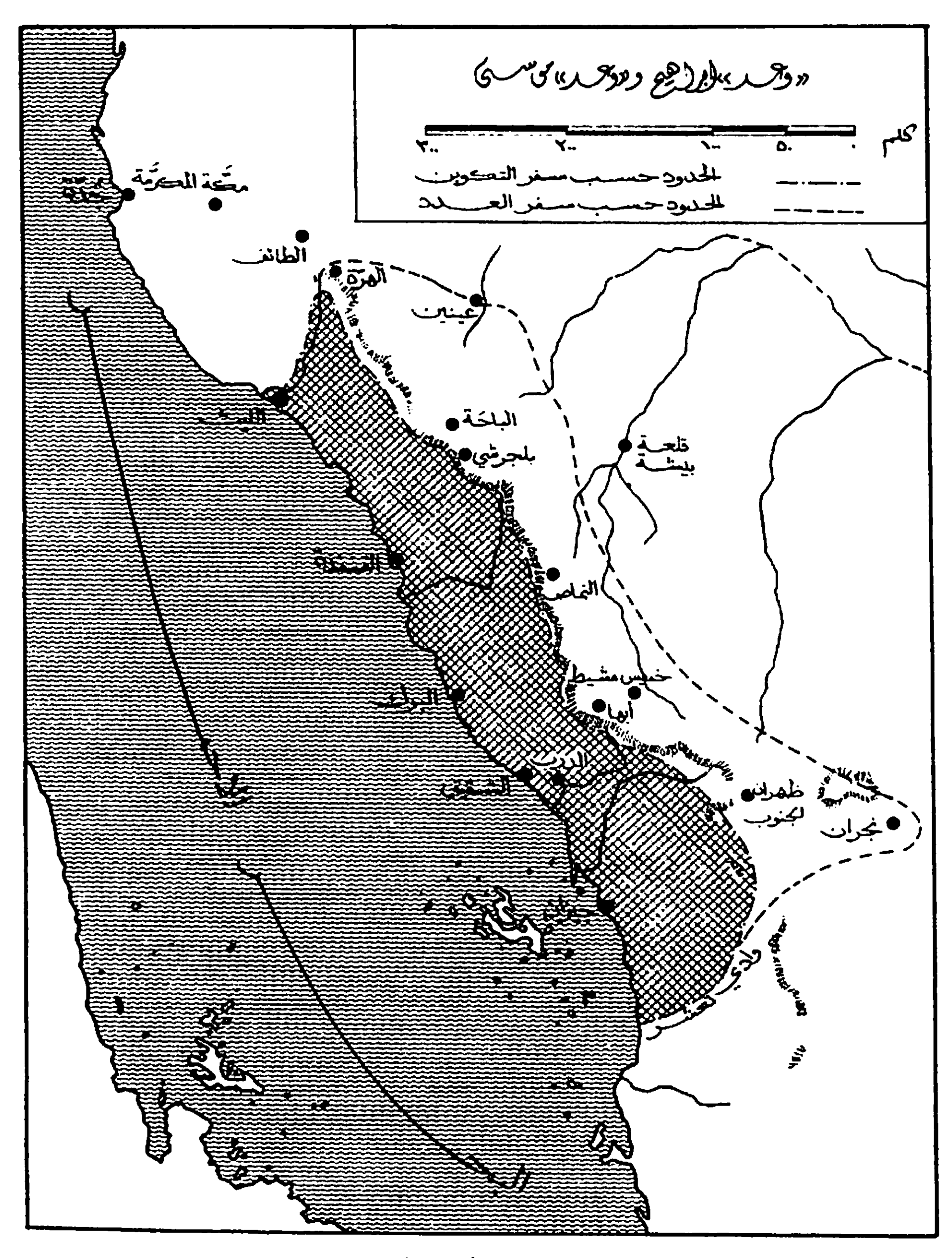
أرض كنعان التوراتية

عن الدكتور كمال الصليبي: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»



الأرض الموعودة

عن الدكتور كمال الصليبي: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»



خـــزاريـــا

هوامش ومناهل الكتاب

١ ـ توماس تومبسون: أستاذ علم الآثار بجامعة «ميلووكي» الذي قدم للفكر الإنساني مؤلفه الشهير الذي يحمل عنوان «التاريخ المبكر للشعب الإسرائيلي» وانتقد في هذا الكتاب الرواية التاريخية السائدة عن التاريخ اليهودي، مما أدى إلى فصله من الجامعة التي يعمل بها.

٢ ـ كتاب العهد القديم: كتاب العهد القديم هو القسم الأول من الكتاب المقدس الذي يؤمن به اليهود والنصارى، وكتاب العهد القديم ويطلق عليه أيضا اسم «الأسفار العبرية» خاص باليهود، ويتألف من عدد كبير من الأسفار تأتي التوراة الحالية في مقدمتها، وتتألف التوراة الحالية من خمسة أسفار هي: الخلق «التكوين، والخروج، وسفر اللاويين أو الأحبار، وسفر العدد وسفر التثنية. أما بقية أسفار كتاب العهد القديم فهي:

آ ـ أسفار الأنبياء المنسوبة لأنبياء بني إسرائيل.

ب ـ أسفار الكتب والمجلات.

ج ـ أسفار تاريخية.

وترتب أسفار كتاب العهد القديم حسب الترتيب التالي:

آ ـ توراة ويرمز لها بالحرف (ت).

ب ـ نبئيم «الأنبياء» ويرمز لها بالحرف(ن).

ج ـ كتوبيم «الكتب» ويرمز لها بالحرف (ك).

٣ ـ قاموس الكتاب المقدس: تحرير الدكتور بطرس عبد الملك وآخرون.

صادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأوسط. الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧١. ص - ٧٦٢.

٤ - الأستاذ روبرت ألتر: أستاذ التاريخ اليهودي بجامعة بيركلي، ولاية كاليفورنيا - الولايات المتحدة.

٥ - جزيرة كريت: هذه الجزيرة هي كبرى جزر بحر «إيجيه» بالبحر الأبيض المتوسط، وبحر إيجيبه يقع بين تركية واليونان.

٦ - سفر الخروج: الإصحاح الأول الفقرة الأولى.

٧ - سفر الخروج: الإصحاح الثاني عشر (٤٠ - ٤١).

٨ - سفر الخروج: الإصحاح الثالث (٧ - ١٠).

٩ - مملكة الملك الفلسطيني «أخيش» هي مدينة «جت» أو عراق المنشية.

١٠ - سفر الملوك الأول: الإصحاح الثاني عشر (١٠ - ١١).

١١ - سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح الثامن والعشرون (٨ - ١٠).

12 - Ricciotti.Vol.I,P.335- 336. And: Lunckenbill:Vol.11.op.cit, P, 7.

١٣ - معجم اللاهوت الكتابي. دار المشرق - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٦ - ص ٥٢٧.

١٤ - المصدر السابق: ص - ٥٢٧.

15 - Edward Campell: The biblical Archaeology. Vol . 23 - No.1

١٦ - ألواح نوزى: هذه الألواح نسبة إلى مدينة «نوزى» الواقعة شرقي مدينة «نينوى» بالجمهورية العراقية.

17 - The Assyrian Dictionary. Vol., 6. Chicago, 1956.

18 - C .Cornfeld Archaeologyof the Bible - New York 1976. P-11.

١٨ - سفر الخروج: الإصحاح الثاني عشر (١٥).

١٩ - رعمسيس: فسرت على أنها اسم مدينة فرعونية.

٢٠ ـ سكوت: فسرت أيضا على أنها اسم مدينة فرعونية.

٢١ ـ سفر الخروج: الإصحاح الثاني عشر، الفقرات (٣٥ ـ ٣٨).

٢٢ ـ اللازورد: اللازورد هو الفيروز.

٢٣ ـ الدكتور أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ. العربي للإعلان والنشر والترجمة. دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٧٥. ص ـ ٤٨٠ و٤٨١

٢٤ ـ الدكتور فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأوسط. الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٥. ص ـ ١٢٦ و١٢٧

٢٥ ـ الدكتور سهيل زكار: من مقدمة ترجمته لكتاب «تاريخ يهود الخزر» الذي ألفه (د. م. دنلوب). دار قتيبه للطباعة والنشر والتوزيع. ص ـ ٩٢٠١.

٢٦ ـ سفر يشوع: الإصحاح الأول (١ ـ ٥).).

٢٧ ـ في الواقع أن بني إسرائيل تلك اللحظة لم يكونوا قد دخلوا بعد أرض كنعان، ولم يطلقوا بالتالي أسماء يهودية على مناطقها ومدنها وقراها، هذا إذا ما كانوا دخلوا أرض فلسطين العربية واحتلوها كما تزعم التوراة!

٢٨ ـ سفر يشوع: الإصحاح العاشر (١٢ ـ ١٤).

٢٩ ـ السنة الضوئية = $9{,}46 \times 10^{12}$ KM.

٣٠ ـ سفر يشوع: الإصحاح السادس (١ ـ ٥).

٣١ ـ حوموا = اهلكوا.

٣٢ ـ المدينة: مدينة أريحا الفلسطينية.

٣٣ ـ سفر يشوع الإصحاح السادس (٢١).

٣٤ ـ العي: هي مدينة عاي التوراتية:

٣٥ ـ سفر يشوع: الإصحاح الثاني (١ ـ ٤).

٣٦ ـ عالمة الآثار البريطانية الآنسة (كاثلين كينون): هي رائدة أعمال الحفر والتنقيب الأثري في فلسطين العربية، وقد بدأت نشاطها في العام الميلادي١٩٢٩ واستمرت

فيه إلى أن توفيت في العام الميلادي ١٩٧٨. وقد طبقت هذه العالمة طريقة «ويلر كينون» في الحفر الحذر بين طبقات الصخور أثناء دراستها لآثار مدينة أريحا الفلسطينية، وفي الواقع أن هذه الطريقة أثبتت فاعليتها ونجاحها في هذا المجال، الأمر الذي أدى للحصول على نتائج أثرية هامة جدا تنفي الروايات التوراتية. ومما هو جدير بالذكر أن عالمة الآثار «كاثلين كينون» كانت موفدة أصلا من قبل «جمعية صندوق استكشاف فلسطين في بريطانية لإثبات صحة الروايات التوراتية، إلا أن هذه العالمة برهنت على عكس ما كان يتوقع الصهاينة زيفها وكذبها وضلالها.

٣٧ ـ حسين عمر حمادة: آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظمية التوراتية ـ ووثائق الاستكشاف الأثرية العلمية والإدانة الدولية. دار قتيبه للطباعة والنشر. الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٣. ص ـ ١١٠.

٣٨ ـ مارغريت شتاينر: القدس في العصر الحديدي (١٣٠٠ ـ ٧٠٠ قبل الميلاد). ترجمة: رزق الله بطرس وزياد منى. الطبعة الأولى ٢٠٠٦. ص ـ ١٤.

٣٩ ـ عن صحيفة «حدشوت» الإسرائيلية، في عددها الصادر في الأول من آب / أغسطس من العام الميلادي ١٩٨٩.

٤٠ ـ شهر كسليمو البابلي: هو شهر كانون الأول /ديسمبر في التقويم الجريجوري.

٤١ ـ أرض هاتي: هي أراضي سورية الشمالية التي كانت واقعة تحت النفوذ الحثي وقتئذ.

٤٢ ـ شهر آذار والبابلي: هو شهر آذار/مارس بالتقويم الجريجورى.

43 - James Breasted Ancient History of Assyria and Babylonis Chicago 1926, Vol.,2 - pp 126 and 172.

٤٤ ـ خزائن ميديا: خزائن ميديا هي الخزائن التي كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية الفارسية.

45 - The Emergence of Yehud in The Persion Period. pp, 222 - 246 - 253 - 264 and 283.

٤٦ ـ فيلافيوس يوسيفوس: هو مؤرخ يهودي عاش في القرن الميلادي الأول، وعرف انحيازه لليهود، وأيضا بنقله في كتاباته التي كان يكتبها باللغة اليونانية للأخبار

الكاذبة.

٤٧ ـ سفر دانيال: من المعروف أن سفر دانيال قد دون بعد فترة طويلة من عصر القائد اليوناني «لاسكندر الأكبر» فهو في الحقيقة لم يدون إلا بين الأعوام ١٦٨ و١٦٥ قبل الميلاد، أي بعد أكثر من مائة عاما مرت على وفاة لاسكندر الأكبر، وهذا ما يؤكد كذب وزيف وضلال رواية يوسيفوس.

48 - Victor Tcherikover:HellnisticCivilizalionand Jews. 1979. p 45.

٤٩ ـ الدكتور مايكل هارت: المائة الأوائل. ترجمة: دار قتيبه. دمشق ١٩٧٩. ص ـ ٦٤ ـ ٦٥.

٥٠ ـ الدكتور موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم. ترجمة: نخبة من المفكرين. الطبعة الأولى ١٩٧٨.

٥١ ـ الأب أي. بي. برانايتس: فضح التلمود ـ تعاليم الحاخامين السرية. إعداد: زهدي الفاتح. دار النفائس ـ بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٩١. ص ـ ٢١.

٥٢ ـ الدكتور كمال سليمان الصليبي:

هو الأستاذ بدائرة التاريخ والآثار بالجامعة الأمريكية في بيروت، ودرس الدكتور الصليبي اللغات السامية بنفس الجامعة، ثم تخصص في تاريخ الشرق الأوسط في جامعة لندن بالمملكة المتحدة، وله عدة مؤلفات تاريخية عن أصل اليهود.

٥٣ ـ هو: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني، جغرافي عربي قديم، له مؤلف «صفة جزيرة العرب»، ومؤلف «الإكليل».

٥٤ ـ هو: الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، جغرافي عربي قديم، له المؤلف المشهور الذي يحمل عنوان «معجم البلدان».

٥٥ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من شبه جزيرة العرب. ترجمة: عفيف الرزاز. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت. الطبعة الثانية، من مقدمة الطبعة العربية، ١٩٨٦، ص ـ ١١.

٥٦ ـ عن: فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة ـ أرض التوراة في اليمن القديم. دار الفكر ـ دمشق. المجلد الأول ٢٠٠٨، من مقدمة الكتاب. ص ـ ١٥ و١٦. نقلا عن كتاب

المؤرخ نزيه المؤيد العظم: «رحلة إلى بلاد اليمن السعيدة ـ سبأ ومأرب ـ مؤسسة فادي برس ـ لندن. الطبعة الثانية ١٩٨٥. ص ـ ١٤٠و ١٤١.

٥٧ ـ عن الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب. مصدر سابق ص ـ ١٠١.

٥٨ ـ المصدر السابق. ص ـ ٢٤٢.

٥٩ ـ المصدر نفسه، ص ـ ٢٤٧.

٦٠ ـ الدكتور كمال الصليبي: خفايا التوراة ـ أسرار شعب إسرائيل. دار الساقي ـ بيروت. الطبعة الخامسة ٢٠٠٢. ص ـ ١٧٥و١٧٦.

٦١ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب. مصدر سابق. ص ـ ٢٢٢. ٦٢ ـ المصدر السابق: ص ـ ١٣٦.

٦٣ ـ المصدر السابق: ص ـ ١٧٣ ١٧٤.

٦٤ ـ فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة أرض التوراة في اليمن القديم. مصدر سابق. المجلد الأول. ص ـ ٢٤٩.

٦٥ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب. مصدر سابق. ص ـ ١٩٢.

٦٦ ـ برأي الدكتور كمال الصليبي.

٦٧ ـ برأي الأستاذ فاضل الربيعي.

٦٨ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح العاشر، الفقرة (٢٥).

٦٩ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح الرابع عشر، الفقرة الثالثة عشرة.

٧٠ ـ الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، والدكتور سيد فرج راشد: اليهود في العالم القديم. دار القلم والدار الشامية. الطبعة الأولى ١٩٩٥، بيروت. ص ـ ٢٩.

٧١ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب. مصدر سابق. ص ـ ٢٣٩.

٧٢ ـ الدكتور كمال الصليبي: المصدر السابق بقليل من التصرف. ص ـ ٢٤٠ و٢٤١.

٧٣ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح الثاني والثلاثون، الفقرات (٢٤ ـ ٢٨).

٧٤ ـ معجم اللاهوت الكتابي: مصدر سابق. ص ـ ٦٨.

٧٥ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب. مصدر سابق. ص ـ ٢٤٣.

٦٧ ـ الدكتور كمال الصليبي: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل. مصدر سابق. ص ـ ٢١١.

٧٧ ـ المصدر السابق: ص ـ ٢٣٦.

٧٨ ـ المصدر السابق: ص ـ ٢٤٣و٢٤٤.

٧٩ ـ المصدر السابق: ٢٤٤.

٨٠ ـ نفس المصدر السابق: ص ـ ٢٤٥و٣٤٦.

٨١ ـ المصدر السابق: ص ٢٤٦.

٨٢ ـ سفر اللاويين الإصحاح الخامس عشر، (٢٣).

٨٣ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح الثاني (١٥).

٨٤ ـ سفر أرمينيا: الإصحاح الثاني، الفقرة السابعة.

٨٥ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح الخامس عشر، الفقرات ١٨ ـ ٢١.

٨٦ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح الثالث والعشرون، الفقرة الرابعة.

٨٧ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من شبه جزيرة العرب. مصدر سابق، مع بعض الاختصار. الصفحات: ٢٦٥و٢٦٦و٢٦٧و٢٦٨.

٨٨ ـ نفس المصدر السابق: ص ـ ٢٦٨.

٨٩ ـ المصدر السابق: ص ـ ١٥٥.

٩٠ ـ فاضل الربيعي: فلسطين المخلية ـ أرض التوراة في اليمن القديم.

٩١ ـ المصدر السابق: ص ـ ٣٨٩.

٩٢ ـ المصدر السابق: ص ـ ٣٨٩.

٩٣ ـ المصدر السابق: ص ـ ٤٠٤و٤٠٥.

٩٤ ـ الدكتور عدنان حداد: الخطر الصهيوني على المسيحية والإسلام. قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبر العصور. دار البيروني ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٧. ص ـ ٩٠و٩١.

٩٥ ـ سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح التاسع، الفقرات (٢٠و٢٥).

٩٦ ـ جودت السعد: أوهام التاريخ اليهودي. الأهلية للطباعة والنشر، عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية. الطبعة العربية الأولى ١٩٩٨. ص ـ ٢٥٨.

٩٧ ـ ت أرثر كو ستلر: القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم. ترجمة: أحمد نجيب هاشم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١. ص ـ ٢٣.

٩٨ ـ المصدر السابق: ص ـ ٢١.

٩٩ ـ هو أبو الحسن بن الحسين المسعودي.

١٠٠ ـ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة. ص ـ ١٧٨.

١٠١ ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر ودار بيروت. المجلد الثاني، بيروت ١٩٦٥، الصفحات ٣٦٧و ٣٦٨و٣٦٩.

١٠٢ ـ د. م. دنلوب: تاريخ يهود الخزر. ترجمة: الدكتور سهيل زكار. دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٥. الصفحات ١٨١ ـ ١٨٣.

١٠٣ ـ المصدر السابق: الصفحات ١٦١ ـ ١٦٩.

١٠٤ ـ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد. تحقيق: احمد أمين وإبراهيم الإبياري وعبد السلام هارون. دار الكتاب العربي، بيروت. المجلد الثالث. ص ـ ٣٢٥،

١٠٥ ـ تاريخ أبو جرير الطبري. الجزء الأول. ص ـ ٢٦٨.

١٠٦ ـ بنيامين فريدمان: يهود اليوم ليسوا يهودا. إعداد: زهدي الفاتح.

دار النفائس. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٣. ص ـ ٤٤و٤٥.

١٠٧ - الدكتور أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ. العربي للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع. دمشق الطبعة الرابعة. ص - ٧٥٧.

١٠٨ - المصدر السابق: ص - ٦٩٩.

110 - Die National Widelgeburt Des Judischen Volkes In Seinem Lands.
Als Mittel Zutösung Der Judenfrage

111 - Meir Ben Horin and Max Nordau Philosophers of Human Solidarity London, 1956. P 199.

١١٢ - النص الكامل للإعلان عن قيام دولة إسرائيل موجود في المصدر التالي:

* Joseph Badi Fundamental Laws of State of Israel. New York Twayne Publisher, 1961, PP, 8 -11.

113 - Theodor Herzel The Jewish State an Attempt at Modern Solution of Jewish Question. PP, 55 and 71.

114 - The complete Diaries of Theodor Herzel. Vol. I, P 133.

115 - Herzberged.,: The Zionist Idea Historical Analysis And Reader. P 227.

١١٦ - سفر الخلق «التكوين»: الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرة الثامنة عشر.

117 - Alfred guillaume: a study by him named "Palestine And The Bible".
صادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت ١٩٦٧. ص - ١٣و١٨.

١١٨ - الدكتور روجيه غارودي: ملف إسرائيل - دراسة في الصهيونية السياسية. ترجمة: الدكتور: مصطفى كامل فوده. دار الشرق. بيروت. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٨٣. ص - ٩و١٠.

١١٩ - بن غوريون: مقال في الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل في العام الميلادي ١٩٥٧.

١٢٠ - نقلا عن السيدة هيام جلاد مراسلة صحيفة «البعث» السورية في روما، في عددها رقم ٨٨٥٣ الصادر في حزيران/ يوليو من العام الميلادي ١٩٩٢.

١٢١ - حديث ثيودور هرتزل في مجموعة الكتابات الصهيونية الألمانية.

١٢٢ - محمد طلعت الغنيمي: قضية فلسطين أمام القانون الدولي. منشأ المعارف. الإسكندرية ١٩٦٧. ص - ٥٦.

١٢٣ - المصدر السابق: ص - ٥٩.

١٢٤ - صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين في نصف قرن. دار الفتح للطباعة والنشر. بيروت. ص - ٧ و٧٤.

١٢٥ - المصدر السابق: ص - ٥٨.

126 - J M. N. Jeffries: The Balfor Declaration Monograf Series No., 7. Beriut, Institute of Palestine Studies, 1967, PP., 5 and 6.

١٢٧ - هنري جيمس بريستيد: العصور القديمة. ترجمة: داود قربان. المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩٣٠. ص - ١٧٧و١٧٨.

١٢٨ - الدكتور فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. الجزء الأول. ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رامق. بيروت ١٩٥٨. ص - ١٩١.

١٢٩ - سليم حسن: مصر القديمة. مطبعة دار الكتب المصرية. الجزء السابع والتاسع - القاهرة ١٩٥٠و ١٩٥٢.

١٣٠ - أنيس فريحه: مقدمة كتاب «أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها.

١٣١ - بني موريس: طرد الفلسطينيين - وولادة مشكلة اللاجئين. ترجمة: دار الجليل - عمان. إصدار: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. الطبعة الأولى ١٩٩٣. ص - ٢٧٣إلى ٢٧٥.

لملحق (أ).

أهم المصادر والمراجع

١ ـ ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد. تحقيق: أحمد إبراهيم وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون. دار الكتاب العربي، بيروت.

٢ ـ الدكتور أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ. العربي للإعلان والنشر والطباعة والترجمة. دمشق. الطبعة الرابعة. ١٩٧٥.

٣ ـ المصدر السابق: الطبعة السابعة. بدون تاريخ

٤ ـ أرثر كوستلر: القبيلة الثالثة عشرة. ويهود اليوم. ترجمة: أحمد نجيب هاشم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ـ ١٩٩١.

٥ ـ الكتاب المقدس: كتاب العهد القديم.

٦ ـ الدكتور فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأوسط. الدار المتحدة للنشر. بيروت ١٩٧٥.

٧ ـ الدكتور فيليب حتي: تاريخ سويا ولبنان وفلسطين. ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق. بيروت ـ ١٩٥٨.

٨ ـ بني موريس: طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين. ترجمة: دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية. الطبعة الأولى ١٩٩٣.

٩ ـ بنيامين فريدمان: يهود اليوم ليسوا يهودا. إعداد: زهدي الفاتح. دار النفائس. بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٣ ز

١٠ ـ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر. بيروت. الطبعة الخامسة.

١١ ـ حسين عمر حمادة: آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظمية التوراتية ووثائق الاستكشاف الأثرية العلمية والإدانة الدولية. دار قتيبة للطباعة والنشر. دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣.

١٢ ـ قاموس الكتاب المقدس: تحرير الدكتور بطرس عبد الملك وآخرون. الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧١.

١٣ ـ معجم اللاهوت الكتابي: دار المشرق. الطبعة الثانية ١٩٨٦.

١٤ ـ د. م. دنلوب: تاريخ يهود الخزر. ترجمة الدكتور سهيل زكار. دار قتيبة بطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

١٥ ـ مارغريت شتاينر: القدس في العصر الحديدي (١٣٠٠ ـ ٧٠٠ قبل الميلاد). ترجمة رزق الله بطرس وزياد منى. الطبعة الأولى ٢٠٠٦.

١٦ ـ الدكتور كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب. ترجمة: عفيف الرزاز. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٦.

١٧ ـ الدكتور كمال الصليبي: خفايا التوراة ـ وأسرار شعب إسرائيل. دار الساقي، بيروت ـ الطبعة الخامسة ٢٠٠٢.

١٨ ـ الدكتور كمال الصليبي: حروب داود. الأجزاء الملحمية من سفر صموئيل مترجمة عن الأصل العبري. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن. الطبعة الأولى ١٩٩٠.

١٩ ـ فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة ـ أرض التوراة في اليمن القديم. دار الفكر، دمشق.

٢٠ ـ الدكتور عدنان حداد: الخطر الصهيوني على المسيحية والإسلام. قراءة توراتية في نفسية اليهود وتفكيرهم عبر العصور. دار البيروني ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٢١ ـ الدكتور مصطفى كمال عبد الرحيم والدكتور سيد فرج راشد: اليهود في العالم القديم. دار القلم والدار الشامية. الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٩٥،

٢٢ ـ الدكتور مايكل هارت: المائة الأوائل. ترجمة قتيبة ـ دمشق ١٩٧٩.

٢٣ ـ الدكتور موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم. ترجمة: نخبة من المفكرين. دار المندي ـ بيروت ١٩٧٨.

٢٤ ـ الأب أي. بي. برانايس: فضح التلمود ـ تعاليم الحاخامين السرية. إعداد: زهدي الفاتح. دار النفائس، بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٩١.

٢٥ ـ جودت السعد: أوهام التاريخ اليهودي. الأهلية للطباعة والنشر، عمان ـ الأردن. الطبعة العربية الأولى ١٩٩٨.

٢٦ ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر ودار بيروت. بيروت ١٩٦٥،

٢٧ ـ الدكتور روجيه غارودي: ملف إسرائيل ـ دراسة في الصهيونية السياسية. ترجمة: الدكتور مصطفى كامل فوده. دار الشروق، القاهرة ـ بيروت ١٩٨٣.

٢٨ ـ محمد طلعت الغنيمي: قضية فلسطين أمام القانون الدولي. طبعة مريدة ومنقحة. منشأ المعارف. الإسكندرية ١٩٦٧.

٢٩ ـ سليم حسن: مصر القديمة. مطبعة دار الكتب المصرية. الجزء السابع والتاسع، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢.

٣٠ ـ صالح مسعود بوبصير: جهاد شعب فلسطين في نصف قرن. دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت.

٣١ ـ هنري جيمس بريستيد: العصور القديمة. ترجمة: داود قربان. المطبعة الأمريكانية ١٩٣٠.

32 - Edward Campell: The Biblical Archaeology. Vol., 23, No., 1.

33 - The Assyrian Dictionary: Vol., 6. Chicago, 1976.

34 - Lunken Bill: Vol., 11, op., cit.

35 - R icciolli: Vol., 1.

36 - James Breastwd : Ancient History of Assyria And Babylonis. Chiccago- 1929. vol., 2.

37 - The Emergenceof Yehud in Persion Period.

38 - Victor Tcherikover: Hellnistic Civilisation And Jew. 1979.

39 - Die Nalional Widelgeburt Des Judischen Volkesin Seinem land.

Als Mittel Zur lösung Der Judenfrage.

40 - Meir Ben Horin and Max Nordau: Philosophers of Human Solidarity. Ladon - 1956.

41 - Joseph Badi: Fundamental Lows of State of Israel. New York, Twayne Publisher. 1961.

42- Theodor Herzel: The Jewish state - An Attempat Modern Solution of Jewish Question.

43 - The Complete Diaries of Theodor Herzel. Vol., 1.

44 - Herzbery ed.,: The Zionist idea - Historical Analysis and Reader.

45- Alferd Guillaume: A Study by him, named: Palestine and The Bible.

محتويات الكتاب

• المقدمـــة	٥
١ ـ مدخـــــل	٧
٢ ـ التاريخ اليهودي القديم ـ قراءة نقدية	١٥
ـ مقدمة موجزة في التاريخ اليهودي التوراتي	١٥
• عصور التاريخ اليهودي المزعوم في فلسطين العربية:	١٨
أولا: عصر القضاة	١٨
ثانيا: عصر الملوك، أو عصر المملكة اليهودية القديمة	١٨
ثالثا: عصر انقسام المملكة اليهودية الموحدة في فلسطين العربية	٢١
• بعض الجوانب التاريخية في التاريخ اليهودي	٢٦
أولا: العبرانيون	٢٦
ثانيا: نبي الله إبراهيم عليه السلام	٢٩
ثالثا: قوم لوط.	٣٢
رابعا: قصة الخروج الإسرائيلي بقيادة موسى عليه السلام	٣٣
خامسا: أسطورة الغزو العسكري الإسرائيلي لأرض فلسطين العربية	٤١
سادسا: أسطورة المملكة اليهودية القديمة في فلسطين العربية	٤٨

سابعا: الأسر أو السبي البابلي ٥٣
ثامنا: العودة من الأسر البابلي ٥٥
تاسعا: الاحتلال الروماني لفلسطين العربية. ٥٦
عاشرا: الاحتلال الروماني لفلسطين العربية. ٥٩
حادي عشر: اليهود في القرن الميلادي السادس عشر. ٦١
ثاني عشر: الديانة اليهودية ٦٢

٣ ـ اليهود القدماء ٦٧

ـ من أين أتى اليهود لقدماء؟ ٧٠
ـ الأماكن التوراتية: ٧٥
أولا: أرض كنعان التوراتية. ٧٥
ثانيا: مصرايم ـ مصريم أو أرض مصرالتوراتية ٧٦
ثالثا: أرض مديان أو مدين التوراتية. ٧٧
رابعا: هـ ـ يردن التوراتي ٧٧
خامسا: مدينة أريحا أو يريحو التوراتية ٧٨
سادسا: أورشليم التوراتية ٧٨
● الأساسيات المحورية في التاريخ اليهودي حسب الدراسات التاريخية الحديثة: ٧٩
أولا: العبرانيون «عبريم». ٧٩
ـ ما هو الموطن الأصلي لإبراهيم؟ ٨١
ـ إعادة تصور لخط سير هجرات إبراهيم. ٨١
ثانيا: بني إسرائيل ٨٣
ثالثا: نبي الله موسى عليه السلام ٨٥

- الخروج الإسرائيلي من مصرايم ٨٦
- مسار الخروج الإسرائيلي من مصرايم ٨٧
رابعا: الأرض الموعودة ٨٨
خامسا: إسرائيل ويهوذا ٩٣
سادسا: الأسر البابلي ٩٧
- من أين كان الأسر البابلي لليهود ٩٨
- حقيقة الأسر البابلي. ٩٨
سابعا: أوهام التاريخ اليهودي ١٠٠
٤ ـ اليهود المعاصرون ١٠٧
أولا: يهود الخزر. ١٠٩
- الموطن الأصلي لشعب الخزر ١١١
- ديانة شعب الخزر قبل تهوده ١١١
- تهود شعب الخزر ١١١
- تأسيس أمبراطورية الخزر ١١٢
- صفات بلاد الخزر وأهلها ١٢٠
- الحروب الإسلامية - الخزرية ١٢٢
- نهاية دولة الخزر ١٢٢
ثانيا: اليهود الأشكنار «الشكنازيم» أو اليهود الغربيون ١٢٦
ثالثا: اليهود السفارد «السفرديم» أو الشرقيون ١٢٦
٥ ـ المزاعم الصهيونية في فلسطين العربية ١٢٩
أولا: الحجة الدينية ١٣٣

ثانيا: الحجة التاريخية ١٤١
ثالثا: الحجة القانونية ١٤٦
● اتفاقية سايكس - بيكو ١٤٩
أولا: تصريح بلفور ١٥١
ثانيا: صك الانتداب البريطاني على فلسطين العربية ١٥٣
ثالثا: قرار تقسيم فلسطين ١٥٤
● دولة إسرائيل الحالية. ١٥٥
أولا: إسرائيل ليست دولة قومية. ١٥٥
ثانيا: إسرائيل ليست دولة دينية ١٥٦
ثالثا: إسرائيل ليست دولة حضارية ١٥٧
رابعا: إسرائيل ليست دولة ديموقراطية ١٦٠
خامسا: إسرائيل الحالية دولة استعمارية ١٦٠
سادسا: إسرائيل الحالية دولة عنصرية ١٦١
سابعا: إسرائيل دولة إرهابية ١٦١
ثامنا: إسرائيل دولة عدوانية توسعية ١٦٢

٦ ـ الملاحق ١٦٣

ملحق رقم (١): وثيقة إعلان استقلال دولة إسرائيل ١٦٣
ملحق رقم (٢): إعلان استقلال فلسطين. ١٦٧
ملحق رقم (٣): قرار مجلس الأمة الأردني بالموافقة على وحدة الضفتين ١٦٨
ملحق رقم (٤): عدد اللاجئين الفلسطينيين في حرب عام ١٩٤٨. ١٧٠

الـخـرائـط	١٧٣
هوامش ومناهل الكتاب	١٧٩
أهم المراجع والمصادر	١٨٩
محتويات الكتاب	١٩٣

صدر للمؤلف

١ ـ المدينة المسحورة: دراسة موجزة في تاريخ القدس خلال خمسة آلاف عام. دار الطليعة الجديدة ـ دمشق ٢٠٠٤.

٢ ـ الخداع على صفحات مقدسة: دراسة لبعض المزاعم التاريخية اليهودية. دار الطليعة الجديدة ـ دمشق ٢٠٠٥.

٣ ـ العودة الملعونة: دراسة في سبل عودة اليهود إلى فلسطين العربية. دار الطليعة الجديدة ـ دمشق ٢٠٠٦.

٤ ـ سلاسل من دخان: دراسة موجزة في الفكر الديني اليهودي. دار الطليعة الجديدة ـ دمشق ٢٠٠٧.

٥ ـ اللواء في الملوك والخلفاء: دراسة في قادة الأمم والممالك التي حكمت فلسطين العربية. دار العوام للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق ـ ٢٠٠٩.



مما لا شك فيه انه قد ارتكب خطأ فادح وخطير جدا بحق الشعب العربي الفلسطيني في العصر الحديث، وهذا الخطأ الفادح متمثل في اعتبار الصهاينة اليهود والمسحيين معا وعلى حد سواء أرض هذا الشعب وأرض آبائه وأجداده القدماء هي أرض اليهود وموطنهم الأصلي، والأرض التي شهدت انتصاراتهم وأمجادهم الغابرة، وهذه الأسطورة التاريخية هي في الواقع من نتاج القراءة المخيالية الغربية الاستشراقية لتاريخ الشرق الأدنى القديم ولنصوص التوراة أيضا، وقد أدخل الصهاينة هذه الأسطورة في عقول ووجدان العالم الغربي المسيحي، وعملوا كل ما في وسعهم من أجل ترسيخها هناك، وأخذها على محمل الجد وكأنها حقيقة مسلم بها ولا تقبل جدلا، ووفقا لهذه الأسطورة ساعد العالم الغربي المسيحي الصهاينة في اغتصاب أرض فلسطين العربية، وإقامة كيانهم الغاصب فيها في العام الميلادي ١٩٤٨، ثم ساندهم ودعمهم وأيدهم في المحافظة على استمرارية هذا الكيان بل وجعله أكبر قوة عسكرية في منطقة الشرق الأوسط، وضرب العالم الغربي المسيحي بعرض الحائط الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني في أرضه في عصر حقوق الإنسان التي يتغنى بها العالم المسيحي الغربي صباحا ومساء، ومن البديهي أن مساعدة العالم الغربي للصهاينة دون وجه حق أدت إلى نتائج مأساوية للشعب العربي الفلسطيني، إذ إن هذا الشعب المغلوب على أمره فقد أرضه وممتلكاته كلها وطرد من أرضه وأرض أبائه وأجداده وشرد عنها، وتحول إلى مجموعات من اللاجئين تعيش على هامش أوطان الشعوب الأخرى يبحث عن المأوى والحماية، وما يسد به الرمق.

من مقدمة الكتاب